الاسـلام وتحـديات العصر

الكتاب الثالث عشر

اليهود واليهودية والإسلام

تأليف

دكتور عبد الغني عبود

كليـة التربية جامعة عين شمس

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

الطبعة الأولى

اكتـــوبر ١٩٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« ان هـذا القرآن يقص على بنى اسرائيل ، أكثر الذى هم فيه يختلفون »

(النمل ــ ٢٧ : ٧٦) .

* * *

« واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل : لا تعبدون الا الله ، وبالوالدين احسانا ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقـولوا للناس حسنا ، وأقيموا الصـلاة ، وآتو الزكاة ، ثم توليتم ، الا قليلا منكم ، وأنتم معرضون ... وقالوا : قلوبنا غلف ، بل لعنهم الله بكفرهم ، فقليلا ما يؤمنون »

(البقرة ــ ٢ : ٨٣ ــ ٨٨) .

* * *

« لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ، وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، فريقا كذبوا ، وفريقا يقتلون »

(المـائدة ــ ٥ : ٧٠) .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

هـــذه السلسلة

ليست هــذه السلسلة سلسلة دينية بالمعنى التقليدى ، كما يبــدو للوهلة الأولى من عنوانها ، وان كان الدين الاســلامى يعتبر محــورها الاســاسى :

ولقــد كان الدافع الى اصدار هــذه السلسلة ، بعيدا كل البعــد عن الدين ، قريبا كل القرب من العــلم الخالص .. فى مجال التربيـــة ، الذى تخصصت فيه ، وحــوله تدور قراءاتى ودراساتى ، وما أقوم به من ابحـــاث .

وصحيح أن الدين ليس حكرا على متخصصين فيه ، كما هو الحال فى الكيمياء والطبيعة والصيدلة والهندسة والأدب واللغة والتربيـــة ، ولكن المتخصصين فيه ــ بالضرورة ــ أقدر على العطاء ، وغير المتخصصين فيه لابد أن يكون عطاؤهم أقل ، وبجهد أكبر .

ويعود الدافع الى اصدار هــذه السلسلة الى سنوات خلت ، حيث كان يضمنا (سمنار) الدراسات العليا بكلية التربية جامعة عين شمس ، وأراد أحــد الدارسين تسجيل رسالة عن (التربية الاسلامية) ، يحصــل بهـــا علىدرجة المـــاجستير فى التربيـــة ، وهالنى رد أحــد الزملاء ــ الأساتذة ــ عليه ــ بأنه لا يوجد ــ للأسف ــ تربية اسلامية (١) .

ولم يكن بين يدى الرد ليلتها على الزميل ، ولا قدرة ــ بالتالى ــ على مناصرة الطالب ، ومن ثم أمسكت عن الرد ، حتى يكون بين يدى الدليل .

ورجعت الى ما كتب عن (التربية الاسلامية) ، فى الكتب والمجلات العلمية ، فلم أجد فيما كتب متصلا بالتربية الاسلامية سوى .. العنوان ، رغم أن بعضما قرأته كان لمفكرين اسلاميين .. كبار .

وكان على أن أعتمد على الله وعلى نفسى ، فى التصدى لهذه المغالطة العلمية ، التى يقول بهـــا بعض رجال التربية عن جهل ، ويسكت عنها البعض الآخر عن قصور .

---

(١) الف الزميل كتابا فى (التربيـــة الاســـلامية) ، بعد حوالى أربع سنوات من قوله هــذا ، وذلك عندما صار (الحصـــان الاسلامى) هو (الحصـــان الرابح) ، فى الساحة العـــالمية ... كما هو واضح اليوم ... بحمــد الله .

وجمعت المـادة العلمية فيمـا يزيد على عام كامل ، وبدأت أنظم هـذه المـادة ، وكتبت بالفعـل — على أساسها — كتـابا متكاملا عن (الأيديولوجيا والتربية ، فى الاسلام) ، ولم يكن ينقصه سوى أن يدفع به الى المطبعـة ، ليرى — بعدها — النور ، ويبث — بعـدها — نور الحقيقة ، فى قلوب الجاهلين بها ، والمتغافلين لهـا .

ثم عدت الى نفسى ، وقلت لها : ولكن المسئولية أمام الله أكبر من هذا الجهد الذى بذلته ، فقد كان لابد — فى نظرى — من مزيد من البحث .

وقلت لنفسى أيضا : ولكن هـذا الجهد الذى بذل كبير ، وهو جدير بأن يرى النـور .

واستقرت نفسى على أن الخص هذا الذى كتبته ، فى ستين صفحة ، نشرت تحت نفس العنوان ، فى المجـلد الثالث من (الكتاب السنوى ، فى التربية وعلم النفس) ، الذى صدر مع مطلع سنة ١٩٧٦ .

ثم استقرت — بعد ذلك — على نشر هذا المقال ، مع مقالين آخرين ، ظهرا فى مجلات علمية أخرى ، عن (التربية الاسلامية) ، فى كتاب يصدر قريبا تحت عنوان (مقولات فى التربية الاسلامية) (١) ، نظرا لأن كل مقال من المقالات الثلاثة ، قـد صدر — حيثما صدر — مليئا بالأخطاء المطبعية ، التى أفسدت المعنى الذى كنت أريده فى بعض المواقف افسادا .

واستقرت نفسى — قبل ذلك وبعده — على أن أعمق مفهـومى عن الاسـلام ، وعن (الشخصية القومية الاسلامية) ، فهى المنطلق الحقيقى للحديث — الصادق — عن (التربية الاسلامية) .

ذلك أننا ندرس نظام التربية فى أى مجتمع ، فى ضـوء (الشخصية القومية) لذلك المجتمع ، وبدون تلك (الشخصية القومية) ، يكون نظام التربية — فى نظرنا — نحن رجال التربية — معلقا فى الهواء .

---

(١) صـدر الكتاب بالفعل ، تحت عنوان (فى التربية الاسلامية) ، ونشرته (دار الفكر العربى) سنة ١٩٧٧ ، وضم الى جانب المقال المذكور فيـه ، مجموعة مقالات ، كانت قـد نشرت فى مجلات علمية مختلفـة ، بمناسبات مختلفة ، تدور كلها حول هذا (المحور) ، الذى اتخذ (عنوانا) للكتـاب .

كما صدر عن (دار الفكر العربى) أيضا ، فى الربع الأخير من سـنة ١٩٨٤ ، كتاب (التربية الاسـلامية ، والقرن الخامس عشر الهجرى) ، وان كان هدفه وأسباب صدوره ، مغايرة لهدف وأسباب صـدور كتاب (فى التربية الاسلامية) سنة ١٩٧٧ .

وفى ضوء تلك (الشخصية القومية) ، درست — وتدرس — التربية فى البلاد الرأسمالية عموما ، وفى كل بلد منها ، كما تدرس التربية فى البلاد الشيوعية عموما ، وفى كل بلد منها .

اما التربية الاسلامية .. فلم تجد حتى الآن — فى حدود علمى — من درسها هذه الدراسة العلمية المنهجية .

ومن ثم كان هناك من يقول ، بأنه لا توجد تربية اسلامية ، لأن الشخصية الاسلامية اليوم ، شخصية ، لا هى الى الاسلام تنتمى ، ولا هى عن الاسلام تعرف الكثير ، ومن ثم صارت تلك الشخصية شرا على الاسلام ، وخطرا عليه ، أكبر من الشر والخطر الذى يستطيعه أعداء الاسلام أنفسهم .

ومن ثم فالشخصية القومية الاسلامية المعاصرة ، لا يمكن أن تكون هى المدخل الصحيح لفهم التربية الاسلامية ، وانما المدخل الصحيح لها ، هو تلك الشخصية القومية الاسلامية ، فى عصور الاسلام الأولى .

ولو عاد المسلمون الى فهم الاسلام من جديد ، كما يجب أن يفهم ، لعادوا الى أنفسهم ، وعادت اليهم قوتهم وعزتهم .. وحضارتهم ، خاصة وأن الدراسة التى قمت بها ، أكدت لى أن الاسلام قادر على مواجهة (تحديات العصر) ، وأن المسلمين — بالاسلام — قادرون على مواجهة تلك التحديات ، وأنهم — بدونه — عاجزون .

ومن ثم يكون الهدف من السلسلة .. تربويا خالصا .

ولكنه هدف .. دينى أيضا .

فالمسلمون اليوم ، بفعل عوامل متعددة ، لا يعرف الكثيرون منهم عن الاسلام الكثير ، وهم يعرفون عنه ما يعرفه غيرهم لهم ، لا ما يجب أن يعرفوه بأنفسهم ، من مصادره الصحيحة : الكتاب والسنة.

بينما هم يعرفون عن النظم والفلسفات المعاصرة .. ذات البريق — الأخاذ — الكثير والكثير .. لأن غيرهم أراد ذلك لهم .. بفعل عوامل متعددة كذلك .

والوظيفة الرئيسية لهذه السلسلة هى : أن تضع الاسلام — بجوانبه المتعددة — وجها لوجه — أمام النظم والفلسفات المعاصرة .. لنرى : أيها أقدر على مواجهة تحديات العصر .

وعندما يكتشف المسلم ، أن اسلامه هو القادر على مواجهة تحديات العصر ، وأن الفلسفات والنظم المعاصرة ، أن هى الا ألوان من العلاج مؤقتة .. مفلسة ، فانه — لابد — سيعود الى نفسه ، ويصالح دينه ، ويقرأ عنه ، ويقف على ما فيه .. وقوفه على ما فى الفلسفات المستوردة ، ذات البريق الأخاذ .. الخادع .

وعند هـذا الحد ، تقف رسالة السلسلة .

ومن هنا قلت وأصررت ، على أنها ليست دينية بالمعنى التقليدى .

ومن أراد الدين بالمعنى التقليدى ، فكتبه معروفة ، وكتابه معروفون .

ولكن المسلمين الذين أكتب هـذه السلسلة لهم ، ليسوا مستعدين — منذ البداية — لأن يضيعوا وقتا فى قراءة تلك الكتب الدينية ، وفى القراءة لهؤلاء الكتاب المعروفين ، لأن الاسلام — كما فهموه — لا يصح أن يضيعوا فيه وقتا ، يضيعون أكثر منه فى المذاهب ذات البريق .. الخداع .

وبعد اتضاح معالم (الشخصية القومية) الاسلامية ، مقارنة بمعالم (الشخصيات القومية) الأخرى ، التى نراها فى ظل الأيديولوجيات المعاصرة ، من زوايا عديدة .. وذلك خلال هـذه السلسلة ، سوف أعود من حيث بدأت ، فألخص ما وصلت اليه ، وأتخـذ منه منطلقا للحديث عن (التربية الاسـلامية) .

والجهد الذى يجب أن يبذل فى اعداد هـذه السلسلة كبير ، والجهد الذى يجب أن يبذل — بعدها — فى الحديث عن (التربيـة الاسلامية) كبير .. ولكن الهدف الذى تحققه السلسلة ، والدراسة الخاصة بالتربية الاسـلامية — بعدها — فى نظـرى — أكبر وأعظم ، وفى سبيله تهـون الصعاب ، وعلى الله قصد السبيل .

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى :
— جمادى أولى ١٣٩٦ هـ .
— مايـو ١٩٧٦ م .

وهـذا الكتاب .. الثالث عشر

كان مقررا أن يصدر هذا الكتاب الثالث عشر من كتب السلسلة ، قبل الموعد الذى صدر فيه بمـا يقرب من عام كامل — اى بعد ستة أشهر من صدور كتابها الثانى عشر .. فى يونيو ١٩٨١ — ولكنه قـد تأخر صدوره ، لحكمة أرادها الله سبحانه .

وقد شهدت المراحل التى مرت بها طباعة هذا الكتاب ، نفس المراحل التى مرت بهـا مأساة لبنان ، وعاصمتها بيروت .

ذلك أنه دفع به الى المطبعة ، فى مطلع صيف ١٩٨٢ ، قبل أن يطلق الرصاص على السفير الاسرائيلى فى لنـدن ، بأيام قليلة ، وقبل أن تنطلق قوات الغـزو الاسرائيلى للبنان ، وكأن طلقات الرصاص على السـفير ، كانت هى هى اشارة البـدء فى هـذه الهجمة البربرية الشرسة ، مما يدفع اى عاقل الى أن يسأل نفسه : من الذى أطلق الرصاص على هذا السفير ؟

وكانت مطبعـة الاستقلال الكبرى تلتهم صفحات الكتـاب ، بنفس السرعة التى كانت تلتهم بها قوات الغزو البربرى الاسرائيلى ، أرض لبنان .

وقد ساعد المطبعة ، فى أن تلتهم صفحات الكتاب بسرعة ، أن جمعه كان فى اشهر الصيف ، حيث المطـابع تفتقر الى الكتاب الجامعى ، الذى هـو شغلها الشاغل ، مع بداية الخريف .. وحيث المطابع ومن فيهـا يبتسمون لك ، ويرحبون بك ، ويسامرونك ، وهو ما لا تجد شيئا منه ، مع بداية الخريف ، وطوال الشتاء والربيع .

وسـاعد القوات الاسرائيلية الغازية ، فى أن تلتهم رقعة الأرض اللبنانية ، ما كانت قـد أعدته لهذا (اليوم) من ترتيبات ، ومن (رجال) ينفذون لهـا هـذه الترتيبات ، فى داخل لبنان ، من أمثال سعد حـداد فى الجنوب ، وبشير الجميل فى الوسط .. ففتح لهم العميل الأول حـدود لبنان الجنوبية ، وفتح لهم العميل الثانى أبواب بيروت .. الشرقية .

وتمر أيام الصيف ثقيلة على نفس كل عربى ومسلم ، وتمر بشـكل اثقل على نفس الثلاثى المجرم ، بيجين / شارون / ايتـان ، ومن خططوا معهم للغزو ، فى قلب العاصمة الأمريكية .

ذلك أنهم حسبوا أن دقـة (الترتيبات) ، ستجعل العملية تستغرق (أياما) قليلة ، فاذا بهـا تستغرق شهورا طويلة ، واذا بالقوات الغازية ، تقف على أبواب بيروت الغربية وحدها ، قرابة شهور ثلاثة ، كان يمكن أن تمتد لسنوات ، لولا المؤامرة ، التى أفرغت بيروت الغربيـة من رجالهـا وسلاحها — وقـد تعود اليهود أن يهربوا من وجوه الرجال .. بحثا عن شيوخ ونساء وأطفال .. يقتلونهم بالجملة ، وبكل وحشية .

وكان أول ضحايا هذه المؤامرة ، هو العميل اللبنانى بشير الجميل ، الذى نصبوه رئيسا لكل لبنان ، رغم أنف الجميع .. وعندما تصور نفسه يمكن أن يكون رئيسا للجميع بالفعل ، قتلوه ، ونسفوا مقر الكتائب الحصين ، فوق رأسه ، ورءوس المقربين منه ، ولم يشفع له عندهم ، فتحه لأبواب بيروت الشرقية لهم ، ليعبروا — من خلالها — الى بيروت الغربية ، حيث المسلمون والفلسطينيون ، وليتمكنوا من احكام الحصار عليها وعليهم ، برا وبحرا وجوا .. كما لم يشفع له عندهم ، ما قدمه لهم من خمر للترفيه عنهم ، وما قدمه — مع الخمر — من فتيات كتائبيات جميلات .. مبالغة منه ومن الكتائب ، فى الاحتفال بهم ، والترفيه عنهم .

***

تكتب هـذه السطور من المقدمة (١) ، بعد أيام قليلة من مقتل بشير الجميل ، وبعد ساعات قليلة ، من تنفيذ المخطط ، الذى بدأ فى حياة الجميل ، والذى شارك فى وضعه ، حيث تم اخلاء بيروت الغربية من الفلسطينيين المسلحين ، واخراجهم موفوعى الرأس من بيروت ، فى وضح النار ، من بين صفوف ألد أعداء العروبة والاسلام ، اسرائيل والكتائب .. كما تم اخلاؤها فى الوقت ذاته من الأسلحة الثقيلة والخفيفة ، وتجريدها من أى سلاح ، يمكن أن تدافع به عن نفسها ، أو يدافع به أبناؤها عن أنفسهم .. باسم تحقيق سيطرة الجيش اللبنانى عليها ، بوصفه ممثلا للسلطة الشرعية اللبنانية .

أما بيروت الشرقية — بيروت الكتائب — فقد ظلت — وفق المخطط — كما كانت من قبل ، بكل سلاحها ، الثقيل والخفيف .

وبهذا الاخلاء ، تم تنفيذ المخطط ، ولكن بغير بشير الجميل ، الذى كان مقتله .. مجرد فصل من فصوله .

لقد اقتحمت القوات الاسرائيلية بيروت الغربية ، واستمات أهلها فى التصدى لقوات الغزو ، ولكى أنى للخناجر والمسدسات ، أن تقف فى وجه الدبابات !!

وخلف الجيش الاسرائيلى الغازى لبيروت الغربية ، دخلت نفايات الجيوش : قوات سعد حداد ، الذى باع نفسه لاسرائيل بغير ثمن ، لعله يتمكن — من خلالها — القضاء على الاسلام — وقوات الكتائب ، التى أنساها حقدها على الاسلام ، والمسلمين ، مصرع زعيمها وقائدها على يد

---

(١) تعودت أن أكتب مقدمات كتبى ، بعد تمام طبعها ، ومن ثم يكون أول مايقرأ فى أى كتاب من هـذه الكتب ، هو آخر ما كتبت فيها فعلا . وقد تصادف أن كتبت هـذه المقدمة مع مطلع ذى الحجة ١٤٠٢ هـ (منتصف سبتمبر ١٩٨٢ م) .

اليهــود .. واشتركت الأطراف الثلاثة ، فى أكبز مجزرة بشرية عرفهــا التــاريخ المعــاصر ، فقــد اقتحموا معسكرى صــابرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين ، وذبحوا كل من قابلهم ، من نساء وأطفال وشيوخ .

لقــد استأسد الجميع ، عندما أخلوا الساحة ، من الأسود .

***

بدأ التفكير فىكتابة هــذا الكتاب ، ليكون واحــدا من كتب هــذه السلسلة ، منذ خمس سنوات تقريبا ، وعلى وجه التحــديد ، فى منتصفه سنة ١٩٧٧ ، عندما كنت أجمع المــادة العلمية لكتابها السادس (أنبيــاء الله ، والحياة المعاصرة) ، واخطّط فصولهــذا الكتاب السادس ، حيثه (اضطررت) اضطرارا ، الى تخصيص الفصل الثالث من فصول الكتابه (ص ٧٣ — ١٠١) ، للحديث عن (أنبياء بنى اسرائيل) .

وقــد اضطرنى الحديث عن (أنبياء بنى اسرائيل) أيامهــا ، الى الرجوع الى التوراة والانجيل ، فوجدت أن فصلا من فصول كتاب ، لا يكفى — مهما بلغت دقتــه وشموله — لالقــاء الضــوء على بنى اسرائيل ، خاصة وأنهم صاروا (التحدى) الأســاسى للاســلام والمسلمين فى عالم اليوم .. ومن ثم قــررت أن يخصص لهم كتاب كامل من كتب السلسلة ، التى تحمل عنوان — أو شعار — (الاسلام وتحديات العصر) .

وبدأت منذئذ — بالفعل — فى جمع المــادة العلمية اللازمة للكتاب ، ثم بدأت فى تنظيم هــذه المــادة ، فى شكل فصول ، وبدأت الكتابة ، حتى انتهيت من الكتاب — ونحيته جانبا ، حتى يأتى مكانه المناسب ، فى هــذه الســلسلة .

وأذكر أننى بعد الانتهــاء من كتابة الكتاب ، اتممت المسيرة ، فكتبته للمرة الأولى كتاب السلسلة التالى ، عن (المسيح والمسيحية والاسلام) .

ثم كانت مبادرة السلام المصرية المشهورة سنة ١٩٧٧ ، وكان ما تلا هــذه المبادرة من اتصالات بين مصر واسرائيل ، على طريق هــذا السلام ، وما ظهر من الجانب الاسرائيلى من صلف وتكبر وتجبر ، جعل المخدوعين بحب اسرائيل للسلام ، ورغبتها فيه ، يرون اسرائيل على حقيقتها .. وجعل عملية الســلام المصرية مع اسرائيل ، شيئا أبعد ما يكون عن الســلام ، كما يفهمه كل خلق الله ، على هــذه الأرض .

وكان لابد من اعادة نظر فيما كتب ، وكانت قراءات أخرى وقراءات ، مع صورة أوضح .

واستعدت الكتاب المؤلف ، واعـدت كتابته من جديد — واذكر أن ذلك كان بعدمقتل السادات ، صاحب المبـادرة ، فى العـاشر من أكتوبر سنة ١٩٨١ — ويكاد الكتاب المؤلف ، بعد ما أضيف اليه ، وحـذف منه ، أن يكون شيئا آخر مختلفا تماما ، عن الكتاب الذى ألف من قبل .

ثم جاءت (مسرحية) اطـلاق الرصاص على السفير الاسرائيلى فى لندن ، فى مطالع صيف سـنة ١٩٨٢ ، على نحـو ما سـبق ، وبدأت عملية (السلام فى الجليـل) ، كما سـماها ثلاثى الارهاب ، بيجين / شارون / ايتـان ، وانطلقت جحـافل التتـار الجـدد صوب لبنان ، فكان لابد أن يذهب الكتاب الى المطبعة — لسبب آخر ، غير هـذا السبب (الغزو الاسرائيلى للبنان) ، وهو أن سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ، قـد جالت فى كل المحاور ، التى يمكن أن تجول فيها ، ولم يبق لهـا — فى نظرى — الا مجالات ثلاثة ، لابد أن يكون لكل مجال منها كتاب من كتبها — هى : اليهود ، والمسيحيون ، ثم .. المسلمون أنفسهم .

وهكذا فرض الكتاب نفسه على منطق السلسلة ، تماما كما فرضـه منطق الأحداث من حولنا ومن حول السلسلة على السواء .

وكان على هـذه الأحداث الأخيرة أن تظهر بأية صورة .

ولـما كان ذلك مستحيلا بعد تمام جمع حروف الكتاب فى المطبعة ، فقد اقتنعت بأن (ما لا يدرك كله ، لا يترك كله) ، واخذت أضيف فقـرات محدودة ، تشير الى هـذه الأحداث ، بشكل أو بآخر .. مستغلا كـرم العاملين فى مطبعة الاستقلال ، لتحقيق ما أريد .

وهكذا ، حاولت أن يصل هـذا الكتـاب من كتب السلسلة ، الى مستوى اخوته الاثنى عشر ، الذى سبقوه : دقـة وموضوعية والـماما .

وليصل هـذا الكتاب الثالث عشر ، الى هـذا المستوى المطلوب ، كان لابد من الرجوع الى (كل) ما كتب عن موضوعه .

وما كتب عن اليهودية واليهود — موضـوع الكتاب — كثير كثير ، ومن ثم كان الرجوع اليه كله ، ضربا من ضروب المستحيل .

ويزيد من صعوبة الأمر ، أن هذا الذى كتب ، واحد من اثنين ، فهو اما (مهاجم) لليهود على طول الخط ، بسبب وبغير سبب ، واما (مدافع) عن اليهود على طول الخط ، بسبب وبغير سبب أيضا .

ومن ثم كان مجرد وقوفى على أسباب الهجوم عند فريق المهاجمين ، ومنطق الدفاع عنـــد فريق المدافعين ، ممـــا يغنينى عن طلب المستحيل ، بالرجوع الى كل ما كتب عنهم .

ولا يعنى ذلك أننى رجعت الى كتاب يدافع ، وكتاب يهاجم ، لأختار طريقى بين الخطين المتناقضين ، فان قائمـــة المراجـــع بآخـــر الكتـــاب (ص ١٨٩ — ٢٠٠) تدل على أننى قد رجعت بالفعل ، الى كل ما استطاعت يدى أن تصل اليه ، مما كتب عن اليهود ، ســـواء ما كتب عنهم خصيصا ، وما كتب عنهم بطريقة عابرة — فقد بلغ عدد ما رجعت اليه من كتب فى هذا المجال ، ١٢٥ كتابا عربيا ، وثمانية كتب كتبت باللغـــة الانجليزية ، وهو عدد ليس بالقليل ، فى كتاب يصدر بحجم هذا الكتاب — الثالث عشر .

يضاف الى ذلك ، أن قائمة المراجع فى أى كتاب ، لا تعكس عادة عدد ما قرىء فى موضـــوع الكتاب من كتب ، وانما تعكس القائمـــة ، عـــدد ما (رجع اليه) المؤلف ، واشار اليه فى هوامش الكتاب فقط .

* * *

وعلى ذكر المراجع ، فان هناك مراجع متعددة ، يرجع اليها الباحث فى قضـــية من القضايا عادة ، ولكن الباحثين عادة يفرقون بين مراجـــع أولية — أو أساسية — لابد من الرجوع اليهـــا ، ومراجع ثانوية ، يدل اسمها على قيمتها ، مقارنة على الأقل ، بالمراجع الأولية .

وبالنسبة لمثل هـــذا الكتاب ، عن اليهود واليهودية ، فان المراجـــع الأساسية لابد أن تكون ، هى (التوراة ، و) (التلمود) ، و (بروتوكولات حكماء صهيون) .

والمتتبع للكتابات العربية ، يلاحظ أن أصحابها يحبون اللجوء دائما الى التلمود والبروتوكولات ، بوصفهما يدلان بما لا يقبل الشك ، بما فيهما من تعاليم مفصلة ، على دموية اليهود واليهودية على السواء .

وقـــد اطلعت على الكتب الثلاثة ، ولكن نظرة على قائمـــة المراجع توضح بجلاء ، أننى لم استعن فيما كتبت ، بأى من التلمود ، والبروتوكولات ، وأننى اكتفيت بالعهد القديم — أو الانجيل — وحـــده .

وقـــد كان منطقى فيمـــا فعلت ، أن التلمـــود والبروتوكولات ، كانا (تطويرا) لليهودية ، لتناسب ظروف الزمان والمكان .. بينما تظل التوراة ، هى المرجع الأساسى — أو الأولى — الأول .

ومن ثم فقـــد رأيت الدقة العلمية تفرض على الاعتماد عليها ، دون ســـواها .

يضاف الى ذلك ، أن دموية التلمود والبروتوكولات لا تأتى من فراغ ، ولكنها تأتى من المصدر اليهودى الأول ـــ التـــوراة .

ومن ثم كان استخراج دموية التلمود والبروتوكولات من التـــوراة ، يفرض على جهـــدا ، كان لابد من أن أتحمله ، ليخرج العمـــل كله ، على المستوى الذى أردت أن تكون كتب هـــذه السلسلة عليه منـــذ البداية ، دقـــة وموضوعية ، ورصانة .

ولا أستطيع أن أدعى أننى قـــد بلغت الكمال المنشود فى هذا الكتاب الثالث عشر من كتب السلسلة ، ولا فى كتاب من كتبها الاثنى عشر السابقة ، ولكننى أستطيع أن أقرر ، أننى قـــد بذلت فيه جهدا مقصودا ، لا يبقى بعده الا أن أحتسب عند الله سبحانه ، ما بذل فيه من جهد ، وأن أسأله سبحانه أن يجعله مقبولا عنده ، وأن يحقق به ما أردته منه من نفع ، انه نعم المولى ، ونعم النصـــير .

دكتور عبد الغنى عبود

القاهرة فى : ـــ مطلع ذى الحجة ١٤٠٢ هـ .

ـــ منتصف سبتمبر ١٩٨٢ م .

الفصل الأول

بنـــو اسرائيـــل

تقـــديم :

يعرف علمـاء النفس الشخصية ، بأنها هى ذلك « (الأسلوب) النفسى للفرد ، أو الأسس الأكثر اتساقا واطرادا ، التى تعتمد عليها استجاباته لمواقف الحيـاة » (١) ، أو هى « تنظيم الفــرد لأفكاره وأعماله واتجاهاته فى العمل » ، تنظيما « من شأنه أن يجعل شخصية الفرد ، وحـدة فى أساسها » (٢) .

وعلى ذلك ، فان « كل صفة تميز الشخص عن غيره من الناس ، تؤلف جانبا من شخصيته » ، فالشخصية هى « جمـلة الصـفات ، الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية ، التى تميز الشخص عن غيره ، تمييزا واضحا » (٣) .

ويرى علماء النفس ، أن معنى الشخصية ، « من أشـد معانى علم النفس ، تعقدا وتركيبا ، لأنه يشمل جميع الصفات ، الجسمانية والوجدانية والعقلية والخلقية ، فى حالة تفاعلهـا بعضها مع بعض ،

---

(١) س. ر. ب. جويس : « العقاقير والشخصية » ــ الفصـــل الرابع من : **آفاق جديدة ، فى علم النفس** ــ اشرف على تاليفـــه : ب. م. فوس ــ ترجمـــة دكتـــور فـــؤاد ابو حطب ــ عالم الكتب ــ ١٩٧٢ ، ص ٣١١ .

(٢) دكتـــور سيد محمد غنيم : سيكولوجية الشخصية : محدداتها ، قياسها ، نظرياتها ــ الطبعة الأولى ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٧٣ ، ص ١١٣ .

(٣) دكتـــور احمـــد عزت راجح : اصـــول علم النفس ــ الطبعـــة الخامســة ــ الدار القومية ، للطباعة والنشر ــ ١٩٦٣ ، ص ٤٦٩ .

وتكاملها فى شخص معين ، يعيش فى بيئة اجتماعية معينة » (٤) ، ولأن سلوك الفرد الانسانى ، انما « هو سلوك كلى كتلى معقد ، يخضع لعوامل يرثها الانسان ، كما يخضع لعوامل احتكاك الانسان ، ببيئته الخارجية » (٥) .

ولا تختلف الشخصية (الفردية) تلك ، كثيرا عن شخصية (الأمة) ، أو ما يصطلحون على تسميته (بالشخصية القومية) National Character ، « فالشخصية الفردية تستمد مقوماتها ، من خلال تربيتها » ، و « الشخصية القومية تستمد مقوماتها ، من خلال تربية المجتمع لأبنائه ، تربية يتشرب بها الصغار من الكبار ، الأنماط الثقافية المختلفة ، من قيم وعادات وأنماط سلوك ، ومن اتجاهات عقلية ونفسية ووجدانية ، ومن علاقات اجتماعية ، ومن نظرة الى الحياة والأحياء » ، « أى أنه من خلال التربية أيضا ، تنمو تلك الشخصية القومية ، وتستمر ثقافة المجتمع ، وتتميز تلك الشخصية القومية عما سواها من الشخصيات القومية ، الموجودة فى مجتمعات أخرى»(٦).

وتلعب البيئة الطبيعية هنا دورا واضحا ، فى تحديد (معالم) الشخصيتين ، الفردية والقومية ، على النحو الذى توضحه الدراسات

---

(٤) الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام — من (منشورات جماعة علم النفس التكاملى) — الطبعة الرابعة — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ ، ص ٣٦٣ .

(٥) الدكتور احمد زكى صالح : علم النفس التربوى — الطبعة الثامنة — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٦٥ ، ص ٧٠ .

(٦) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ ، ص ٩٠ ، ٩١ .

الاجتماعية (٧) والاقتصادية (٨) — بل وعلى النحـو الذى يوضحه الطب الحديث ذاته (٩) .

وقـد كان العلامة العـربى المسلم « عبـد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ = ١٣٣١ — ١٤٠٥ م) ، أسبق من هؤلاء العلمـاء المعاصرين جميعا ، الى تحديد تلك (العلاقة العضوية) ، بين شخصية الأمة ، أو (الشخصية القومية) ، وبين هذه العوامل الطبيعية ، وذلك فى (مقدمته) المشهورة (١٠) ، التى وضع بهـا أساس علمى التاريخ والاجتماع معا ، وعلى هـذا الأساس أقام العلماء المعاصرون بنيانهم فى العلمين .. كما وضع بها أساسا لعلم جديد ، لم يستطع العلمـاء المعاصرون أن يخوضوه بعـد ، هـو علم (العمران) ، الذى جعله « المقياس الحقيقى » لفهم التاريخ ، والمجتمعات الحـاضرة ، والتنبؤ بمستقبلهـا » (١١) .

---

(٧) ارجع — على سبيل المثـال — منها — الى :

— جزوف ساموبل داو : كتاب المجتمع ومشاكله ، مقدمة لمبـادىء علم الاجتماع — ترجمـة ابراهيم رمزى — المطبعـة الأميرية ببـولاق — ١٩٣٨ ، ص ١٧ — ١٩ .

— الدكتور احمـد سويلم العمـرى : بحـوث فى المجتمع العـربى (دراسات سياسية) — مكتبـة الانجلو المصرية — ١٩٦٠ ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٨) ارجع — على سبيل المثـال — منها — الى :

— الدكتور أحمـد محمد ابراهيم : الاقتصاد السـياسى — الجـزء الأول — الطبعة الثالثة — المطبعة الأميرية ببولاق — ١٩٣٥ ، ص ١٠٤ .

— JAMES, ALOUZA : Commerce, Stage I,An Introductory Textbook on Business Economics; Ninth Edition, Sir Isaac Pitman and Sons Ltd., London, p. 14.

(٩) ارجع — على سبيل المثـال — الى :

— الكسيس كاريل : الانسان ، ذلك المجهول — تعريب : شـفيق اسـعد فريد — مكتبـة المعـارف — بيروت — ١٩٧٤ ، ص ١٠٥ .

(١٠) العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقـدمة ، من كتـاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر — المطبعة الشرقية — ١٣٢٧هـ ، ص ٩٨ .

(١١) ابن عمـار الصغير : التفكير العلمى عند ابن خلدون — الشركة الوطنية للنشر والتوزيع — الجزائر ، ص ١٠ .

ترى : هل يكون غريبا — بعد ذلك — أن نبحث عن (أصـل) بنى اسرائيل ، اذا نحن أردنا أن نفهم اليهود ، أو ... بنى اسرائيل .

اصـل بنى اسرائيـل :

تعرضنا لأصل اليهود فى كتابين اثنين من كتب هـذه السلسلة ، لمناسبتين مختلفتين ، تتصل كل منهما بموضوع الكتاب — فأما الكتاب الأول ، فهو الكتاب الثانى من كتب السلسلة (الله والانسان المعاصر) ، وأما الكتاب الثانى ، فهو الكتاب السادس من كتبهـا (أنبياء اللـه والحيـاة المعاصرة) .

وقـد تحدثنا عن أصل اليهـود ، فى الكتاب الثـانى من كتب السلسلة ، عند حديثنا عن فكرة (الألوهية) عند بنى اسرائيل (١٢) ، كما تحدثنا عن هـذا الأصل ، فى الكتاب السادس من كتب السلسلة ، فى الفصـل الثـالث ، الذى خصصناه للحـديث عن (أنبيـاء بنى اسرائيل) (١٣) .

وحتى لا نكرر ما قلناه من قبل ، فاننا نتناول أصل اليهود هنا — فى الكتاب المخصص لهم من كتب السلسلة ، من زاوية أخـرى ، تلقى الضـوء على (الشخصية القومية) لبنى اسرائيل — أو (طبيعتهم الخاصة) بهم ، التى تميزهم عن غيرهم .

---

(١٢) دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر — الكتـاب الثانى من سلسلة (الاسـلام وتحـديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٧ ، ص ٧٧ .

(١٣) دكتور عبد الغنى عبود : انبيـاء الله ، والحياة المعـاصرة — الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحـديات العصر) — الطبعـة الأولى — دار الفكر العـربى — سـبتمبر ١٩٧٨ ، ص ٧٣ — ١٠١ — والحديث عن أصلهم يحتل الصفحات ٧٤ — ٧٩ .

وترتد التوراة فى أصل اليهود ، أو بنى اسرائيل ، الى أبى الخلق آدم ، لحكمة ، سنراها بعد قليل .

وتسير التوراة مع آدم وبنيه ، حتى تصل الى نوح ، حيث « رأى الرب أن شر الانسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه ، انما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الانسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه . فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض ، الانسان الذى خلقته . الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأنى حزنت أنى عملتهم . وأما نوح ، فوجد نعمة فى عينى الرب » ، لأنه كان « رجلا بارا كاملا فى أجياله » (١٤) .

وتسير التوراة مع نوح ، كما سارت من قبل مع آدم وبنيه ، ومع الفلك الذى أمره الله بصنعه ، ومع أبنائه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ومع ما منحهم من بركة :

ـ « وبارك الله نوحا وبنيه ، وقال لهم : أثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض » (١٥) .

وترى التوراة ، أنه من أبناء نوح الثلاثة : سام وحام ويافث ، « تشعيب كل الأرض » (١٦) ، ثم تستعرض أحفاد نوح ، الذين منهم « تفرقت الأمم فى الأرض بعد الطوفان » (١٧) .

---

(١٤) العهد القديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح السادس : ٥ ـ ٩ .

(١٥) العهد القديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح التاسع : ١ .

(١٦) العهد القديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح التاسع : ١٩ .

(١٧) العهد القديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح العاشر : ٣٢ .

وتهتم التوراة اهتماما خاصا بنسل سام ، حتى تصل الى أبى الأنبيـاء ابراهيم ، الذى تطلق عليه اسم (ابرام) ، والذى تنسبه الى تارح بن ناحور بن سروج بن رعـو بن فالج بن عابر بن شالح ابن أرفكشاد بن سام بن نوح [١٨] .

وكمـا تهتم التوراة ببركة الله التى أعطاها لنوح ، تهتم بتلك البركة التى أعطاها لابراهيم :

ــ « وقال الرب لابرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك ، الى الأرض التى أريك ، فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك ، وأعظم اسمك ، وتكون بركة . وأبارك مباركيك ، ولاعنك ألعنه » [١٩] .

ثم هى تهتم ــ بعد هـذه البركة ــ بالتـأريخ المفصـل له ، ولزوجته سارة (أو ساراى ــ كما تسميها التوراة) ، ولابن أخيـه لوط ــ مركزة بطبيعة الحال على افتقاده الولد ، الذى يرثه ، ووعد الله له بهذا الولد : « بل الذى يخرج من أحشائك ، هـو يرثك » [٢٠] ، وعلى قصة زواجه من هاجر :

ــ « وأما ساراى ، امرأة ابرام ، فلم تلد له ، وكانت له جارية مصرية ، اسمها هاجر . فقالت ساراى لابرام : هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة . ادخل على جاريتى ، لعلى أرزق منها بنين . فسمع ابرام لقول ساراى . فأخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها ، من بعد عشر سنين ، لاقامة ابرام فى أرض كنعـان ، وأعطتها لابرام

---

(١٨) العهد القـديم : سفر التكوين ــ ١ : الاصحاح الحادى عشر : ١٠ ــ ٢٦ .

(١٩) العهد القديم : سفر التكوين ــ ١ : الاصـحاح الثانى عشر : ١ ــ ٣ .

(٢٠) العهد القـديم : سفر التـكوين ــ ١ : الاصـحاح الخامس عشر : ٤ .

رجلهـا ، زوجـة له • فدخل على هاجر فحبلت • ولمـا رأت أنهـا حبلت ، صغرت مولاتها فى عينيهـا • فقالت ساراى لابرام : ظلمى عليك • أنا دفعت جاريتى الى حضنك • فلما رأت أنها حبلت ، صغرت فى عينيها • يقضى الرب بينى وبينك • فقال ابرام لساراى : هـوذا جاريتك فى يدك ، افعلى بها ما يحسن فى عينيك • فأذلتهـا ساراى ، فهربت من وجهها » (٢١) •

وتلد هاجر اسماعيل ، وأبوه (سيدنا ابراهيم) ، فى السادسة والثمانين من العمـر ، ويغير الله اسمه ـ فى التوراة ـ من ابرام ، الى ابراهيم :

ـ « فلا يدعى اسمك بعـد ابرام ، بل يكون اسمك ابراهيم ، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم ، وأثمرك كثيرا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون » (٢٢) •

كمـا يغير اسم زوجتـه ، من ساراى الى سـارة ، ويبشرها بابن تلده :

ـ « وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك ، لا تدعـو اسـمها ساراى ، بل اسمها سارة • وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا • أباركها ، فتكون أمما ، وملوك شعوب منها يكونون » (٢٣) •

ولا تنسى التوراة أن تشير الى (شـك) سيدنا ابراهيم فى أن تلد سارة له مولودا ، « وهى بنت تسعين سنة » (٢٤) •

---

(٢١) العهد القـديم : سـفر التكوين ـ ١ : الاصـحاح السادس عشر : ١ ـ ٦ •

(٢٢) العهد القديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح السـابع عشر : ٥ ، ٦ •

(٢٣) العهد القـديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح السابع عشر : ١٥ ، ١٦ •

(٢٤) العهد القديم : سفر التكوين ـ ١ : الاصحاح السابع عشر : ١٧ •

ثم تنتقل التوراة بعد ذلك الى (لب القضية) ، ولندعها تقص علينا ما تريد :

ــ « وقال ابراهيم للــه : ليت اسماعيل يعيش أمامك • فقال الله : بل سارة امرأتك ، تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه اسحق • وأقيم عهدى معــه ، عهدا أبديا ، لنسله من بعده • وأما اسماعيل ، فقــد سمعت لك فيه : ها أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا • اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة • ولكن عهدى أقيمه مع اسحق ، الذى تلده لك سارة ، فى هذا الوقت فى السنة الآتية » (٢٥) •

وتلد سارة اسحق لابراهيم ، « وكان ابراهيم ابن مئة سنة ، حين ولد له اسحق ابنه » (٢٦) •

وتبدأ (ملحمة) صراع جديدة ، فى بيت ابراهيم ، ندع التوراة تحدثنا عنهــا :

ــ « ورأت سارة ابن هاجر المصرية ، الذى ولدته لابراهيم يمزح• فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية ، لا يرث مع ابنى اسحق • فقبح الكلام جــدا فى عين ابراهيم ، لسبب ابنه • فقال الله لابراهيم : لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك • فى كل ما تقول لك سارة ، اسمع لقولها ، لأنك باسحق ، يدعى لك نسل • وابن الجارية أيضا ، سأجعله أمة ، لأنه نسلك » (٢٧) •

وماتت السيدة سارة ، عن مائة وسبع وعشرين سنة (٢٨) ، ومات

---

(٢٥) العهد القديم : سفر التكوين ــ ١ : الاصحاح السابع عشر : ١٨ ــ ٢١ •

(٢٦) العهد القــديم : سفر التكوين ــ ١ : الاصــحاح الحادى والعشرون : ٥ •

(٢٧) العهد القديم : ســفر التكوين ــ ١ : الاصــحاح الحــادى والعشرون : ٩ ــ ١٣ •

(٢٨) العهد القديم : ســفر التكوين ــ ١ : الاصــحاح الثــالث والعشرون : ١ •

سيدنا ابراهيم بعدها ، عن مائة وخمس وسبعين سنة (٢٩) . ثم « كان بعد موت ابراهيم ، أن الله بارك اسحق ابنه » (٣٠) ، كما وعد أباه ، قبل أن يولد — على نحو ما سبق ، مقتبسا عن الاصحاح السابع عشر ، من سفر التكوين .

وتزوج الابن المبارك — اسحق ، فى سن الأربعين (٣١) من رفقة بنت بنوئيل الأرامى ، وكانت عاقرا ، فصلى لها اسحق ، « فاستجاب له الرب ، فحبلت رفقة امرأته ، وتزاحم الولدان فى بطنها ، فقالت : ان كان هكذا ، فلماذا أنا ؟ فمضت لتسأل الرب ، فقال لها الرب : فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب يقوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » (٣٢) .

وولدت رفقة ولديها : عيسو ، ويعقوب ، وكان سيدنا اسحق ، فى الستين من عمره ، يوم ولدتهما (٣٣) .

ثم تبدأ (ملحمة) صراع جديدة بين الأخوين ، أو بين الأبوين على الأخوين ، بتعبير أصح ، فقد « كان عيسو انسانا يعرف الصيد ، انسان البرية ، ويعقوب انسانا كاملا ، يسكن الخيام . فأحب اسحق عيسو ، لأن فى فمه صيدا . وأما رفقة ، فكانت تحب يعقوب » (٣٤) .

---

(٢٩) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والعشرون : ٧ .
(٣٠) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والعشرون : ١١ .
(٣١) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والعشرون : ٢٠ .
(٣٢) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والعشرون : ٢١ — ٢٣ .
(٣٣) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والعشرون : ٢٦ .
(٣٤) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والعشرون : ٢٧ ، ٢٨ .

وتنتهى تلك الملحمة ، بذلك المشهد الذى تعرضه التوراة :

— « وحدث لما شاخ اسحق ، وكلت عيناه عن النظر ، أنه دعا عيسو ، ابنه الأكبر ، وقال له : يا ابنى • فقال له : هأنذا • فقال : اننى قد شخت ، ولست أعرف يوم وفاتى • فالآن خذ عدتك ، جعبتك وقوسك ، واخرج الى البرية ، وتصيد لى صيدا ، واصنع لى أطعمة كما أحب ، وأتنى بها لآكل ، حتى تباركك نفسي ، قبل أن أموت »(٣٥) •

وهنا (تتآمر) رفقة مع يعقوب ، وتدخله على أبيه بطعام يحبه ، على أنه عيسو ، وقد عاد بالصيد المطلوب ، ليحصل من أبيه على تلك البركة • ولندع التوراة تتم تلك الملحمة :

— « فدخل (أى يعقوب) الى أبيه ، وقال : يا أبى • فقال : هأنذا • من أنت يا ابنى ؟ فقال يعقوب لأبيه : أنا عيسو بكرك • قد فعلت كما كلمتنى • قم اجلس وكل من صيدى ، لكى تباركنى نفسك • فقال اسحق لابنه : ما هذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى ؟ فقال : ان الرب الهك قد يسر لى • فقال اسحق ليعقوب : تقدم لأجسك يا ابنى • أأنت هو ابنى عيسو ، أم لا ؟ فتقدم يعقوب الى اسحق أبيه ، فجسه ، وقال : الصوت صوت يعقوب ، ولكن اليدين يدا عيسو • ولم يعرفه ، لأن يديه كانتا مشعرتين ، كيدى عيسو أخيه ، فباركه » (٣٦) •

ويعود عيسو من صيده ، ويذهب لأبيه بالطعام الذى أراده ، ليحصل على البركة التى وعده بها ، ليجد يعقوب قد سبقه اليها ، ولتكون المفاجأة لعيسو واسحق معا ، « فارتعد اسحق ارتعادا عظيما جدا ، وقال (لعيسو) فمن هو الذى اصطاد صيدا ، وأتى به الى ،

---

(٣٥) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ١٠ — ٤ •

(٣٦) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ١٨ — ٢٣ •

فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته ؟ نعم ويكون مباركا . فعندما سمع عيسو كلام أبيه ، صرخ صرخة عظيمة ومرة جدا ، وقال لأبيه : باركنى أنا أيضا يا أبى ، قال : قد جاء أخوك بمكر ، وأخذ بركتك » .
« ثم قال : أما بقيت لى بركة ؟ فأجاب اسحق ، وقال لعيسو : انى قد جعلته سيدا لك ، ودفعت اليه جميع اخوته عبيدا ، وعضدته بحنطة وخمر ، فماذا أصنع اليك يا ابنى ؟ » (٣٧) .

ونسير مع التوراة ، من اسحق المبارك ، الى يعقوب المبارك ، الذى ظهر له الله « وباركه ، وقال له الله : اسمك يعقوب . لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك اسرائيل . فدعا اسمه اسرائيل . وقال له الله : أنا الله القدير . أثمر وأكثر . أمة وجماعة أمم تكون منك . وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت ابراهيم واسحق ، لك أعطيها . ولنسلك من بعدك أعطى الأرض » (٣٨) .

ونشأ سيدنا يعقوب — اسرائيل — وبنوه ، فى الشام ، وفيه حدثت قصة سيدنا يوسف الشهيرة ، التى انتقلوا — فيها — من الشام الى مصر ، « محتفظين بلغتهم وعاداتهم ، وصاروا على طول الزمن ، جالية كبيرة ، متميزة ، تتوالد وتتكاثر ، فى محيط الشعب المصرى ، وعرفوا باسم بنى اسرائيل ، وظلوا فى حياتهم يمارسون المهن والأعمال المختلفة المربحة ، ودون اندماج مع المصريين » (٣٩) .

ولنا عودة الى ذلك مرة ثانية ، فى الفصل الرابع من الكتاب ، ان شاء الله .

---

(٣٧) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٣٣ — ٣٧ .

(٣٨) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والثلاثون : ٩ — ١٢ .

(٣٩) محمد اسماعيل ابراهيم : قصص الأنبياء والرسل ، كما جاءت فى القرآن الكريم ، ووردت فى كلام المفسرين ، واخبار المؤرخين — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ٨٩ .

الشخصية القومية اليهودية :

استهللنا هذه الدراسة كلها ، بتقديم لهذا الفصل ، عن الشخصية — الفردية والقومية — وارتباطها بأرض معينة ، لا يمكن — بدونها — فهم معالم هـذه الشخصية •

وفى دراسته الممتعة عن (شخصية مصر) ، يعتبر الدكتور جمال حمدان الجزء الأول من دراسته ، (دراسة فى عبقرية المكان) ، وان كان يسمى الشخصية القومية National Character ، كما اخترنا أن نسميها فى مطلع الدراسة (٤٠) ، باسم آخر ، هو الشخصية الاقليمية Regional Personality(٤١) •

فالشخصية المصريد وليدة مصر : نيلها وصحرائها وبحريها وموقعها على الكرة الأرضية ، وسطا بين شعوب الأرض •

وعلى نمط الدكتور جمال حمدان ، تسير الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، مع اختلاف بينهما فى منهج الدراسة والأسلوب ، فتعتبر مصر « فلتة جغرافية » (٤٢) ، وتعتبر شعبها — بالتالى — فلتة بين الشعوب ، فهو شعب لن يموت • لقد قهره حكامه ، ومن ثم تبلورت فلسفته ، فى أن « يتقوقع على نفسه النفيسة ، ويصنع من دموعه فى محاربه أو عزلته •• لؤلؤة •• فنا وصناعة وطرفا » (٤٣) •

فاذا كانت الشخصية المصرية ، شخصية ذات طابع مميز محدد ، كغيرها من الشخصيات القومية العديدة ، التى تعيش فى هذا العالم منذ عهود سحيقة — فان الشخصية القومية اليهودية ، هى على النقيض من ذلك تماما ، شخصية ضائعة ، لا تربطها بأية أرض جذور • أو على

---

(٤٠) ارجع الى ص ١٨ من الكتاب •

(٤١) دكتور جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان — عالم الكتب — ١٩٨٠ ، ص ١١ •

(٤٢) د• نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٨ ، ص ١٧ •

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ •

حـد تعبير اشبنجلر : ان « اليهود هم (أمة بلا أرض) ، وهم علاوة على ذلك ، إتحـاد يقوم فى وسط عالم ، يتألف من أمم صافية ، ومن الطراز ذاته » ، ومن ثم « فان اليهود ظاهرة شاذة غريبة ، فى تاريخ العـالم » (٤٤) .

ويرى المرحـوم عباس العقـاد ، أن العبريين ــ أو اليهود ــ أو بنى اسرائيل ــ قد نشأوا « منذ أربعين قرنا على وجه التقريب » ، و « أنهم قبيلة بدوية صـغيرة ، عاشت زمنا فى جنوب بلاد العـرب الى الشرق ، وبقيت على حالة بـين الاقامة والترحال الى مسـافات قريبة ، حتى انتقلت ــ مع ملازمتهـا الشاطىء ــ الى جنوب وادى النهرين » . « فالعبريون فى نشأتهم قوم ضعاف ، قليلون فى العدد ، مضطرون الى الاكتفاء بالمعيشة التى يتركها سادة الصحراء ، زهـدا فيها ، واستغناء عنهـا » . « فهـذا الموقع لابد أن يكون قريبا الى الشاطىء ، قريبا الى الحاضرة ، يقيم فيه أناس ، لم يتفرغوا للبداوة فى جوف الصحراء ، ولم يتفرغوا للاقامة فى الحواضر العامرة ، ولكنهم عاشوا بين البادية والحاضرة ، يؤدون الأعمال التى تتطلبها الحاضرة من البادية ، وتتطلبها البادية من الحاضرة ، وهى فى الغالب أعمـال وساطة وسمسرة هادئة ، لا تضطرهم الى الاقدام والغلبة ، فى معاملة أهل المدينة ، ولا فى معاملة أهل الصحراء » ، وأنه « فى هـذه المعيشة البدوية الحضرية ، يكمن كل سر من أسرار التاريخ العبرى ، من فجر التاريخ الى العصر الحاضر ، واليها يرجع تعليل المشكلات والأزمات ، التى تعرض لها العبريون ، أو عرضوا لها أنفسهم ، ولايزالون معرضين لها ، حتى هـذه الأيام » ، وأن « مشكلة العبريين قديمـا وحديثا ، هى هـذه المشكلة ، هى مشكلة (التحجر) على حالة القبيلة ، وحالة (العصـبية) بالدم والسـلالة » ، وأن « هـذه حالة من العـزلة

---

(٤٤) أسوالد اشبنغلر : تدهـور الحضارة الغربية ــ الجـزء الثالث ــ ترجمـة أحمد الشيبانى ــ منشورات دار مكتبـة الحيـاة ــ بيروت ــ ١٩٦٤ ، ص ٣٤ .

(المتعصبة) ، لابد أن تسوق القوم الى اصطدام عنيف ، بينهم وبين جيرانهم من جانب البادية ، ومن جانب الحاضرة » . « الا أنهم — لضعفهم — كانوا يلوذون فى كل موطن سكنوه ، بمن هو أقوى منهم من القبائل ، التى تلتقى بهم فى أصولهم ، ويحتمون بمصاهرتها من أعدائهم » (٤٥) .

وديانة اليهود منغلقة على نفسها ، انغلاق الشعب اليهودى على نفسه « فاليهودية ، أو الاسرائيلية ، كانت — كما يدل عليها اسمها — أشبه بالعصبية ، المحصورة فى أبناء اسرائيل ، منها بالدعوة العامة لجميع الناس .. فكان أبناؤها يكرهون أن يشاركهم غيرهم فيها ، كما يكره أصحاب النسب الواحد ، أن يشاركهم غيرهم فيه ، وكانوا من أجل هذا لا يحركون ألسنتهم — فضلا عن امتشاق الحسام — لتعميم الدين اليهودى ، وادخال الأمم الأجنبية فيه » (٤٦) .

على أنه ليست الديانة اليهودية ، أو العبرية (٤٧) ، هى الديانة المنغلقة الوحيدة فى تاريخ الديانات ، وانما يشبهها فى هذا الانغلاق على النفس ، الديانة الهندوكية (ديانة الهنود) ، والديانة الشنتية أو الشنتوية Shintoism (ديانة اليابانيين) — واليهودية « تشبه الهندوكية والشنتية ، فى أنها ديانة مقفلة ، أى ليست من ديانات الدعوة ، وانما تختلف بأن الهندوكية والشنتية ، كلتاهما ديانة شعب مستقر فى وطنه ، منذ عهد بعيد ، وأن اليهود تعرضوا للشتات غير مرة ، فوقعوا فى أسر مصر وبابل ، وفقدوا وطنهم ، بعد أن استولى العاهل الرومانى (تيتوس) على أورشليم ، سنة سبعين للميلاد » (٤٨) .

---

(٤٥) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين — رقم (٣٠٩) من (المكتبة الثقافية) — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ ، ص ٥٩ — ٦٤ .

(٤٦) عباس محمود العقاد : عبقرية محمد — دار الكتب الحديثة — القاهرة — ١٩٦٦ ، ص ٣٢ .

(٤٧) سنعود الى أصل كلمتى (العبرية) و (العبريين) ، بعد قليل .

(٤٨) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام — دار الهلال — ١٩٧٠ ، ص ٣٦ .

كما يرى المرحوم العقاد ، أنه لا يدرى ، ما اذا كان (العبريون) ، قـد سموا بهذا الاسم ، « لأنهم ينتسبون الى عابر بن سام ، أو لأنهم عبروا نهر الفرات ، بعد قدومهم الى وادى النهرين » ، « ولم يزالوا فى هجرتهم من موطن بعد موطن ، بين العـراق وحـوران وكنعان ، يعيشون الى جوار القبائل ، ولا يتغلبون على واحدة منها فى موقعـة فاصلة ، حتى لجأوا الى مصر ، وعادوا منها بعد عـدة قرون ، الى الأرض التى سموها بأرض الميعـاد ، ولم يتفقوا على حدودها ، حتى ملكوا أسباب القوة ، التى أطمعتهم فى الغلبة عليها » (٤٩) .

وهكذا تكون (اللاأرض) ، أو (اللاوطن) ، هى (المفتـاح) الى فهم (الشخصية القومية اليهودية) ، تماما كمـا نجـد الأرض أو الوطن ، هو (المفتاح) الى فهم الشخصية القومية .. غير اليهودية . انه نتيجة لهـذا الاحسـاس العميق (باللاأرض) ، مع ما يصاحبها من نزعة تعال عنصرى صارخ ، يعوضون بها هـذا النقص ، ويجهرون بها فى كلامهم ، أو يعبر عنها تعاملهم مع غيرهم ، ومع ما يتبعهـا من دفع الشعوب التى يعيشون بينها لأذاهم ، عاش اليهود منـذ هجرة سيدنا يوسف ، كمـا سنرى عند الحديث عن (أنبياء بنى اسرائيل) فيما بعد — عاشوا « فى جو عاصف ، من الخوف والتوجس ، وتوقع اللطمات والضربات القاصمة ، الأمر الذى ترك آثاره الغائرة فى عقولهم ومشاعرهم ، ونظرتهم الى النـاس والحيـاة ، وأسلوب معيشتهم فى المجتمع الانسـانى ، أسلوب الحقـد الدفين ، والثأر من كل انسان ، أيا كان لونه وجنسه ، وذلك عن طبيعة تأصلت فيهم ، وصارت ميراثا ، يرثه الأبناء عن الآباء ، ميراث دم ونسب ، الى يوم الدين » (٥٠) .

---

(٤٩) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقـافة اليونان والعبريين (مرجع سابق) ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٥٠) عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القـرآن — الطبعـة الأولى — دار الشروق — ١٩٧٤ ، ص ١٢ .

ولنا عود الى تاريخهم مع الشعوب الأخرى ، فى الفصول التالية من الكتاب — خاصة الفصل الرابع منه •

الـه بنى اسرائيل :

اله قلق ضائع مضيع ، ذلك الاله الاسرائيلى يهوه ، أو يهوا •• وهو اله عجيب كشعبه ، بل لعله أعجب الآلهة التى اتخذت على الاطلاق ، فى القديم والحديث على السواء •

والاله فى كل فكر دينى ، سماوى أو وضعى ، هو الخالق ، وهو القادر ، وهو المتحكم فى عباده ، والمتصرف فى شئونهم ، وفق ما يراه هو ، لا وفق ما يرونه هم •• أما يهوه أو يهوا ، اله بنى اسرائيل ، فهو نسيج وحـده بين الآلهة ، تماما كشعبه ، الذى يعتبر نسيج وحده بين الشعوب • ان شعب اسرائيل هو الذى خلق الهـه ، وهو الذى يسيره ، ويتحكم فيه ، بعد أن صار يعيش لهم وحدهم ، فجعلهم شعبه (المختار) ، وطلب منهم أن يعيشوا له وحـده • أو على حـد تعبيره فى التوراة ، مخاطبا اياهم :

— « ولكن الصقوا بالرب الهكم ، كما فعلتم الى هـذا اليوم • قـد طرد الرب من أمامكم شعوبا عظيمة وقوية • وأما أنتم ، فلم يقف أحـد قدامكم الى هـذا اليوم • رجل واحـد منكم يطرد ألفـا ، لأن الرب الهكم ، هـو المحارب عنكم ، كمـا كلمكم • فاحتفظوا جـدا لأنفسكم ، أن تحبوا الرب الهكم •

ولكن اذا رجعتم ولصقتم ببقيـة هؤلاء الشعوب ، أولئك الباقين معكم ، وصاهرتموهم ، ودخلتم اليهم ، وهم اليكم ، فاعلموا يقينا أن الرب الهكم ، لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم ، فيكونوا لكم فخـا وشركا ، وسوطا على جوانبكم ، وشوكا فى أعينكم ، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة ، التى أعطاكم اياها الرب الهكم »(٥١)•

(٥١) العهد القديم : سفر يشوع — ٦ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٨ — ١٣ •

ولعل هـذا هو الأساس ، الذى تقوم عليه (حارة اليهود) ... أينما كان هناك يهود ، على نحـو ما سنرى ، عند حديثنا عن (حارة اليهود) ، فى الفصل التالى .

وما دام اله اليهود منصنع اليهود ، فاننا نجد (صورة) هـذا الاله ، تختلف من حالة من حالات اليهـود الى حالة ، ومن سفر من أسفار التوراة الى آخـر ، فان « تصـور الاله عند اليهود ، تطور مع تطور حياتهم ، بالرغم من أنه ظل الها واحـدا .. فهو اله حرب ، كما جاء فى الأسفار الخمسة : التكوين والخروج واللاويون والعدد ، ثم التثنية ، ثم هـو بعد ذلك اله مسالم ، ثم اله متعـال ، حـاكم للعـالم » (٥٢) .

ثمانه ما دام اله اليهـود من صنع اليهود ، فانهم عادة يحبون أن يروه محسوسا ، يكلمهم ويكلمونه ، ويرونه مثلما يراهم ، فقـد « كان اليهود — من بين أصحاب الديانات السماوية — أشـد الناس الحافا على أنبيائهم ، فى طلب الاله المجسد ، ومشاهدته ذاتا مجسدة ، فى وضح النهار » . « ولقد نزعت بهم أنفسهم ، أن يروا الله ، على أية صورة ، ولو كان صنما أو عجلا » (٥٣) .

ولأن (اللاأرض) ، هى الفكرة التى تطارد اليهودى ، فى أعمق أعمـاق ضميره ، فان التشبث بأسباب القوة — كل أسبابها — فكرة يحرص عليهـا اليهودى كل الحرص ، ويلح على الهـه ، أن يكون من أسبابهـا .

---

(٥٢) محمد عبد الله السـمان : مفتريات اليونسكو على الاسلام — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٦ ، ص ٢٧ .

(٥٣) عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا ، قضية الألوهية .. بين الفلسفة والدين — الطبعة الثانية — دار الفكر العـربى — ١٩٧١ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

ولم يكن غريبا ، أن يوصف يهوه ، أو يهوا ، اله بنى اسرائيل ، كثيرا فى التوراة ، بأنه (رب الجنود) •

وها هو (رب الجنود) يقول ، كما يحكى سفر أشعياء على لسانه :

— « لذلك يقول السيد رب الجنود ، عزيز اسرائيل : آه ، انى أستريح من خصمائى ، وأنتقم من أعدائى » (٥٤) •

ثم ها هو رب الجنود ، يزهو أمام جنوده ، ليزدادوا له حبا :

— « ان رؤساء صوعن أغبياء • حكماء مشيرى فرعون ، مشورتهم بهيمية • كيف تقولون لفرعون : أنا ابن حكماء ؟ ابن ملوك قدماء ؟ فأين هم حكماؤك ؟ فليخبروك ، ليعرفوا : ماذا قضى رب الجنود على مصر ؟ » • « فى ذلك اليوم ، تكون مصر كالنساء ، فترتعد وترجف من هزة يد رب الجنود ، التى يهزها عليها • وتكون أرض يهوذا رعبا لمصر • كل من تذكرها يرتعب من أمام قضاء رب الجنود ، الذى يقضى به عليها • فى ذلك اليوم ، يكون فى أرض مصر خمس مدن ، تتكلم بلغة كنعان ، وتحلف لرب الجنود ، يقال لاحداها : مدينة الشمس • فى ذلك اليوم ، يكون مذبح للرب ، فى وسط أرض مصر •• » (٥٥) •

ولا يفتأ رب الجنود يعد شعبه ويمنيه :

— « أرسل هيبتى أمامك ، وأزعج جميع الشعوب التى تأتى عليهم ، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين • وأرسل أمامك الزنابير ، فتطرد الحويين والكنعانيين والحيثيين من أمامك • لا أطردهم من أمامك فى سنة واحدة ، لئلا تصير الأرض خربة ، فتكثر عليك وحوش

(٥٤) العهد القديم : سفر أشعياء — ٢٣ : الاصحاح الأول : ٢٤ •
(٥٥) العهد القديم : سفر أشعياء — ٢٣ : الاصحاح التاسع عشر : ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ •

البرية . قليلا قليلا ، أطردهم من أمامك ، الى أن تثمر وتملك الأرض . وأجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسطين ، ومن البرية الى النهر . فانى أدفع الى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك »(٥٦).

ولكنه لا ينسى — كقائد عسكرى — أن يحمل شعبه تبعة اللين مع الأعداء ، أو التراخى فى تنفيذ ما يأمره به :

— « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحيثيين والعززيين والحويين واليبوسيين . احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت اليها ، لئلا يصيروا فخا فى وسطك . بل تهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواريهم ، فانك لا تسجد لاله آخر . لأن الرب اسمه غيور . اله غيور هو » (٥٧) .

وليس رب الجنود — اله بنى اسرائيل — عنيفا هكذا مع أعدائه وحدهم ، بل انه عنيف كذلك مع شعبه ، أو هكذا يريد هذا الشعب أن يكون الهه معه :

— « ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا : أنا الرب الهك ، الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية . لا يكن لك آلهة أخرى أمامى . لا تصنع تمثالا منحوتا ولا .. لأنى أنا الرب الهك ، اله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء ، فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى . وأصنع احسانا الى ألوف من محبى ، وحافظى وصاياى .. » (٥٨) .

---

(٥٦) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الثالث والعشرون: ٢٧ — ٣١ .

(٥٧) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الرابع والثلاثون : ١١ — ١٤ .

(٥٨) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح العشرون : ٣ — ٦ .

بل انه قــد يكون أعنف ، فيأخذ الأبناء بذنب الآباء ، حتى الجيل العاشر — لا الى الجيل الثالث أو الجيل الرابع فقط — كما سبق :

— « لا يدخل مخصى بالرض ، أو مجبوب فى جمــاعة الرب . لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب . حتى الجيل العاشر ، لا يدخل منه أحــد فى جماعة الرب . لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب . حتى الجيــل العــاشر ، لا يدخــل منهم أحـــد فى جمــاعة الرب الى الأبد » (٥٩) .

ورب الجنودلا يقسو على جنوده ، كراهية لهم ، بل حبا ، وحرصا على ما فيــه مصلحتهم .. ولذلك فانه سريع الرضــا عنهم ، سرعة غضبه عليهم :

— « فقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هــذا الشعب ؟ وحتى متى لا يصدقوننى ، بجميــع الآيات التى عملت فى وســطهم ؟ انى أضربهم بالوباء ، وأبيدهم ، وأصيرك شعب أكبر وأعظم منهم . فقال موسى للرب .. فالآن ، لتعظم قدرة سيدى ، كما تكلمت قائلا : الرب طويل الروح ، كثير الاحسان ، يغفــر الذنب والسيئة .. اصفح عن ذنب هــذا الشعب ، كعظمة نعمتك ، وكما غفرت لهذا الشعب من مصر الى ههنا . فقال الرب : قــد صفحت ، حسب قولك » (٦٠) .

ونتيجة لسرعة غضبه ، وسرعة رضــاه بعد الغضب ، فانه كثيرا ما يندم على هــذا الغضب :

---

(٥٩) العهد القديم : سفر التثنية — ٥ : الاصحاح الثالث والعشرون : ١ — ٣ .

(٦٠) العهد القديم : سفر العدد — ٤ : الاصحاح الرابع عشر : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

— « ولكن الآن ، يقــول الرب : ارجعــوا الى بكل قلوبكم ، وبالصوم والبكاء والنوح • ومزقوا قلوبكم ، لا ثيابكم ، وارجعوا الى الرب الهكم ، لأنه رءوف رحيم ، بطيء الغضب ، وكثير الرأفة ، ويندم على الشر ، لعله يرجع ويندم » (٦١) •

ويتفق مع طبيعة (رب الجنود) ، الذى لا يجيد الا تجميع صفوف شعبه ، ليبيد أعداء هــذا الشعب ، أن يكون — شأن قادة الحــرب العظام — من محبى (الفرفشة) — ولذلك فليس أقرب الى قلبه من وليمة تقام له ، لها طقوسها ومراسمها المحددة :

— « فقال الرب لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل • أنتم رأيتم أننى من السماء تكلمت معكم • لا تصنعوا معى آلهة فضة ، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب • مذبحا من تراب ، تصنع لى ، وتذبح عليه محرقاتك ، وذبائح سلامتك غنمك وبقرك • فى كل الأماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا ، آتى اليك وأباركك • وان صنعت لى مذبحا من حجارة ، فلا تبنه منها منحوتة • اذا رفعت عليها أزميلك تدنسها • ولا تصعد بدرج الى مذبحى ، كيلا تنكشف عورتك عليه » (٦٢) •

ويبــدو أنه لا يحب الذبائح والمحرقات ، بسبب ما توفره له من لحم ، بل بسبب ما يسيل أمامه منها من دم :

— « ••• فتذبح الكبش ، وتأخذ دمه وترشه على المذبح ، من كل ناحية • وتقطع الكبش الى قطعه ، وتغسل جوفه وأكارعه ، وتجعلها

---

(٦١) العهد القديم : سفر يوئيــل — ٢٩ : الاصــــحاح الثــانى : ١٢ — ١٤ •

(٦٢) العهد القديم : سفر الخــروج — ٢ : الاصــحاح العشرون : ٢٤ — ٢٦ •

على قطعه وعلى رأسه • وتوقد كل الكبش على المذبح • هو محرقة للرب • رائحة سرور • وقود هو للرب » (٦٣) •

ويكاد رش دم الذبيحة على المذبح ، أن يتكرر فى كل موقف من مواقف التوراة ، فيه ذبائح ومحرقات ، وما أكثر المواقف التى توجد فيها الذبائح والمحرقات فى أسفار التوراة •• مما يعكس الطبيعة الدموية لرب الجنود •• كما أراد بنو اسرائيل لها أن تكون ، فى •• كتابهم المقدس •

انبياء بنى اسرائيل :

يرى المرحوم عباس العقاد ، أن « ظهور الأنبياء ، حادث جلل ، لا يتكرر فى كل جيل ، ولا يراه الانسان فى عمره مرتين •

ونحن اليوم نعلم من تواريخ كبار الأنبياء ، أنهم أقدموا على مصاعب ، تخيف المقدمين عليها ، وشقوا بدعوتهم طرقا ، لا يسهل تذليلها » •

« أما أحوال النبوة فى بنى اسرائيل ، فينبغى أن نتصورها على غير هذا النحو ، لأنها تخالفه من جملة وجوه ••

فأول ما هنالك من الفوارق ، أن الأنبياء فى بنى اسرائيل ، لم يكن وجودهم ندرة ، ولم يكن بينهم فترة ، فقد يوجد منهم فى العصر الواحد ، أربعمائة نبى ، كما جاء فى سفر الملوك الأول ، حيث جمع ملك اسرائيل (الأنبياء ، نحو أربعمائة رجل ، وسألهم : أأذهب الى رامة جلعاد للقتال ؟) •

وخير ما ورد فى وصف مكان الأنبياء ، بين بنى اسرائيل ، قول

---

(٦٣) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح التاسع والعشرون : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

النبى (محمد) ، صلوات اللـــه عليه : (علمـــاء أمتى كأنبيـــاء بنى اسرائيل) •

فقد كان عمل النبى اذن ، فى بنى اسرائيل ، كعمل العالم الفقيه ، فى الأمة الاسلامية » (٦٤) •

واذا كان الأنبياء كالأطباء ، لا يظهرون الا حيث يوجد المرض ، ويعز الدواء ، فان كثرة الأنبياء المرسلين الى بنى اسرائيل ، دليل على مدى استعصاء المرض ، المركب فى نفوس هؤلاء الضـــائعين المضيِّعين والمضيَّعين •• من خلق الله •

وتعامل بنو اسرائيل مع أنبيائهم ، بنفس الأسلوب الذى تعاملوا به مع الههم ، فأرادوا أن (يسوقوا) الأنبياء أمامهم ، لتحقيق أغراضهم ومطامعهم ، بدلا من أن (يقودهم) هؤلاء الأنبياء ، الى الطريق الذى يجب أن يسلكوه •

واذا كانت وظيفة اله بنى اسرائيل محـــددة ، فى أن يحقق لهم النصر على الأعداء ، فقد تحددت وظيفة الرسل عندهم ، فى أن يكونوا (واسطة) بينهم وبين هـــذا الاله •

وبلغة (الحرب) ، الكامنة فى أعمـــاق بنى اسرائيل ، الضائعين المضيعين : اذا كان اله بنى اسرائيل ، هـــو عندهم (رب الجنود) ، فان النبى فى بنى اسرائيل ، يعتبر بمثابة (أركان حرب) جيش اليهود المحارب •• أو الشعب اليهودى ، بعبارة أصح ، لأن كل يهودى ، يعتبر جنديا مقاتلا ، على نحو ما سنرى •

ويرى المرحوم عباس العقـــاد ، أن « بنى اسرائيل لم يعرفوا النبوة ، على مثال أتم وأكمل ، من نبوة موسى الكليم •• ومع هـــذا ،

---

(٦٤) عباس محمود العقـــاد : حياة المسيح ، فى التـــاريخ وكشوف العصر الحديث — رقم (٢٠٢) من (كتـــاب الهلال) — يناير ١٩٦٨ ، ص ٣٦ ، ٣٧ •

كان أرفع ما تصوروه من معنى وحى الله اليه عليه السلام ، أنه كان يخاطبه فما الى فم ، وعيانا بغير حجاب » ، وأنه « بعد نحو ستة قرون من النبوة الموسوية ، انتهى عهد الأنبياء فى بنى اسرائيل ، ولم يتغير معنى النبوة عندهم فى هـذه الفترة الطويلة ، بل انحـدر الى ما دون ذلك بكثير ، لأن موسى الكليم كان يخاطب الغيب ، ليتلقى الشريعة ، وينقل الى الشعب تحذير الله ، بنصوص ألفاظه ، وأما الأنبياء بعده ، فقـد تكاثروا بالمئات ، ليخاطبوا الغيب فيمـا دون ذلك من الخبايا اليومية » ، وأن « قبائل اسرائيل » « كانت قبلتها القصوى من العبادة ، أن تسلم فى عزلتها ، مع الهها الذى احتكرته واحتكرها ، فلم تطلب من النبوة ، الا ما تلتمسه من السلامة فى تلك العزلة : صناعة موقوفة على استطلاع الغيب ، لتحذيرها من الضربات التى تواجهها ولا تخشاها ، من اله غير الههـا » (٦٥) .

ولأن وظيفة الأنبياء عندهم ، كانت قاصرة على استطلاع الغيب ، كان اليهـود « يسمون النبى بالرائى ، أو النـاظر ، أو رجل الله ، ولم يطلقوا عليه اسم النبى ، الا بعد معرفتهم بأربعة من أنبياء العرب ، المذكورين فى التوراة ، وهم ملكى صادق ، وأيوب ، وبلعام ، وشعيب ، الذى يسمونه يثرون ، معلم موسى الكليم ، ويرجح بعضهم أنه الخضر عليه السلام » (٦٦) .

ويبدأ تاريخ النبوة فى بنى اسرائيل مع تاريخ وجودهم ، أى مع أبيهم الذى ينتسبون اليه ، وهو سيدنا يعقوب — أو اسرائيل ، رغم أنهم يبحثون لها عن جـذور أعمق ، عند الخليل ابراهيم ، لحاجة فى

---

(٦٥) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ ، ص ٧٤ — ٧٦ .

(٦٦) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين (مرجع سابق) ، ص ٧١ .

أنفسهم ، يمكن أن نراها من حياة سيدنا ابراهيم ، كما تعرضها التوراة ، على نحو ما رأيناها عند الحديث عن (أصل بنى اسرائيل) فيما سبق (٦٧) .

ذلك أن سيدنا ابراهيم عندهم ، كان هو الذى بارك سيدنا اسحق ، بوصفه (ابن الحرة) ، ونزع البركة من سيدنا اسماعيل (ابن الجارية) :

— « بل سارة امرأتك ، تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم عهدى معه ، عهدا أبديا ، لنسله من بعده — وأما اسماعيل ، فقد سمعت لك فيه ... ولكن عهدى أقيمه مع اسحق » (٦٨) .

— « اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية ، لا يرث مع ابنى اسحق » (٦٩) .

واذاكان سيدنا اسحق — فى الفكر الدينى اليهودى — قد أتته (البركة) هكذا (طواعية) ، فقد استطاع سيدنا يعقوب — اسرائيل — أن (ينتزع) هذه (البركة) انتزاعا من أبيه — اسحق ، بالغش والخداع ، اللذين اشتهر بهما بنو اسرائيل عبر تاريخهم الطويل . والغش والخداع هنا لم يذكرهما مصدر من المصادر المعادية للسامية ، وانما يذكرهما لنا كتاب اليهود المقدس (العهد القديم) ، على نحو ما أوردناه من قبل ، من آيات (سفر التكوين) ، عند حديثنا عن (أصل بنى اسرائيل) فيما سبق (٧٠) ، حيث كان رد سيدنا اسحق نفسه ، كما أوردته التوراة : « قد جاء أخوك بمكر ، وأخذ بركتك »(٧١).

---

(٦٧) ارجع الى ص ٢٤ ، ٢٥ من الكتاب .

(٦٨) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السابع عشر : ١٨ — ٢١ .

(٦٩) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الحادى والعشرون : ١٠ .

(٧٠) ارجع الى ص ٢٥ — ٢٧ من الكتاب .

(٧١) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح السابع والعشرون : ٣٥ .

وقـد كانت هذه البركة (الموهوبة) لاسحق ، ثم (المسروقة) منه ليعقوب ، هى سر تلك العداوة المزروعة بين بنى اسرائيل وغيرهم ، منذ فجر تاريخهم ، فقد « توارث الاسرائيليون هـذه العداوة ، من جيل الى جيل » ، « وتأصلت فى نفوسهم ، وأثمرت غرورا وعنجهية ، فظنوا فى أنفسهم أنهم (شعب اللــه المختار) ، وأن بقيــة الخلق ، هم الأمم الذين لا يرقون الى مرتبة الانسانية » (٧٢) •

وهكذا يبدأ التاريخ الحقيقى لليهود ، وتاريخ النبوات عندهم ، مع سيدنا يعقوب ، الذى سمى (باسرائيل) كما سبق ، والذى (انتزع) البركة من أبيــه بالمكر والخديعة ، كما رأينا التوراة تقــول • ويقال ان الله قــد بعثه « الى قومه من بنى كنعان ، أو العماليق ، المعروفين فى التاريخ باسم الهكسوس ـــ وكانوا جبابرة ، طغاة ، قساة القلوب ، يحبون الحروب والمنازعات ، طمعا فى الجــاه والسلطان ، وحبــا فى السيطرة على الشعوب ، واستعبادها ، وقــد شــمل نفوذهم مصر ، فأخضعوها لحكمهم سنة ١٨٧٠ ق•م ، وفرضوا على أهلها الجــزية الباهظة ، حتى عام ٥٨٠ ق•م ، وهو عصر قيام الامبراطورية المصرية ، على يد تحتمس الأول » (٧٣) •

وقــد ولد سيدنا يعقوب فى الشام ، ومنهــا انتقل الى مصر فى أعوام القحط والمجاعة ، التى أصابت المنطقة ، « عقب دخــول يوسف عليه السلام الى مصر ، وتبوئه أمانة الخزانة فيها ، واستدعائه لأبويه واخوته ، بنيامين والأسباط ، عليهم السلام » (٧٤) •

---

(٧٢) ابراهيم خليــل احمــد : محمــد ، فى التــوراة والأنجيــل والقرآن ـــ الطبعة الثالثة ـــ مكتبة الوعى العربى ، ص ٥٣ ، ٥٤ •

(٧٣) خليــل طاهر : الأديان والانسان ، منــذ مهبط آدم ، حتى اليهودية ـــ المسيحية ـــ الاسلام ـــ قدم له وراجعه : فضيلة الامام الأكبر ، الشيخ عبدالحليم محمود ـــ دار الفكر والفن ـــ ١٩٧٦ ، ص١٥٠ ، ١٥١ •

(٧٤) الدكتور مصطفى كمال وصفى : محمد صلى الله عليه وسلم ، وبنو اسرائيل ـــ من مطبوعات (لجنة الخبراء) ـــ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ـــ ١٣٩٠ هـ ـــ ١٩٧٠ م ، ص ٩ •

وتبدأ قصة يوسف فى القــرآن الكريم برؤيا ، وتنتهى بتفسـير لهــذه الرؤيا . أما الرؤيا فهى ، كما يوردها القرآن الكريم :

— « اذ قال يوسف لأبيه : يا أبت انى رأيت أحــد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » (٧٥) .

وأما تفسير الرؤيا ونهاية القصة ، فهى كما يوردها القرآن الكريم فى نهاية القصة ، وقرب نهاية السورة التى خصصها له فى القرآن الكريم :

— « فلما دخلوا على يوسف ، آوى اليه أبويه ، وقال : ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين . ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا ، وقال ياأبت هــذا تأويل رؤياى من قبل ، قــد جعلنا ربى حقا ، وقــد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن ، وجاء بكم من البدو ، بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخــوتى ، ان ربى لطيف لمــا يشاء ، انه هــو العليم الحكيم » (٧٦) .

والتوراة تعرض القصة بصورة أخرى ، ملخصها أن القصة كلها ، هى من ترتيب (رب الجنود) ، لتمكين (شعب الله المختار) ، من أعدائه المصريين . تقول التوراة :

— « فقال يوسف لاخوته (عندما دخلوا عليه) : تقدموا الى ، فتقدموا . فقال : أنا يوسف أخوكم ، الذى بعتموه الى مصر . والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا ، لأنكم بعتمــونى الى هنــا . لأنه لاستبقاء حياة ، أرسلنى الله قدامكم » . « فقد أرسلنى الله قدامكم ، ليجعــل لكم بقيــة الأرض ، وليستبقى لكم نجاة عظيمة . فالآن ، ليس أنتم

---

(٧٥) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٤ .

(٧٦) قــرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٩٩ ، ١٠٠ .

أرسلتمونى الى هنا ، بل الله • وهو قد جعلنى أبا لفرعون ، وسيدا لكل بيته ، ومتسلطا على كل أرض مصر • أسرعوا واصعدوا الى أبى ، وقولوا له : هكذا يقول ابنك يوسف : قد جعلنى الله سيدا لكل مصر » (٧٧) •

وهكذا تحولت المسألة ، فى الفكر الدينى اليهودى ، الى (سيادة) على أرض مصر ، كان لها صداها فى تصرف اليهود من بعد يوسف وأبيه ، تصرفا سنراه فى الفصل الثانى ، يؤدى الى تطهير أرض مصر كلها ، من •• شعب الله المختار •

وعند حديثنا عن (أنبياء بنى اسرائيل) ، فى الفصل الثالث الذى خصصناه لهم من الكتاب السادس من كتب السلسلة ، عن (أنبياء الله) ، رأينا أن أنبياء بنى اسرائيل المشهورين ، بعد اسحق ويعقوب ويوسف ، هم « موسى وهارون ، ثم الياس واليسع ، وداود وابنه سليمان ، وكذلك أيوب وذو الكفل ويونس ، وزكريا ويحيى ، وعيسى ابن مريم » (٧٨) •

ولكل من هؤلاء الأنبياء (وضعيته) الخاصة عند اليهود ، بحسب ما (استطاع أن يقدم) لليهود من حل ، فى مشكلة (اللاأرض) ، التى رأيناها تؤرقهم ، وتكاد حياتهم كلها تتمحور حولها •

ولذلك نجد اثنين من هؤلاء الأنبياء ، يحتلان منزلة خاصة ، فى الفكر الدينى اليهودى ، فأما أولهما ، فهو سيدنا موسى ، وأما الثانى، فهو سيدنا داود •

---

(٧٧) العهد القديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الخامس والأربعون : ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ •

(٧٨) دكتور عبد الغنى عبود : أنبياء الله والحياة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٧٣ •

فأما سيدنا موسى ، فلأنه هو الذى (قاد) مسيرة اليهود ، الى بر الأمان ، وبذلك أنقذهم ، لا من «أرض مصر ، من بيت العبودية»(٧٩)— كما تحب التوراة أن تتحدث عن حياة اليهود فى مصر ، ولكن من الفناء التام ، على يـد فرعون مصر •

فلولا موسى — على ذلك — لتحول (شعب الله المختار) ، الى أثر بعد عين •

ويرى مؤسس مدرسـة التحليل النفسى ، اليهودى المشهور ، سيجموند فرويد Sigmond Freud (١٨٥٦—١٩٣٩) ، أنه لا يمكن فهم شخصية سيدنا موسى ، دون فهم شخصية الامبراطور المصرى اخناتون، الذى انتهت على يديه ، الأسرة الحاكمة المصرية الثامنة عشرة ، سنة ١٣٥٠ ق•م ، حيث صـارت مصر فى عهـده ، « امبراطورية عالمية ، وانعكست الامبريالية الجـديدة ، فى تطور بعض الأفكار الدينية ، ان لم يكن فى أفكار الشعب كله ، فعلى الأقل ، فى أفكار الطبقة الحاكمة ، والفعالة ثقافيا • وتحت تأثير كهنة اله الشمس فى آتون (هليوبوليس) ، والذى ربما قوته أفكار ، مصدرها آسيا ، قامت هناك فكرة اله عالمى ، آتون — لم يعد مقصورا على شعب واحـد ، وبلد واحـد • واعتلى العرش ، الشاب أمينحوتب الرابع (الذى غير اسمه فيمـا بعـد ، الى اخناتون) ، ولم يول شيئا عناية ، أكبر من عنايته بتطوير فكرة هذا الاله • ورفع ديانة آتون ، فأصبحت الديانة الرسمية ، وبذلك صـار الاله العالمى ، هو الاله الواحد » (٨٠) •

---

(٧٩) ارجع مثلا الى :

— العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح العشرون : ٢ •

(٨٠) سيجموند فرويد : موسى والتوحيد (اليهـودية ، فى ضـوء التحليل النفسى) — ترجمـة دكتور عبد المنعم الحفنى — الطبعة الثانية— مطبعة الدار المصرية ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ ، ص ١٢٧ •

ويرى فرويد ، أن انتهاء أمر الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٣٥٠ق٠م، قد قاد مصر الى الفوضى ، وبدء اصلاحات اخناتون الدينية التوحيدية ، وأنه « ربمـــا كان هناك رجـــل بين خلصـــاء اخناتون ، يدعى توتمس Thothmes ، كما يدعى الكثير فى ذلك الوقت ، ولا يهم الاسم ، ولكن الجزء الثانى من اســـمه ، لابد كان (موسى Mose) ، وكان يشغل منصبا كبيرا ، وكان من المؤمنين ، المقتنعين بديانة آتون ، ولكنه كان على نقيض الملك المتأمل ، كان ذا قـــوة وعاطفة متدفقة • وكان موت اخناتون ، والقضاء على ديانته ، يعنى بالنسبة لهذا الرجل ، نهـــاية كل آماله » (٨١) •

كما يرى ، نه يحتمل أن يكون موسى ، فى لحظة ضيقه هذا ، قـــد « اتصل بقبيلة سامية معينة ، كانت قـــد هاجرت منذ بضعة أجيال ، وتحول فى يأســـه وفى وحدته ، الى أولئك الأغراب ، وبحث فيهم عن تعويض لمـــا كان قد فقـــده ، واختارهم ليكونوا شعبه ، وحاول أن يحقق من خلالهم ، مثله ، وبعـــد أن غادر مصر معهم ، يصحبه أتباعه الملاصـــقون ، باركهمبختـــانهم ، ومنحهم الشرائع ، وبشرهم بديانة آتون ، التى كان قـــد نبذها المصريون توا • وربمـــا كانت الشرائع ، التى أخـــذ بها موسى يهوده ، كانت أقسى من الشرائع ، التى استنها سيده ومعلمـــه اختاتون ، وربما كان قـــد ألغى كذلك ، الارتباط باله الشـــــمس فى أون ، الذى كانت ديانة اخنـــــاتون ، ما تـــزال من المؤمنين به » (٨٢) •

واذا كان موسى — عند فرويد — قـــد ترك شعبه — فى مصر — واختار بنى اسرائيل ليكونوا شعبه ، ومن ثم صاروا شعبه المختار ••

---

(٨١) المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ •
(٨٢) المرجع السابق ، ص ١٢٩ •

كما صاروا (شعب الله المختار) — لذلك أيضا ، لأن الله سبحانه ، هو الذى اختارهم له ، وكلفه باللجوء اليهم ، ليقودهم من أرض العبودية ، فى مصر (٨٣) .

ويضيف لنا فرويد بذلك ، تفسيرا جديدا ، (لشعب الله المختار) ، التي يصف بها اليهود أنفسهم ، بالاضافة الى التفسير اليهودى الأصلى لها ، وهو أن الله قد اختار جدهم الأكبر ، يعقوب (أو اسرائيل) ، الذى ينسبون اليه ، من بين أبناء سيدنا اسحق ، كما اختار اسحق ذاته ، من بين أبناء ابراهيم ، وهكذا .. حتى نصل الى سيدنا آدم ، أبى البشر ، على نحو ما رأينا من (البركة) الممنوحة للبعض ، والتى حرم منها البعض ، عند حديثنا عن (أصل بنى اسرائيل) ، فى مطلع هذا الفصل (٨٤) — أى بالاضافة الى التفسير ، الذى يستريحون اليه كثيرا ، وهو أنهم (خيار من خيار) ، أو (صفوة الصفوة) ، بحكم هذه البركة الممنوحة — أو البركة المسروقة فى بعض الحالات — كما نجد فى بركة سيدنا يعقوب ذاته ، فقد حصل عليها — كما سبق — بخداعه لأبيه اسحق ، فقد كان ينوى اعطاءها لأخيه ، فتحايل عليه لأخذها (٨٥) .

واذا كان سيدنا موسى يعتبر بطل (الهروب) بشعبه أمام فرعون مصر ، وبهذا الهروب (أنقذ) شعب الله المختار ، فان سيدنا داود يعد — فى نظرهم — بطل (الكر والفر) أمام الأعداء ، « وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك — ملك أربعين سنة . فى حبرون ، ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر ، وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة ، على جميع اسرائيل ويهوذا » (٨٦) — وفيها جعل للشعب الطريد ، أرضا ووطنا ، وأقام لهم فيها دولة ، أذل بها أعداء الشعب المختار ، من

---

(٨٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٨٤) ارجع الى ص ٢٠ — ٢٧ من الكتاب .
(٨٥) ارجع الى ص ٢٦ — ٢٧ من الكتاب .
(٨٦) العهد القديم : سفر صموئيل الثانى — ١٠ : الاصحاح الخامس : ٤ ، ٥ .

الفلسطينيين والموآبيين (٨٧) ـ أو على حـد تعبير يهوا له فى التوراة ـ قبل أن يقوم بهـذا الاذلال ، لأعداء بنى اسرائيل :

« هكذا قال رب الجنود : أنا أخذتك من المربض ، من وراء الغنم ، لتكون رئيسا على شعبى اسرائيل • وكنت معك حيثما توجهت ، وقرضت جميع أعدائك من أمامك ، وعملت لك اسما عظيما ، كاسم العظماء الذين فى الأرض • وعينت مكانا لشعبى اسرائيل ، وغرسته فسكن فى مكانه ، ولا يضطرب بعد ، ولا يعود بنو الاثم يذللونه ، كما فى الأول » (٨٨) •

وكان داود قـد تولى الملك ، بعد عزل شاول ، المؤسس الحقيقى لملكة اسرائيل سنة ١٠٩٥ ق•م•

ولذلك « يأتى داود عند العبريين ، بعد ابراهيم وموسى ، فى مقام النبـوة ، وهو رأس البيت المـالك ، الموعود بالملك الأبدى فى هـذا العـالم ، ورب الأسرة ، التى ينتظرون الخـلاص على يدى ملك من ملوكها ، يعود الى صهيون آخـر الزمان » (٨٩) ـ كما نجد النجمـة السداسية ، التى تعلو علم دولة اسرائيل اليوم ، تنسب اليه (نجمـة داود) ، تيمنا به وبهـا •

انه يعتبر (سوبر مان) اليهود •• أو المثل الأعلى ، الذى يجب على كل يهـودى أن يكونه ••• بمـا أوتى من قدرات (خارقة) ، خـدم بهـا •• الدولة العبرية •

---

(٨٧) العهد القديم : سفر صموئيل الثانى ــ ١٠ : الاصحاح الثامن : ١ ، ٢ •

(٨٨) العهد القديم : سفر صموئيل الثانى ــ ١٠ : الاصحاح السابع : ٨ ــ ١٠ •

(٨٩) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين (مرجع سابق) ، ص ٧٩ •

كتاب بنى اسرائيل

التوراة ، هى الكتاب المقدس عند اليهود .

و « التوراة كلمة عبرانية ، معناها الشريعة ، أو الناموس »(٩٠)، وهى التى « طلبها بنو اسرائيل من موسى ، بعد خروجهم من مصر » ، « فى يوم الفصح ١٢٥٠ ق.م. ، الموافق ١٠ محرم (عاشوراء) » ، « ثم عادوا وسألوا موسى عن الكتاب ، الذى وعدهم أن يأتيهم به من عند الله ، لأنه لم يكن قد نزل عليهم كتاب ولا شريعة ، ينتهون اليها .. وسأل موسى ربه فى ذلك ، فوعده بعد ثلاثين ليلة ، فصامها حتى أتمها ، وتطهر وطهر ثيابه ، وصعد الى جبل الطور ، لتلقى كتابه » . « ثم عاد موسى الى قومه ، بعد أن اصطفاه ربه على الناس بالرسالة ، وقربه اليه بكلامه معه ، وكتب له الألواح ، وتعرف فى القرآن بالتوراة » (٩١) — وان كانت غير التوراة الحالية ، بطبيعة الحال، بعد ما دخل عليها من التحريفات ، على طريقة الاسرائيليين فى التعامل مع الحق الذى ينزل عليهم من السماء دوما .

وتحكى لنا سورة الأعراف ، قصة هذه الألواح كاملة فتقول :

— « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ، وأتممناها بعشر ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون : اخلفنى فى قومى وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين ... وكتبنا له فى الألواح من كل شىء ، موعظة وتفصيلا لكل شىء ، فخذها بقوة ، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ، سأوريكم دار الفاسقين ... واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار .. ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ، قال : بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ؟ وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره اليه .. ولما سكت عن موسى الغضب ، أخذ الألواح ، وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون »(٩٢) .

(٩٠) خليل طاهر (مرجع سابق) ، ص ١٨٧ .
(٩١) المرجع السابق ، ص ١٨٥ — ١٨٧ .
(٩٢) قرآن كريم : الأعراف — ٧ : ١٤٢ — ١٥٤ .

الا أن « الأمر الصحيح ، أن توراة موسى الأصلية كانت صغيرة ، بحيث تكتب على اثنى عشر حجرا ، بخط واضح ، وظلت هذه التوراة متداولة فى أيدى علماء بنى اسرائيل ، الى زمن السبى البابلى • وفى مدينة بابل بالعراق ، اتفق علماء بنى اسرائيل ، على جمع مأثورات التاريخ القديم ، خاصة ما يتعلق بنسب اسحق عليه السلام ، ووضع توراة موسى بين المأثورات • وقد تم ذلك على يد عزرا فى بابل » (٩٣) •

يؤيد ذلك ، قول ول ديورانت ، انه « فى وقت سيادة الفرس على اليهود ، شرع الكهنة فى وضع قواعد حكم دينى ، يقوم على المأثور من أقوال الكهنة وتقاليدهم ، وعلى أوامر الله • وفى عام ٤٤٤ قبل الميلاد ، دعا عزرا ، وهو كاهن عالم ، اليهود ، الى اجتماع عام خطير ، وشرع يقرأ عليهم ، من مطلع النهار الى منتصفه ، سفر (شريعة موسى) » • « وظل شيوخ اليهود يضيفون اليه القصص والحكايات ، وما يتصورون أنه كان مسيرة الانسان على الأرض »(٩٤) •

ويؤيده أيضا ، أن سيدنا موسى ، فيما ترويه التوراة نفسها عنه ، كان يتوقع منهم ذلك — يقول سفر التثنية :

— « عندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب الى تمامها ، أمر موسى اللاويين بين حاملى تابوت عهد الرب ، قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ، ليكون هناك شاهدا عليكم • لأنى أنا عارف تمردكم ، ورقابكم الصلبة • هوذا ،

---

(٩٣) الشيخ رحمت الله الهندى (١٢٣٣ — ١٣٠٨هـ) : اظهار الحق — تقديم وتحقيق وتعليق : الدكتور احمد حجازى السقا — الجزء الأول — دار التراث العربى للطباعة والنشر — ١٩٧٨ ، ص ٢١٤ (هامش ١١) .

(٩٤) نقلا عن :

محمد صبيح : المعتدون اليهود ، من أيام (موسى) ، الى أيام (ديان) — مطبعة دار العالم العربى — ١٩٦٨ ، ص ٨ ، ٩ .

وأنا بعد حى معكم اليوم ، قد صرتم تقاومون الرب ، فكم بالحرى بعد موتى ؟ اجمعوا الى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم ، لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والأرض • لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون ، وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ، ويصيبكم الشر فى آخر الأيام ، لأنكم تعملون الشر أمام الرب ، حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » (٩٥) •

وتسمى (التوراة) (بالعهد القديم) ، تمييزا لها عن (العهد الجديد) ، أو (الانجيل) — كتاب النصارى • ويجتمع العهدان ، القديم (التوراة) ، والجديد (الانجيل) ، فى كتاب واحد ، هو (الكتاب المقدس) ، الذى يؤمن به النصارى كله ، بينما لا يؤمن اليهود الا بنصفه (العهد القديم فقط) •

وتنقسم التوراة ، أو العهد القديم ، الى أسفار ، تبلغ عدتها ٣٨ سفرا ، فى القسم الأول من العهد القديم ، وتسعة أسفار فى القسم الثانى منه ، ليبلغ عددها الكلى ٤٧ سفرا •

وأسفار القسم الأول من العهد القديم (الـ ٣٨) « كانت مسلمة عند جمهور قدماء المسيحيين ، والسامريون لا يسلمون منها الا بسبعة أسفار : الأسفار الخمسة ، المنسوبة الى موسى عليه السلام ، وسفر يشوع بن نون ، وسفر القضاة ، وتخالف نسخة توراتهم ، نسخة توراة اليهود » (٩٦) •

ومن الكتب التى نزلت على بنى اسرائيل ، بعد التوراة — **الزبور** ، الذى نزل على سيدنا داود ، واليه أشار القرآن الكريم ، فى مناسبات مختلفة — مثل :

---

(٩٥) العهد القديم : سفر التثنية — ٥ : الاصحاح الحادى والثلاثون : ٢٤ — ٢٩ .

(٩٦) الشيخ رحمت الله الهندى (١٢٣٣ — ١٣٠٨ هـ) : اظهار الحق — الجزء الأول (مرجع سابق) ، ص ٧٧ .

— « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ، أن الأرض يرثها عبادى الصالحــون » (٩٧) •

— «وربك أعلم بمن فى الســموات والأرض ، ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود زبورا » (٩٨) •

— « انا أوحينا اليــك ، كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ••• وآتينا داود زبورا » (٩٩) •

ولم ترد فى القرآن الكريم (تفصيلات) خاصة بالزبور ، كما حدث بالنسبة للتوراة ، وكل ما ذكــر فيه عنه ، أن فيه (موعظة ، وتفصــيلا لكل شىء) — شأنه شأن أى كتاب نزل من السماء •• الا أن الزبور الذى نزل على داود ، يبــدو أنه — كالتوراة — قــد أصابته أصابع العبث اليهــودى ، حيث يلاحظ أن « المشابهــة قريبــة جــدا بين مزاميره ، وصلوات ذلك الملك ، الذى تقــدم بالدعوة الى التوحيــد ، فى مصر القديمة » ، « اخناتون » • « وأيا كان مصــدر هــذه المزامير المتشابهة، فالواقع المقــرر أن اخناتون سـبق داود بأكثر من ثلاثة قرون ، وأن العبريين لم ينشئوا هــذا المذهب فى الصلوات الدينية ، قبل شــعوب العالم فى جوارهم ، ولا فى غير ذلك الجوار »(١٠٠) •

وسوف نرى فيما بعد ، عند حديثنا عن (الحضارة اليهودية) ، فى الفصل الثالث ، مدى تأثر اليهود — فى كل شىء — بدين الدولة التى

(٩٧) قرآن كريم : الأنبياء — ٢١ : ١٠٥ •
(٩٨) قرآن كريم : الاسراء — ١٧ : ٥٥ •
(٩٩) قــرآن كريم : النساء — ٤ : ١٦٣ •
(١٠٠) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقــافة اليونان والعبريين (مرجع سابق) ، ص ٧٩ — ٨١ •
وقــد أشرنا من قبل الى العلاقة العضــوية بين الفكر الدينى لموسى خصوصا ، واليهودى على وجه العموم ، وبين الفكر الدينى لاخناتون ، نقلا عن مؤسس مدرسة التحليل النفسى الحديثة ، اليهودى سـجمند فرويد — ارجع الى صفحتى ٤٥ و ٤٦ من الكتاب •
فالمســألة ليست تأثر المزامير وحــدها بصلوات اخنــاتون ، بل تأثر اليهودية كلها بفكره الدينى •

وقعوا تحت تأثيرها ، ثم ادعاءهم — بعد ذلك ورغمه — أن الحضارة حضارتهم هم ، ولو من باب الكذب والادعاء ، الذى عرفوا به ، منذ أقدم العصور .

ثم يأتى دور **التلمود** فى الحديث .

و « لفظ التلمود يعنى التعليم » (١٠١) ، عند ول ديورانت .

ويرى ول ديورانت ، أن « التلمود » « ليس » « موسوعة من التاريخ والدين والشعائر والطب والأقاصيص الشعبية وحسب ، بل هو فوق هذا كله ، رسالة فى الزراعة وفلاحة البساتين والصناعة والمهن والتجارة وشئون المال والضرائب والملك والرق والميراث والسرقة والمحاكمات القضائية والقوانين الجنائية » ، و « أن التلمود ، أولا وقبل كل شىء ، قانون أخلاقى ، وأن هذا القانون الأخلاقى ، شديد الاختلاف عن القانون المسيحى ، وعظيم الشبه بالقانون الاسلامى » (١٠٢) — وهو أمر يذكرنا بما قلناه من قبل ، عن تأثر اليهود ، بالدولة التى وقعوا تحت تأثيرها .

كما يرى أن اليهود قد اضطروا الى تأليفه ، عندما لم تستطع أحكام التوراة ، أن تفى « بجميع حاجات أورشليم ، بعد أن فقدت حريتها ، ولا اليهودية بعد أن فقدت أورشليم ، ولا الشعب اليهودى فى خارج فلسطين » ، ومن ثم صارت الضرورة تقضى بتفسير « الشريعة الموسوية ، تفسيرا يهتدى به الجيل الجديد ، والبيئة الجديدة ، ويفيدان منه » ، على أساس أن « موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة » ، « بل ترك له أيضا شريعة شفوية ، تلقاها التلاميذ عن المعلمين ، ووسعوا فيها ، جيلا بعد جيل » (١٠٣) .

---

(١٠١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ ، ص ١٥ .

(١٠٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٠٣) المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

والتلمود من وضع الفريسيين (١٠٤) ، الذين يرد ذكرهم كثيرا فى أسفار العهد الجديد (الانجيل) ، على لسان السيد المسيح ، صابا جام غضبه عليهم ، بوصفهم أكبر الواقفين فى طريق دعوته ، والصادين عن طريق الحق ، الذى يدعو اليه — فى مثل قوله — مخاطبا اياهم :

— «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ٠٠ » — « أيها الحيات أولاد الأفاعى : كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ » (١٠٥) ٠

وقد كان الذى كتب التلمود من هؤلاء الفريسيين ، هو الحاخام (يهوذا هاتاسى) ، وسمى كتابه باسم (المشنة) أو (المشنا) ، ثم أضاف اليه الحاخامات من بعده ، تفصيلات وشروحا ، ظهرت فى كتاب سمى باسم (جمارا) ٠

ويختلف تلمود بابل عن تلمود أورشليم ، حيث كان حاخامات بابل ، هم الذين أضافوا الى (المشنة) ، وشرحوها وفسروها ، وكان حاخامات أورشليم (القدس) ، هم الذين أضافوا الى (المشنة) ، وشرحوها وفسروها ٠ على أن التلمود المتداول بين اليهود ، هو تلمود بابل ، الذى نشرت طبعته الكاملة فى البندقية سنة ١٥٢٠ م ، والذى يحرص اليهود على جمع نسخه من الأسواق ، اذا طبع ، حتى لا يتداول بين غير اليهود ، وذلك لأنه « يفضح أساليبهم ، ويكشف عن نفسيتهم تجاه الأمم الأخرى ٠٠ تلك النفسية التى تظهر واضحة على حقيقتها ، عندما يملكون ويسيطرون ، وتصبح لهم قوة ، ينفذون بها ما يعتقدون » (١٠٦) — كما هو حالهم ، قبل تأسيس دولة اسرائيل وبعدها — على نحو ما سنرى فى الفصل التالى ٠

---

(١٠٤) الفريسيون احدى فرق اليهود ، التى سنتحدث عنها فى الفصل الثانى ٠

(١٠٥) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٢٩ — ٣٣ ٠

(١٠٦) التلمود ، شريعة بنى اسرائيل (حقائق ووقائع) — ترجمة واعداد محمد صبرى — مكتبة مدبولى ، ص ٦ ، ٧ ٠

وبعد التلمــود ، تأتى بروتوكولات حكماء صــهيون ، فى المرحلة الأخيرة من مراحل تطور اليهودية ، من حركة دينية ، مغلوبة على أمرها ، لا تستطيع أن تعمل الا فى الظلام ، الى حركة سياســية ، قادرة على الفعل ، سميت باســم الصهيونية .

والواقع أن « اليهودية والصهيونية شىء واحد ، أو وجهان لعملة واحــدة ، كما يقـــال ، وليس من الصــحيح ، ما يهتف به المضـــللون أو المضللون ، من أن اليهودية دين ، والصهيونية فكرة قومية سياسية ، اذ الواقع ، أن الصهيونية تخــدم اليهود ، وأن اليهودية لهــا نفوذها وسيطرتها ، على أولئك الصهيونيين ، سياسيين وغير سياسيين ، كمــا كشف عن ذلك بعض علمــاء السياسة ، فى أوربا نفسها » (١٠٧) — على نحو ما سنرى فيما بعد ، فى فصول الكتاب التاليــة .

---

(١٠٧) الدكتور على عبد الحليم محمود : الغــزو الفكرى ، واثره فى المجتمع الاســلامى المعاصر — الطبعــة الأولى — دار البحوث العلمية — الكويت — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ١٥٧ .

الفصل الثانى

الدولة العبرية

تقـــديم :

فى حديثنا عن (الشخصية المصرية) ، الذى أشرنا اليه ، عند حديثنا عن (الشخصية القومية اليهودية) ، فى الفصل السابق [1] ، تتحدث الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، عن (الشخصية المصرية) ، التى استمدت مقوماتها من (الأرض) التى تعيش عليهـا ، فكان أوضح سماتها الفن والعبقرية ، برغم القهر السياسى ، الذى فرض على هــذه الشخصية •• وترى أنه لم يوجــد فى حياة هذه الشخصية المصرية العبقرية •• مكان لحائط المبكى [2] ــ الذى يعتبر أبرز معالم الفكر الدينى اليهودى ، بسبب (اللاأرض) ، التى رأيناها فى الفصل السابق ، تطارد الشخصية اليهودية ، فتؤرقها تأريقا ، وتميزها عن أية شخصية أخرى غيرها ، فى عالمنا الذى نعيش فيــه ، والذى عاش فيــه غيرنا من قبلنـــا •

ومثلما تعتبر (اللاأرض) ، هى المفتاح لفهم الشخصية اليهودية ، فان (حائط المبكى) يعتبر المفتاح لفهم (الدولة) فى الفكر اليهودى •

ولم يرد للدولة ذكر ، فى الفكر الدينى اليهودى ، لأن الدولة تحتاج الى أرض ، يعيش عليها الشعب ، ويختار لادارة شئونه فيها حكومة ، وهو الشىء الذى طالمـا حلم به اليهود ، وقلما حققوه • وانما الذى ورد فى هذا الفكر الدينى اليهودى ، هو (الأرض) ، والأرض هنا هى أرض الغير ، لا أرض اليهــود ــ وها هى التوراة ، تحدثنا عن أرض الغير تلك ، كما يحدثنا عنها يهوه ــ اله بنى اسرائيل :

---

(١) ارجع الى ص ٢٨ من الكتاب •

(٢) د• نعمات أحمــد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٢٢٦ •

— « قــد طرد الرب أمامكم شعوبا عظيمة وقوية • وأما أنتم ، فلم يقف أحــد قدامكم الى هــذا اليوم • رجل واحد منكم يطرد ألفا ، لأن الرب الهكم هــو المحارب عنكم كلكم ، فاحتفظوا جدا لأنفسكم ، أن تحبوا الرب الهكم » (٣) •

— « وأرسل أمامك الزنابير ، فتطرد الحويين والكنعانيين والحيثيين من أمامك » (٤) •

— « احفظ ما أنا موصيك اليوم • ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحيثيين والعزيين والحويين واليبوسيين » (٥) •

وكأن (حائط المبكى) فى الفكر الدينى اليهودى ، هو التعبير الحى عن (اللاأرض) ، التى رأيناها تشكل الضمير اليهودى كله •

حائط المبكى :

يرى أنيس منصور ، أن « العالم كله يتفق على شىء واحــد : كراهية اليهود » ، وذلك لأن « الديانة اليهودية نفسها تؤكد أن اليهود هم شعب اللــه المختار •• وأنهم سادة البشر ، وأن الأرض لهم » •

« وبهذه الروح المتعالية ، وبهذا التقديس الذاتى ، عاش اليهود فى صراع مع كل الأديان ، وكان نصيبهم الطرد والتعذيب والاضطهاد ، من بابل ، حتى برلين » •

« وعلى الرغم من هــذا التســامى على النــاس كلهم ، فانهم مضطرون الى أن يقــوموا بأحقر الأعمال ، لكى يعيشوا بين الناس • فهم يتعالون على النــاس ، وفى نفس الوقت منبوذون محتقرون من النــاس •

---

(٣) العهد القديم : سفر يشوع — ٦ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٨ — ١٠ •

(٤) العهــد القــديم : سفر الخــروج — ٢ : الاصــحاح الثالث والعشرون : ٢٨ •

(٥) العهد القــديم : ســفر الخــروج — ٢ : الاصــحاح الرابع والثلاثون : ١١ •

ومن هذا التسامى ، وهــذا الهوان ، تكونت الشخصية اليهودية ، المطرودة المنفية من العالم » (٦) .

ويرى جودسل ، أن سر استمرار هــذا اليهودى الضائع ، هو هــذا اليهودى الضائع ذاته ، فقد « كان للمنزل اليهودى دوما وظائف بالغة الأهمية ، للأسرة والقبيلة على السواء . لقد كان هــو المؤسسة التربوية الوحيــدة للجماهير ، حتى عصر المسيح ، وكان الآباء ، هم المدرسين الأساسيين للأطفال ، وكانت العلاقة بين الأب وابنه ، علاقة ذات طابع بطريركى » (٧) . « وكانت الأسرة اليهودية مدرسة ذات قيمة خلقيــة واجتماعية ، وكانت تقــوم بوظائف محددة ، اجتماعية ودينية واقتصادية وتربوية » (٨) .

ويؤيد وجهــة نظر جودسل تلك ، ما يراه ول ديورانت ، من أنه « كان كل بيت فى بلاد اليهود كنيسا ، وكل مدرســة معبدا ، وكل أب كوهنا . فصلوات الكنيس وطقوسه ، كان لهــا مثيلات موجــزة ، فى البيت ، وكان الصوم والأعياد الدينيــة ، يحتفل بها فيــه احتفالات تعليميــة ، تربط المــاضى بالحــاضر ، والأحيــاء بالأموات ، وبمن لم يولدوا بعد » .

« ولم يكن الكنيس معبدا دينيا فحسب ، بل كان فوق ذلك المركز الاجتماعى للعشيرة اليهودية » .

« وكان بكل كنيس مدرسة » . « وأكبر الظن أن نسبة من كانوا يعرفون القراءة والكتابة بين يهود العصور الوسطى ، كانت أكبر منها بين المسيحيين ، وان كانت أقل منها بين المسلمين » .

---

(٦) انيس منصــــور : الحــــائط والدموع ــ الطبعــة الأولى ــ دار الشروق ــ يناير / كانون الثانى ١٩٧٢ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(7) GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Institution; The Macmillan Company, New-York, 1923, pp. 73, 74,

(8) Ibid., p. 76,

« وأول ما كان يدرسه الغلام اليهودى ، هو اللغة العبرية ، وأسفار موسى الخمسة ، فاذا بلغ العاشرة من عمره ، بدأ يدرس المشنا ، وفى الثالثة عشرة ، يأخذ فى دراسة الأجزاء الرئيسية من التلمود » (٩) .

ثم يضيف ول ديورانت ، أنه « كان يطلب الى كل جالية فى بلد ، أن تقيم على نفقتها مجتمعة ، ما لا يقل عن مدرسة ابتدائية ، وأخرى ثانوية ، يضمها فى العادة ، الكنيس نفسه ، وكان يشار على العلماء ، ألا يعيشوا فى بلد ، يخلو من هاتين المدرستين » . « وكان الدين هو الموضوع الذى يدور حوله التعليم اليهودى ، أما الثقافة غير الدينية ، فكادت فى ذلك الوقت أن تهمل اهمالا تاما » (١٠) .

ثم يؤكد على أنه قد « ظل التلمود أربعة عشر قرنا من الزمان ، أساس التربية اليهودية وجوهرها .

وكان الشاب العبرانى ، ينكب عليه سبع ساعات فى كل يوم ، مدى سبع سنين ، يتلوه ويثبته فى ذاكرته ، بلسانه وعينه . وكان هو الذى يكون عقولهم ، ويشكل أخلاقهم ، بما تفرضه دراسته من نظام دقيق ، وبما يستقر فى عقولهم من معرفة ، شأنه فى هذا شأن كتابات كنفوشيوس ، التى كان يستظهرها الصينيون ، كما يستظهر اليهود التلمود . ولم تكن طريقة تعلمه مقصورة على تلاوته وتكراره ، بل كانت تشمل فوق ذلك ، مناقشته بين المدرس والتلميذ ، وبين التلميذ والتلميذ » (١١) .

وأخيرا ، يرى الدكتور عبد الله عبد الدايم ، أن هذه التربية اليهودية ، كانت « هى التى استطاعت أن تبقى عاداتهم واعتقاداتهم حية ، طوال هذه العصور ، رغم ما خضع له اليهود منذ ثمانية عشر

---

(٩) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) (مرجع سابق) ، ص ٧٣ — ٧٥ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ٩ ، ١٠ .

(١١) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

قرنا ، من فقدان لأرض يسكنونهـــا ، وتشرد فى البلدان . اذ لا شك أن بقـــاء الشعب اليهودى متمـــاسكا قويا ، فى الوشائج التى تربط أبناءه ، دون أن تكون له دولة تجمعه ، أو رئيس يوجهه ، يرجع قبل كل شىء ، الى قوة التربية الدينية والقومية ، التى نقلها قدماء العبريين الى أحفـــادهم » (١٢) .

وكأن حائط المبكى ، والحال هـــذه ، لم يقدس فى ضمير اليهودى بلا هدف ، وانما هو قدس فيه ، لأنه يعكس الذات اليهودية اللاوطنية ، التى أرادت — من لا وطنيتهـــا — أن تثبت لنفسها أن الأرض كلهـــا وطنها ، وأنها سيدة هـــذه الأرض ، بوصفها (شعب الله المختار) ، المميز على كل الشعوب ، فلما اصطدمت بأصحاب الأرض الحقيقيين ، آثرت السلامة ، بالعـــزلة عن الأنظـــار ، فى (حارة اليهود) ، التى اشتهروا بهـــا فى كل بلد عاشوا فيه ، تبكى وحدها فى هـــذه الحارة .. (ظلم) الأيام لها ، وتخطط — فى الظلام — لازالة هـــذا (الظلم) ، عن نفسها .

ولـــا كانت الأيام قد علمتها عبر السنين ، أن الظلم لابد واقع .. آثرت أن تكون هى الظالمة .. بدلا من أن تكون المظلومة .

ولذلك يرى الدكتور صبرى جرجس ، فى تحليله النفسى للشخصية اليهودية ، أن عزلة اليهود عن «الجماعات والشعوب الأخرى» ، «لم تكن مفروضة عليهم ، بل لعلهم كانوا يجدون فيها وسيلة ، تساعدهم على الاحتفاظ بالخصائص التى نشأوا عليها منذ أن كانت لهم مملكة مستقلة ، ثم لازمتهم بعد ذلك ، لأن الأمل لازمهم دائما ، بأنهم سوف يستعيدون يوما ما ، تلك المملكة » (١٣) .

---

(١٢) الدكتور عبد الله عبد الدائم : تاريخ التربيـــة — من منشورات كليـــة التربية بجامعة دمشق — مطبعة جامعة دمشق — ١٩٦٠ ، ص ١٤ .

(١٣) دكتور صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى ، والفكر الفرويدى — اضواء على الأصول الصهيونية لفكر سجمند فرويد — الطبعة الأولى — عالم الكتب — ١٩٧٠ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

يضاف الى ذلك ، أن هـذا الشعب اليهودى بطبعـه ، سريع الوقوع فى الخطيئة ، كما تردد التوراة ذاتها كثيرا ، وأن خطيئته تؤدى الى غضب ربه عليه ، مما يدفعه دفعا الى البكاء ، تكفيرا عن هـذه الخطيئـة .

ولعل أوضح نموذج علىذلك ، ما حدث منهم فى حيـاة موسى منقذهم من الهلاك على يد فرعون مصر ، رغم أن درس التجربة المصرية كان لا يزال حيا فى نفوسهم — وما حدث بعد مماته أيضا .

لقد كان موسى هو الذى قادهم الى النجاة ، ومع ذلك ، قابلوا معروفه على طريقتهم ، بتذمرهم عليه ، بمجرد احساسهم بشىء من الأمن — أو على حـد تعبير سفر الخروج :

— « فتذمر كل جمـاعة بنى اسرائيـل على موسى وهارون فى البرية . وقال لهما بنو اسرائيل : ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر .. فانكما أخرجتمانا الى هـذا القفر ، لكى تميتا كل هـذا الجمهـور بالجـوع » (١٤) .

وصعد موسى الى الجبل ، لتلقى الوحى من السماء ، فسـارع القوم بالبحث عن اله غير الهه :

— « ولمـا رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم واصنع لنا آلهـة تسير أمامنا . لأن هـذا موسىالرجل الذى أصعدنا من أرض مصر ، لا نعلم : ماذا أصابه ؟ فقـال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتونى بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم ، وأتوا بها الى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالازميل ، وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل ، التى

---

(١٤) العهد القـديم : سفر الخـروج — ٢ : الاصحاح السـادس عشر : ٢ ، ٣ .

أصعدتك من أرض مصر ... فقال الرب لموسى : اذهب انزل ، لأنه قد فسد شعبك ، الذى أصعدته من أرض مصر . زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به . صنعوا لهم عجلا مسبوكا ، وسجدوا له ، وذبحوا له ... وقال الرب لموسى : رأيت هذا الشعب ، واذا هو شعب صلب الرقبة .. » (١٥) .

وعندما اقترب أجل موسى ، سلم الراية من بعده ليشوع بن نون ، كما أمره ربه ، « وأوصى (أى الرب) يشوع بن نون ، وقال : تشدد وتشجع ، لأنك أنت تدخل ببنى اسرائيل الأرض ، التى أقسمت لهم عنها ، وأنا أكون معك » (١٦) .

وأتم يشوع معهم مسيرة موسى وهارون ، ولم ينس أن يوصيهم قبل وفاته ، بالالتصاق بالله ، تجنبا لغضبه ، وشكرا له على مافعله معهم ، فردوا عليه :

— « فأجاب الشعب ، وقالوا : حاشا لنا أن نترك الرب ، لنعبد آلهة أخرى . لأن الرب الهنا ، هو الذى أصعدنا وآباءنا من أرض مصر ، من بيت العبودية ، والذى عمل أمام أعيننا تلك الآيات العظيمة ، وحفظنا فى كل الطريق التى سرنا فيها ، وفى جميع الشعوب التى عبرنا فى وسطهم . وطرد الرب من أمامنا جميع الشعوب والأموريين الساكنين الأرض » (١٧) .

ولكن بنى اسرائيل ، سرعان ما نسوا فضل ربهم عليهم ، كما ينسون دوما كل فضل ، فضلوا بعد يشوع ، « وفعل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم ، وتركوا الرب اله آبائهم ، الذى

---

(١٥) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الثانى والثلاثون : ١ — ٩ .
(١٦) العهد القديم : سفر التثنية — ٥ : الاصحاح الحادى والثلاثون : ٢٣ .
(١٧) العهد القديم : سفر يشوع — ٦ : الاصحاح الرابع والعشرون : ١٦ — ١٨ .

أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى ، من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ، وأغاظوا الرب . تركوا الرب ، وعبدوا البعل وعشتاروث ، فحمى غضب الرب على اسرائيل ، فدفعهم بأيدى ناهبين ، نهبوهم ، وباعهم بيد أعدائهم حولهم ، ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم » (١٨) .

تاريخ الدولة العبرية :

رأينا عند حديثنا عن (أصل بنى اسرائيل) فى الفصل الأول ، أن مسألة امتياز اليهود وتفوقهم على سائر الجنس البشرى ، باسم (البركة) الممنوحة لهم منذ سيدنا ابراهيم ، هى أساس الفكر الدينى اليهودى (١٩) ، كما رأينا عند حديثنا عن (الشخصية القومية اليهودية) فى الفصل الأول أيضا ، أن (اللاأرض) ، هى المفتاح الذى يمكن به فهم (الشخصية اليهودية) ، المطرودة من كل أرض ، والمطاردة فى كل أرض ، بسبب هـذه النزعة العنصرية المتعالية (٢٠) .

ورأينا فى نفس الفصل الأول ، أن تاريخ اليهود الفعلى ، يبدأ مع سيدنا يعقوب ، الذى أرسل الى الكنعانيين فى الشام ، والذى هاجر من الشام الى مصر ، فى أعقاب القحط الذى أصاب المنطقة ، والذى سبقه تولى سيدنا يوسف خزانة مصر ، لترتيب أمورها ، لمواجهة هذا القحط . وفى أثناء ذلك ، تم ائتلاف شمل يعقوب وبنيه الاثنى عشر (أسباط بنى اسرائيل) .. ليبدأ التاريخ الفعلى لليهود (بنى اسرائيل) .. على أرض مصر (٢١) .

وقد أحسن المصريون وفادة اسرائيل وبنيه ، كما تعودوا مع كل ضيف ، ولكن اليهود (بنى اسرائيل) ، كما تعودوا عبر تاريخهم

---

(١٨) العهد القديم : سفر القضاة ــ ٧ : الاصحاح الثانى : ١١ ــ ١٤ .

(١٩) ارجع الى ص ٢١ ــ ٢٧ من الكتاب .

(٢٠) ارجع الى ص ٢٨ ــ ٣١ من الكتاب .

(٢١) ارجع الى ص ٤٢ ، ٤٣ من الكتاب .

الطويل ، قــد أساءوا استغلال هذه الوفادة ، وذلك الكرم ، مما اضطر (القيادة المصرية) ، أن تنزل على (رغبة الشعب المصرى) ، وتوجه ضربة قاضية الى (الوجود اليهودى) فى مصر كلها •

لقد عاش بنو اسرائيل فى مصر ، واستقروا بها ، « حيث تناسلوا هناك ، وكثروا ، وهم جميعا من نسل الأسباط الاثنى عشر ، ليوسف واخوته ، وقــد أبوا أن يندمجوا فى الشعب المصرى ، فعزلوا أنفسهم عنه ، وتواصوا فيما بينهم ، أن يكون لكل سبط نسله المعروف ، والمميز عن بقيــة الأسباط ، وذلك ليضمنوا الاحتفاظ بنسبهم ، اعتزازا به ، وتعاليا على غيرهم ، باعتبار أنهم من ذرية الأنبياء •

وهــذه العزلة ، التى عاش فيها اليهود فى مصر ، مع الشعــور المصاحب لها ، من التعالى بنسبهم ، هــو الذى جعل مقامهم فى مصر قلقا مضطربا ، وهو الذى أغرى فراعين مصر والمصريين بهم ، واعتبارهم كائنا غريبا فى كيانهم الاجتماعى ، حتى لقد بلغ الأمر بأحــد فراعين مصر ، أن ينزل بهم أقسى الضربات ، وأشدها نكالا ووبالا » (٢٢) •

وقــد « خرج اليهــود من مصر عام ١٤٩١ ق•م تقريبا ، وظلوا يحاربون أهل فلسطين نحو خمسة قرون » ، حتى « أسس شاول مملكة اليهود سنة ١٠٩٥ ق•م » — وكانوا قد دخلوا « ســنة ١٨٠٠ ق•م تقريبــا » (٢٣) •

ولذلك يرى المرحوم عباس العقــاد ، أن « العــرف الشائع بين العبريين ، أنهم يتشاءمون تشاؤما (تقليديا) ، بالأيام ، التى قضوها فى مصر ، ويحسبونها بلية البلايا » ، مع أنهم « لم يستفيدوا قط من هجرة فى تاريخهم كله ، كما استفادوا من هــذه الهجرة المصرية ، لأنهم نعموا بالعيش الرغيد ، فى جوار النيل ، وتعلموا من آداب الحيــاة ،

---

(٢٢) عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القــرآن (مرجــع سابق) ، ص ١١ •

(٢٣) محمد صبيح (مرجع سابق) ، ص ١١٧ — ١٢٣ •

وشرائط الصحة ، ما زاد فى عددهم ، وزاد فى خبرتهم بتدبير أمورهم ، والدفاع عن أنفسهم » • « ولولا هـذه الزيادة فى عددهم وفى خبرتهم ، لما استطاعوا أن يقاتلوا قبائل البادية ، التى كانوا يهابونها ، ويهربون منها ••• » (٢٤) •

ولكن هذا هو ديدن اليهود — كما رأينا وكما سنرى — من كراهيتهم لأنفسهم وللعالم من حولهم ••• يكون حظ اليد التى تمتد اليهم بالعون — من أذاهم ، أكثر من حظ اليد التى تحاربهم •

وقد رأينا عند حديثنا عن (أنبياء بنى اسرائيل) فى الفصل السابق ، أن شاول كان أول مؤسس للدولة العبرية سنة ١٠٩٥ ق•م(٢٥)، بعد طول فساد وافساد ، وتشريد من الله لهم ، واذلال لهم على أيدى أعدائهم ، تحدثنا عنها أسفار التوراة ، خاصة سفر القضاة (السفر السابع من أسفار التوراة) •

وعن شاول ، تتحدث التوراة :

— « وأخذ شاول الملك على اسرائيل ، وحارب جميع أعدائه حواليه ، موآب وبنى عمون وأدوم وملوك صوبة والفلسطينيين ، وحيثما توجه غلب • وفعل ببأس ، وضرب عماليق ، وأنقذ اسرائيل من يد ناهبيه » (٢٦) •

ولكن شاول نفسه انحرف عن طريق الرب ، على حد تعبير التوراة ، « والرب ندم لأنه ملك شاول على اسرائيل » (٢٧) — وعلى

---

(٢٤) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقافة اليونان والعبريين (مرجع سابق) ، ص ٥٧ — ٥٩ .
(٢٥) ارجع الى ص ٤٨ من الكتاب .
(٢٦) العهد القديم : سفر صموئيل الأول — ٩ : الاصحاح الرابع عشر : ٤٧ ، ٤٨ .
(٢٧) العهد القديم : سفر صموئيل الأول — ٩ : الاصحاح الخامس عشر : ٣٥ .

يديه انهارت الدولة آخر الأمر •• حتى تولى داود الملك ، فكان المولد الحقيقى للدولة العبرية •

وقد حكم سيدنا داود هذه الدولة أربعين سنة ، ثم حكمها سيدنا سيلمان من بعده أربعين سنة أخرى • وبعده انقسمت سنة ٩٧٥ ق•م الى دولتين : يهوذا واسرائيل [٢٨] ، قامت بينهما سلسلة من الحروب من جانب ، وقامت بينهما وبين الفلسطينيين سلسلة أخرى من الحروب من جانب آخر ، واستمرت هذه الحروب حتى سنة ٥٨٨ ق•م — على نحو ما سنرى •

ففى سنة ٧٤٠ ق•م ، غزا الآشوريون مملكة اليهود ، وفى سنة ٧٢١ ق•م ، عاد سرجون ملك آشور ، فاستولى على السامرة ، وسبى الأسباط الباقية من اليهود ، وأجلاهم الى ما وراء الفرات ، ومنذ ذلك الوقت ، لم تقم لملكة اليهود قائمة •

كذلك كانت الدويلة الثانية ، يهوذا ، هدفا مستمرا لهجمات الآشوريين والمصريين •

وفى سنة ٦٠٦ ق•م ، استولى بنوخذ نصر ، البابلى ، على أورشليم ، فأخذت تدفع له الجزية ، وعندما تمردت على دفع الجزية ، عاد اليها عام ٥٨٨ ق•م ، ونهبها وهدمها ، وأسر أهلها •

وهكذا ، « لم تدم المملكة اليهودية سوى ٧٨ سنة ، انقسمت بعدها الى شطرين متنازعين ، تحطم الأول عام ٧٢٢ ق•م على يد الآشوريين ، وتحطم الثانى عام ٥٨٦ ق•م على يد البابليين • وفى منفى اليهود فى بابل ، بين ٥٨٦ ، ٥٣٨ ق•م ، تفجرت العنصرية ، عن الحقد والكراهية للعالم ، وانبثقت جذور الصهيونية ، بمعنى التطلع السياسى

---

(٢٨) كل التواريخ والحقائق فى هذا الجزء — منقولة عن :
— محمد صبيح (مرجع سابق) ، ص ١١٧ — ١٢٢ •

والدينى ، الى العودة الى أرض الميعاد ، وعاد اليهود مرة أخـرى الى فلسطين ، ثم كانت ثورتهم على الامبراطورية الرومانية ، التى قضت على وجودهم ، وأبادت جموعهم ، عام ٧٠ م » (٢٩) .

ولم يتم توحيد هـــذه المملكة ، « الا فى عهـد داود ، وابنـه سليمان ، حيث كانت العاصمة بيت المقدس » ، وبعدهما « ظـل اليهود مشتتين ، بعيدا عن فلسطين ، أو أرض الميعاد ، سواء فى بابل ، أو فى آشور ، يعيشون كأسرى حرب ، الى أن استطاع كورش الفـارسى الانتصار على بنونيدس ، آخر ملك بابلى ، فاستعان كورش باليهـود ، ليكونوا له عيونا فيهـا ، ويستعين بدهائهم ، على حكم أصحاب البلاد من الكنعانيين ، وأباح لهم العودة سنة ٥٣٨ ق.م » (٣٠) .

وعندما تغلب الاسكندر الأكبر على الفرس سـنة ٣٢٣ ق.م ، أصبحت أملاك اليهود تابعة له ، ثم تولى البطالسة حكمهم ، وأصبحوا تابعين لمصر .

وفى سنة ٦٣ ق.م ، خضع اليهود لحكم الرومان .

وعندما تمرد اليهود على حكم الرومان ، بعد سبعين سنة من مولد المسيح ، أخمد الرومان ثورة اليهود ، « واستخدموا فى اخمادها ، أعنف وســائل البطش ، فدمروا بلادهم ، وهدموا هيكلهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، فأصبحوا مشتتين هائمين على وجــوههم ، فى مختلف بقــاع الأرض » (٣١) ــ قبل أن تلبس اليهودية ثوبها الجديد ، فى القرن التاسع

---

(٢٩) أنور الجنـدى : تاريخ الاســلام ، فى مواجهــة التحـديات ــ دار الاعتصام ــ ١٩٧٧ ، ص ٣٥ .

(٣٠) محمد عطا : صراع على أرض الميعاد ــ رقم (٤٥) من (المكتبــة الثقافيــة) ــ وزارة الثقافة والارشاد القومى ــ الادارة العامة للثقافة ــ دار القلم بالقاهرة ــ ١٥ سبتمبر ١٩٦١ ، ص ٨ ، ٩ .

(٣١) الدكتور على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهــود ، بحث فى ديانة اليهـــود وتاريخهم ، ونظامهم الاجتماعى والاقتصــادى ــ مكتبــة غريب ، ص ١٠٧ .

عشر •• ثوب الصهيونية ، التى نشأت « كحركة سياسية ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، كمحاولة لايجاد حل للمشكلة اليهودية ، عن طريق توطين اليهود فى فلسطين ، وانشاء الدولة اليهودية •

وتسمى هــذه الحــركة ، بالصهيونية السياسية ، أو العمليــة ، تمييزا لها عن الصهيونية الطوباوية ، أو الصوفية ، التى اعتنقت فكرة أن العودة الى فلسطين لن تتم ، الا بعد ظهور المسيح المخلص ، الذى يقود الشعب الى صهيون » (٣٢) ـــ أو الى اسرائيل ، أرض المعــاد ـــ أو الميعاد ، حيث جبل صهيون ، الذى تنسب اليه •

فــرق اليهــود والدولة العبرية :

فيما سبق ، رأينا انقساما يقوم فى الدولة العبرية ، بين يهــوذا واسرائيل بعد سليمان ، وحروبا تقــوم بين الفــريقين ، تؤدى الى تصفيتهما معــا •

والواقع أن الله قــد كتب على اليهود أن يكونوا متفرقين ، بنص قوله سبحانه عنهم :

ـــ « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون • وقطعناهم اثنى عشرة أسباطا أمما ••• » (٣٣) •

واذا كانت التفاسير كلها ، لا تكاد تشير الى ما فى هذا (التقطيع) من تفرق •• نراه نحن الآن ، الا أن هــذا التقطيع موجــود وقائم، لو دققنا النظــر •

ذلك أن الثابت تاريخيا ، هو أنه قــد « انقسم اليهود ، فى مختلف مراحل تاريخهم ، الى فرق دينية ، تدعى كل منها أنها أمثل طريقــة ، وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وروحه ، من الأخرى » ، وهــذه الفــرق هى :

---

(٣٢) العنصرية الصــهيونية ، فى الفكر والتطبيق ـــ جامعــة الدول العربية ـــ الأمانة العامة ـــ الادارة العامة لشئون فلسطين ـــ يوليــو (تمــوز) ١٩٧٦ ، ص ١٢ •

(٣٣) قرآن كريم : الأعراف ـــ ٧ : ١٥٩ ، ١٦٠ •

١ — « **فرقة الفريسيين** Pharisians :

وهى أهم فرق اليهـود ، وأكثرها عـددا ، فى ماضى تاريخهم وحاضره » • « وتذكر أناجيـل المسيحيين ، أن الفريسيين كانوا من ألد أعداء المسيح ، عيسى بن مريم » •

٢ — « **فرقـة الصدوقيين** Saducéens :

وهى الفـرقة التى كانت تالية فى الأهمية ، لفـرقة الفريسيين ، طوال القـرنين السابقين لميلاد المسيح ، وفى المرحلة الأولى اللاحقة للميـلاد » •

« وتذكر أناجيل المسيحيين ، أن هذه الفرقة قد حاولت أن تستدرج المسيح ، حتى يوافقهم على انكار البعث واليوم الآخر ، وينضم اليهم فى ذلك ضـد الفريسيين ، ولكنهم أخفقوا فى ذلك » •

٣ — « **فرقـة السامرية** :

تختلف هـذه الفـرقة عن الفرقتين السابقتين ، بأنهـا لا تؤمن الا بالأسفار الخمسة ، التى تمثل القسم الأول من (العهد القديم) ، وسفر يوشع ، وسفر القضاة ، وتنكر بقية أسفار العهد القـديم ، وأسفار التلمـود » •

٤ — « **فرقـة الحسديين** Esséenians :

ظهرت هـذه الفرقة ، حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا ، فى عقائدها وعباداتها ونظمهـا وتقاليدها » • « ولم تعمر هـذه الفرقة طويلا ، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى • أى أنها لم تعش الا نحو قرنين ، أو ثلاثة قرون » •

٥ — « **فرقـة القرائين ، أو العنانيين** » :

« وهى أحدث الفرق اليهودية جميعا ، فقد أنشأها عنان بن داود ، أحـد علماء اليهود فى بغداد ، فى أواخر القرن الثامن بعـد الميلاد ، فى عهـد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور » — « أى بعـد نشأة

الديانة اليهودية بنحـــو عشرين قرنا • ويقوم مذهبهـــا على التمسك بما جاء فى العهد القديم وحـــده ، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود ، وتعاليم الربانيين والحاخامات » (٣٤) •

ويقسم الدكتور حسن ظاظا اليهود « الى طائفتين كبيرتين جـدا :

(أ) الاشكناز :

وهم اليهود الذين استقروا فى شمال أوروبا وشرقها » ، و « هم أقطاب الصهيونية الحديثة » •

« (ب) السفرود :

وهؤلاء هم اليهـــود الذين استقروا فى حوض البحـــر الأبيض المتوسط » •

« ويهود العـــالم العربى ، هم بطبيعـــة الحال من السفرود » ، « ويهود ايران ، هم كذلك من السفرود » •

و « الى جانب هـــذه اليهودية العامة ، التى تتبعها الكثرة الغالبة من أهل هـــذه الملة ، وجدت فـــرق ومذاهب أخـــى كثيرة ، تنبثق من التطور المستمر فى الفكر الدينى الاسرائيلى » • « وأهم هـــذه الفرق وأشهرها » :

« ١ ـــ السامريون :

هـــذه الفرقة الصغيرة الفقيرة ، التى لا يزيد عـــدد أبنائها على وجه هـــذه الأرض عن بعض مئات من الأنفس ، تعيش بجوار مدينـــة نابلس العربية بفلسطين » • « وهم ينتسبون الى مدينة الســـامرة القـــديمة » •

« ٢ ـــ العزيزيون :

وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديما ، وكانت لهم الكلمة العليا فى توجيه المجتمع اليهودى ، على عهد المسيح ، كما كانوا أشـــد

---

(٣٤) الدكتور على عبد الواحد وافى (مرجع سابق) ، ص ٨٣ـــ٩٤ •

خصوم المسيح خطرا عليه ، لتبحرهم فى العلم ، وزعامتهم بين الناس ، ومنزلتهم عند الولاة الرومان ، التى اكتسبوها من تعاونهم مع الظلم والطغيان والاستعمار ، ربما لتحقيق مخطط أزلى مرســوم ، لتدعيم الكيان اليهودى ، مهما كانت وسائل ذلك منافية للدين والأخلاق » .

أى أنهم هم هم الفريسيون .

« ٣ — الصدوقيون :

وهى فرقة دينية يهودية ، عاصرت العزيزيين ، بل ربما كانت أقدم منهم ، ولكنها لم تساير تطــور الفكر الدينى اليهودى حتى النهاية فانطفأت مع الزمن » .

« ٤ — القناءون » :

وهم « شعبة من العزيزيين ، يمتازون بالتطرف الشديد والعنف ، بحيث يمكن وصفهم بأنهم سياسيا ودينيا ، (غلاة) اليهود » .

« ٥ — الآسيين أو الأسينيين :

كانت هــذه الفرقة على أيام ظهور المسيح ، من أهم فرق اليهود ، وأكثرها نشاطا ، وأشدها احتراما » .

« ٦ — الأبيونيين » .
« ٧ — الغنوصية ، أو الصائبة » .
« ٨ — اليودجانية » (٣٥) .
٩ — القراءون .
١٠ — المــارانوس .
١١ — الدونمــة ، أو الدومنة .
١٢ — الاصلاحيون (الريفورميست) ، أو المجددون .
١٣ — الفلاشـــــة .
١٤ — بنى اسرائيــل (٣٦) .

---

(٣٥) الدكتــور حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، اطــواره ومذاهبه — معهد البحوث والدراسات العربية — ١٩٧١ ، ص٢٤٣—٢٩٢ .
(٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٩٥ — ٣٢١ .

ورغم هـذه الفرق اليهودية المختلفة ، المتنابذة المتنافرة أحيانا ، والتى قـد تكون لها علاقة بالأحزاب السياسية فى اسرائيل اليوم ، بعد تكوين الدولة ، وقد لا تكون — فانها تختلف فيما بينها حين تختلف ، على (التفاصيل) وحدها — أما العموميات ، فانها تتفق فيها تماما • وعلى رأس هـذه العموميات ، انشاء الدولة العبرية ، مهما كان الثمن الذى يدفع ، فى سبيل انشائها •

أو بعبارة أخرى : ان الهدف أمام اليهود جميعا واحد ، حددته لهم التوراة ، على نحو ما رأيناه طوال الفصل الأول ، تحت عناوينه الفرعية المختلفة ، ولكن الطرق التى يمكن أن تسلك لتحقيق هذا الهدف ، هى التى يمكن أن يكون فيها اختلاف •• ولكنه أيضا محدود •

ومن ثم فتقسيم اليهود الى فرق ، لا يعنى أن هنـاك اختلافا ، وانما هو يعنى أن هناك (تنوعا) ، واجبا وجوده فى كل مجتمع انسانى صحيح التكوين — وتقسيمهم الى صقور وحمائم ، لا يعنى أن هنـاك يهوديا مسالمـا ، ويهوديا عدوانيا ، وانمـا هو يعنى أن هناك يهوديا يستعمل يده فى الحرب ، ويهوديا آخر يستخدم عقله ، ولا يلجأ الى اليد ، الا عنـدما يكون الوقت مناسبا لاستخدامها — وتقسيمهم الى مؤمن وملحد ، لا يعنى أن هنـاك يهوديا ملحدا ، لأن الذين اتهمـوا بالالحاد من اليهـود ، كانوا أكثر خدمة للفكرة اليهـودية ، وللدولة العبرية ، من المتدينين ، ويكفى أن من بين من وصـفوا بالالحـاد من اليهـود : بن جوريون ، وجـولدا مائير ، وموشى ديان ، وقبلهم •• سجمند فرويد وكارل ماركس — على نحـو ما سنرى فيما بعـد فى الفصـل الرابع •

فوجود يهودى ملحـد ، ويهودى متدين ، يعنى وجـود يهودى

ملتزم بالنصوص والحروف ــ أى جامد ، ويهودى آخر يسعى لتحقيق الهدف اليهودى بطريقة أكثر تحررا من اليهودى الأول .

وباختصار : فان كل اليهود يهود ، بغض النظر عن الفرقة التى ينتمى اليها كل يهودى ، والشعار الذى يحب أن يراه كل الناس يرفعه .

اخلاق اليهود :

فى مطلع هذا الفصل ، وعند حديثنا عن (حائط المبكى) ، رأينا أن اليهود الذين كانوا مشتتين فى كل الأرض ، وبين كل الشعوب ، كانوا يجتمعون على مائدة واحدة ، هى مائدة (التوراة) ــ فعلى هذه المائدة كانوا يلتقون رغم الشتات ، فتصاغ نفوسهم صياغة واحدة . وعلى مائدة التوراة ، كان الأب اليهودى ، يتصدر هذه المائدة . واذا ما كان هناك يهودى ويهودى ، اتسعت المائدة ، ليكون المعبد ، والمدرسة (٣٧) .

ويرى ول ديورانت ، أن « الأسرة » « كانت » « أكبر أسباب نجاة الحياة اليهودية ، وان لم تكن رابطة الزواج قوية محكمة ، من الوجهة القانونية . ذلك أن الخطر المحدق باليهود من خارجهم ، قد قوى وحدتهم الداخلية ، ويشهد أعداؤهم أنفسهم ، بما كانت تمتاز به الأسرة اليهودية ، وما تمتاز به الآن ، من (حرارة ، وكرامة .. وتفكير ، وتدبر ، وحب أبوى وأخوى) » (٣٨) .

والحق أن اليهود متدينون ، ومترمتون فى تدينهم ، على عكس ما نقرأ فى كتابات كثيرة ، أساءت فهم اليهود ، لأنهما لمتستطع أن تقتحم (حارة اليهود) ، لتعرف ما يجرى فى داخلها على حقيقته .

ومن الأوامر الصارمة ، التى تتكرر كثيرا فى التوراة ، مثل تلك الأوامر ، التى نراها ــ مثلا ــ فى سفر الخروج :

---

(٣٧) ارجع الى ص ٥٨ ــ ٦٠ من الكتاب .
(٣٨) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجزء الثالث من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) (مرجع سابق) ، ص ٧٠ .

— « لا تقتل • لا تزن • لا تسرق • لا تشهد على قريبك شهادة زور • لا تشته بيت قريبك • لا تشته امرأة قريبك ، ولا عبده ولا أمته ، ولا ثوره ولا حماره ، ولا شيئا مما لقريبك » (٣٩) •

والمقصـــود بالقريب هنـــا ، هو اليهودى ، فكل يهودى ، قريب لكل يهـــودى •

والأب اليهودى ، كان هو المسئول عن تنفيذ أحكام التوراة تلك ، فى أيام الشتات ، فقـــد كانت لدى الأب سلطات بطريركية على أفراد أسرته ، كما رأينا جودسل يعبر ، فيما اقتبسناه عنه ، عند حديثنا عن (حائط المبكى) (٤٠) •

وفى (حارة اليهود) ، كان الحاخام يقوم بتنفيذ هـــذه الأحكام •

وعندما قامت (دولة اسرائيل) ، بعد الحرب العالمية الثانية •• صارت الدولة هى المسئولة عن تنفيذ هـــذه الأحكام ، وقـــد شهدت السبعينات تنفيذها بحق عـــدد من كبار رجال الدولة العبرية ، قدموا للمحاكمة ، بسبب (جرائم) ارتكبوها ، تعد مسائل طبيعية جـــدا ، عند الشعوب المحيطة بهم • ويكفى أن نائب رئيس وزراء ، قدم للمحاكمة مع زوجته ، لايداعه أموالا ، فى أحـــد البنوك غير اليهودية •

ويبدو أن اللبس فى هـــذه القضية — قضية الأخلاق اليهودية — يأتى من أن الأخلاق عند اليهود ، أخلاق (مزدوجة) — أى أن هناك أخلاقا يتعامل بها اليهودى مع اليهود ، وأخلاقا أخرى ، يتعامل بهـــا اليهودى مع غير اليهود •

واذا كان المثل الذى ضربناه من سفر الخروج ، يحدد أخـــلاق اليهودى مع اليهود ، فان الأمثلة كثيرة ، على ما يجب أن تكون عليه ، أخلاق اليهودى مع غير اليهود ، منها ما نراه من أوامر لليهود ، بهذا الخصوص ، ترد فى سفر اللاويين مثلا :

---

(٣٩) العهد القـــديم : سفر الخـــروج — ٢ : الاصـــحاح العشرون : ١٣ — ١٧ •

(٤٠) ارجع الى ص ٥٨ من الكتاب •

— « واذا افتقر أخوك عندك ، وبيع لك ، فلا تستعبده استعباد عبد • كأجير ، كنزيل يكون عندك • الى سنة اليوبيل يخدم عندك • ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ، ويعود الى عشيرته • والى ملك آبائه يرجع • لأنهم عبيدى ، الذين أخرجتهم من أرض مصر ، لا يباعون بيع العبيد • لا تتسلط عليهم بعنف • بل اخش الهك • وأما عبيدك واماؤك ، الذين يكونون لك ، فمن الشعوب الذين حولكم • منهم تقتنون عبيدا واماء • وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم ، منهم تقتنون ، ومن عشائرهم الذين عندكم ، الذين يلدونهم فى أرضكم ، فيكونون ملكا لكم • وتتملكونهم لأبنائكم من بعدكم ، ميراث لك • تستعبدونهم الى الدهر • وأما اخوتكم بنو اسرائيل ، فلا يتسلط انسان على أخيه بعنف » (٤١) •

بل ان اللاأخلاق مع الغير ، قد تكون هى هى الأخلاق الكاملة ، فى نظر اليهود ، طالما كانت تحقق لبنى اسرائيل كسبا ، على المدى القريب أو البعيد ، فان « الدعارة ، التى يديرها اليهود فى أوروبا وأمريكا ، وهم أول من نشرها بصورة منتظمة ، عندما دخلوا أرض كنعان ، قادمين من العراق ، لا تعتبر جريمة أخلاقية أو اجتماعية •• لأن من واجب اليهودى ، أن يهتك أعراض كل نساء الديانات الأخرى •• وحتى الفتاة اليهودية ، اذا أعطت نفسها لمسلم أو مسيحى ، فان هذا لا يعتبر نوعا من الزنا •• لأن الزنا يجب أن يتم بين انسان وانسان •• ولكن اليهود يعتقدون أن غيرهم حيوانات •• ولذلك فلا جريمة أخلاقية بين رجل (حيوان) ، وامرأة من البشر » • ان « كل انسان غير يهودى ، هو انسان قذر » ، « وأما الجرائم ، فهى فقط ، عندما يعتدى أى انسان ، من أى دين آخر ، على اليهود ، أو يعتدى يهودى على يهودى • ولذلك ، فالنبى موسى ، عندما قتل أحد المصريين ، دفاعا

---

(٤١) العهد القديم : سفر اللاويين — ٣ : الاصحاح الخامس والعشرون : ٣٩ — ٤٦ •

عن أحـــد اليهود •• اعتبر القتيل المصرى مجرما ، لأنه حاول أن يدافع عن نفسه ضـــد موسى •• ولأنه قتل يهوديا قبل ذلك ! » (٤٢) •

ومن الأعياد المشهورة عند اليهود ، عيد أستير ، أو عيد البوريم — فما الذى فعلته أستير ، حتى يخصص لها اليهود عيدا من الأعياد ، ثم يخصصون لها فى التوراة بعد ذلك سفرا من الأسفار ، هـــو سفرها الســـابع عشر ؟

لندع التوراة نفسها ، تقص علينـــا قصتها ، بعد تقـــديم منا ، نختصر فى كلمات محدودة فيه ، صفحات كاملة من التوراة تصل الى اصحاح كامل من سفرها •

تقـــول التـــوراة : انه فى أيام الملك الفـــارسى أحشويروش ، الـــذى ملك من الهنـــد الى كـــوش ، طلب المـــلك من خصـــيانه السبعة أن يحضروا زوجته الى حفل ، فرفضت ، فألبه عليها المقربون اليه ، على أساس أن تصرفها هذا يؤدى الى تأليب النساء على الرجال ، ونصحوه بأن يقوم بجمع كل الفتيات العذراوات الحسناوات ، ويختار أجملهن ، ليستمتع بهـــا •

وكان فى العاصمة (شوش القصر) ، رجل يهودى اسمه مردخاى ، كان قـــد أتى اليها أسيرا ، وكانت معه ابنة عمه أستير ، بطلة القصة ، التى كان يشرف على تربيتها ، بعد أن فقدت أبويها • فقدم مردخاى أستير الى الملك ، مع غيرها من البنـــات ، دون أن يعلن عن اســـمها وشعبها — لعلها أن تكون المحظية سعيدة الحظ •

ولنتم أحداث القصة ، من التوراة ذاتها ، مع تدخلنا للاختصار عند اللزوم • تقول التوراة :

— « فأحب الملك أستير ، أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمـــة واحسانا قدامه ، أكثر من جميع العذارى ، فوضع تاج الملك على رأسها ، وملكها مكان وشتى » • « ولم تكن أستير أخبرت عن جنسها وشعبها ،

---

(٤٢) انيس منصور (مرجع سابق) ، ص ١٦ ، ١٧ •

كما أوصاها مردخاى » (٤٣) .

وكان هامان من المقربين الى الملك ، وقد عظمه ورقاه ، على حد تعبير التوراة ، فكان كل العبيد يسجدون له الا مردخاى ، الذى رفض أن يسجد له ، مما أدى الى غيظ هامان ، فأمر بقتل جميع اليهود ، شعب مردخاى ، واستصدر بذلك أمرا من الملك .

وتآمرت أستير مع مردخاى ، عن طريق الخصيان ، فأعدت وليمة للملك ، حضرها هامان ، الذى طلب من الملك صلب مردخاى ، لأنه كان بالباب ، ولم يحترمه . ووافق الملك على صلب مردخاى ، وعلقت الأخشاب ، لتنفيذ الصلب فعلا — ثم سقت أستير الملك خمرا ، وطلبت منه صلب هامان على الصليب ، الذى أعده لمردخاى . ولندع التوراة تتم ما بدأته بالحرف الواحد :

— « فقال الملك : اصلبوه عليها . فصلبوا هامان على الخشبة ، التى أعدها لمردخاى . ثم سكن غضب الملك » (٤٤) .

و « فى ذلك اليوم ، أعطى الملك أحشويروش ، لأستير الملكة ، بيت هامان ، عدو اليهود . وأتى مردخاى الى أمام الملك ، لأن أستير أخبرته بما هو لها . ونزع الملك خاتمه ، الذى أخذه من هامان ، وأعطاه لمردخاى ، وأقامت أستير مردخاى على بيت هامان » (٤٥) .

وهكذا ، صار اليهود من خلال أستير ، هم الذين يحكمون ملك أحشويروش ، بعد أن كانوا فيه ، مجرد عبيد مستذلين . واستصدرت أستير من الملك أمرا بصلب « بنى هامان العشرة على الخشبة . فأمر الملك أن يعملوا هكذا ، وأعطى الأمر فى شوش ، فصلبوا بنى هامان العشرة » (٤٦) .

---

(٤٣) العهد القديم : سفر أستير — ١٧ : الاصحاح الثانى : ١٧ ، ٢٠ .
(٤٤) العهد القديم : سفر أستير — ١٧ : الاصحاح السابع : ٩ ، ١٠ .
(٤٥) العهد القديم : سفر أستير — ١٧ : الاصحاح الثامن : ١ ، ٢ .
(٤٦) العهد القديم : سفر أستير — ١٧ : الاصحاح التاسع : ١٣ ، ١٤ .

وهكذا نجد أستير تتخذ لها بين أعياد اليهود عيدا ، وبين أسفار التوراة سفرا كاملا ، لأن « قصـــة أستير ، تعطى للحكماء اليهود مثلا لامكانية استخدام أى ســلاح ، فى سبيل انقاذ المجموعة اليهودية ، اذا وقعت فى مأزق ، ولو كان هــذا السلاح سلاح المرأة ، ودهائهـا واغرائهـا » (٤٧) •

على أن المسألة الأخلاقية ، التى استغلت فى قصة أستير ، لتحقيق هدف يهودى ، ليست هى المسألة الحيوية هنا ، فى تصورى ، وانمـا الدم غير اليهودى الذى سال فى القصة ، هو الذى يدفع ــ فى نظرى ــ بأستير ، لتحتل هــذه المكانة الدينية ، عند اليهود ــ بالاضــافة الى (الضياع)اليهودى ، الذى تحول ــ على يديها ــ الى مكان وامكان •

وهكذا تتخذ أستير لها عيدا من أعياد اليهود ، وسفرا من أسفار التوراة ، لأنها تعد (مثلا أعلى) خلقيا عند اليهود •

فكل ما يؤدى الى (رفع شأن) اليهود ، واذلال خصــومهم ، أو القضاء عليهم ، هو مثل أعلى أخلاقى من وجهة نظر اليهود ، حتى ولو كان ذلك كذبا أو فسادا أو افسادا •• أو تدميرا وقتلا • فالفساد فى الأرض عند غير اليهود •• هو هو المثل الأعلى الأخلاقى ، عند اليهود•

بل ان هــذه الأخلاق اليهودية ، تقترب من كمالها ، كلما زادت من العنف والتدمير والقسوة قربا ، حتى أن الدم المراق ــ يحتل فى الفكر الدينى اليهودى منزلة خاصــة ، رأينا صــورة منهــا عند حديثنا عن (اله بنى اسرائيل) فى الفصــل السابق (٤٨) ، وسنستكمل بقيتها فى الفصل الرابع ، عند حديثنا عن (اليهود والحضارة الانسانية) •

---

(٤٧) الدكتور محمد بحــر عبد المجيــد : اليهودية ــ مكتبــة سعيد رافت بالقــاهرة ــ ١٩٧٨ ، ص ٨٨ .

(٤٨) ارجع الى ص ٣٢ وما بعدها من الكتاب .

الصقور والحمــائم فى اسرائيــل :

(الصقور والحمائم) واحد من المصطلحات العجيبة الكثيرة ، التى بدأت تفرض نفسها على حياتنا ، منذ مولد الدولة العبرية سنة ١٩٤٨ ، ومنذ بداية سلسلة الحروب العربية / الاسرائيلية ، التى تلت هــذا المولد النكد ، للدولة الذيل ــ دولة اسرائيل •

وبالرغم من غرابة المصطلح ، فهــو أكثر المصطلحات دلالة على الأخلاق اليهودية ، وعلى السياسة اليهودية ، التى تسيرها هذه الأخلاق•

وبعد ما يزيد على ربع قــرن من استخدام المصطلح فى الصحافة والاذاعة والتليفزيون ، وفى خطب السياسيين العــرب ، وفى الكتابات العربيــة الكثيرة •• استطاع الانسان العربى أن يفهم أن المقصــود (بالصقور) فى اسرائيل ، هم دعاة الحــرب من ساستهــا وسياسييها وكتابها ورجال الادارة فيها ، وأن المقصود (بالحمائم) فى اسرائيل ، هم الداعون الى العيش فى سلام ، خاصة مع العرب المحيطين باسرائيل، والفلسطينيين الذين يعيشــون فى داخــل الدولة العبرية وخارجهــا على الســواء •

بل ان من هؤلاء الكتاب والسياسيين والمعلقين والخطباء ، من كان يرى زعيما اسرائيليا معينا ، ينتمى الى قائمــة (الصقور) ، ويرى زعيما اسرائيليا آخر يحدده ، ينتمى الى قائمة (الحمائم) •

ويمر وقت محدود ، فاذا بالذى كان (صقرا) بالأمس ، قد صار اليوم (حمامة) ، وبالذى كان بالأمس (حمــامة) ، صــار اليوم (صقرا) •

فكأن المسألة ليست مسألة صقور وحمائم على اطلاقها ، وانما هى مسألة (مواقف) ، توزع فيها الأدوار ، فيرتدى هذا الزعيم الاسرائيلى ثوب الصقر ، ويرتدى الزعيم الآخر ثياب الحماقة ••

أو كأنها بعبارة أصح ، مسرحية ، جيدة الحبكة ، جيدة الاخراج ، وجيدة التمثيل أيضـا •

ولكن (أبطالهـا) لا يستطيعون أن يخـدعوا الا السـذج •• وما أكثر السذج والبسطاء ، والبلهاء أحيانا ، فى عالمنا العربى •

ونعود الى قصة أستير السابقة ، صاحبة العيد اليهودى ، والسفر التوراتى ، لنرى أى بطليها (مردخاى ، وأستير) ، كان صقرا ، وأيهما كان حمـامة ؟

لقد كانت أستير فى القصـة تقوم بدور الحمامة ، ولكن مسار القصة يبين أن مخالبها لم تكن أبدا مخالب حمـامة وديعة ، بل كانت أشد حدة ، من مخالب •• أى صقر •

ان اليهودى ما خلق أبدا ليكون حمامة أو صقرا ، وانمـا خلق ليكون حمامة وصقرا ، فى آن واحـد •

فاذا كانت (الظروف) من حـوله ممهدة ، ليرتدى ثوب الصقر ، ارتداه ، وجاهر ــ بلا حياء ولا خجل ــ بيده الطولى ، القادرة على اخضاع كل من على ظهـر الأرض لسطوته •• واذا كانت (الظروف) ضده ، أسرع الى (حائط المبكى) ، وارتدى ثوب الحمـامة ، وراح يبكى ، بلا ملل أو تعب •

ولم يكن الأمر فى حاجـة الى الاجتياح الاسرائيلى للبنـان فى صيف سنة ١٩٨٢ (شعبان / رمضان ١٤٠٢ هـ) ، على نحو ما سنرى فى نهايات الفصل التالى ــ الثالث ــ ليفتح المسرح أبوابه ، ويرتدى الممثلون ثيابهم ، ويظهر مناجم بيجين وايريل شارون ، مرتديين ملابس الصقور ، ويظهر شيمون بيريز وغيره من أحزاب المعارضة ، مرتدين ثياب الحمائم ، فلقد وقف جميع يهود العالم ، مع الصقور ، فى أيام الاجتيـاح الأولى •• ووقف معهم بكل تبجح راعى البقـر السابق ، رونالد ريجان ، الذى يرأس حامية الارهاب الصهيونى ، أمريكا ، التى

حطمتها فيتنام ، فى الشرق الأقصى ، فحسبت أن كرامتها الدولية يمكن أن تسترد هنا ، فى الشرق الأوسط •• فى لبنان •

وكان مخططا أن تكون الحرب خاطفة ، كما كانت الحروب السابقة، فاذا بأمد الحرب يطول ، واذا بالمقاومة الفلسطينية / اللبنانية مستميتة ، رغم موقف الحكومات العربية ، المخزى والفاضح •••

ومن ثم كان لابد من ظهور الحمائم ، وظهور المسرحية ، انقاذا لبعض ماء الوجه ، ان كان فى وجه واحد من اليهود ماء •• بعد أن لعنهم الله فى كل كتاب سماوى نزل ••• حتى ذلك الكتاب الذى نزل عليهم ، وحوله يلتفون ، وهو التوراة ، على نحو ما سبق فى الفصلين السابقين •

ولعل مما يلفت النظر فى هذا المجال ، أن حاخامات اليهود وكهنتهم ، فى لعبة (الصقور والحمائم) تلك ، كانوا دوما يرتدون ثياب الحمائم ، فلما قامت دولة اسرائيل ، وجدناهم هم الذين يقودون حملات العنف ، ضد العرب ، وضد الفلسطينيين بالذات — هذا اذا كانوا فى داخل اسرائيل ، أو فى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى أثبتت الأحداث أنها امتداد لاسرائيل ، أو أن اسرائيل امتداد لها •

وليس مصادفة ، أن تكون نجمة داود السداسية ، المختارة لعلم الدولة العبرية فى اسرائيل ، هى النجمة المختارة •• للعلم الأمريكى •

أما فى خارج هاتين (البؤرتين) •• فانهم يلبسون عادة ثياب •• الحمائم •

وكم كانت المقاومة الفلسطينية بارعة فى تحليلها ، عندما فضلت مناحم بيجين ، فى الانتخابات الأخيرة ، التى تمت سنة ١٩٨٠ فى اسرائيل، على شمعون بيريز ، زعيم المعارضة • وقد كان منطقها فى هذا التفضيل ، أن مناحم بيجين عدو ظاهر ، يرتدى ثوب الصقور ، ومن ثم يسهل على المقاتلين الفلسطينيين التعامل معه ، أما شمعون بيريز ،

فهو ــ بانضمامه وقتها الى فريق الحمــائم ــ عــدو مستتر ، ماكــر مخادع ، لا يكون ســهلا على محارب ، أن يعرف خطوته التاليـــة ، وبالتالى يكون صعبا عليهم التعامل معه •

ولا يقلل من قيمة وجهــة النظر تلك ، التى ترى أن كل اليهــود صقور عدوانيون ، ما يقوم به أعضاء حركة (السلام الآن) فى اسرائيل، من مقاومة لسياســة العنف التى يمارسها مناحم بيجين ، والتى بلغت أوجها فى اجتياحه لبنان ••• وما اكتسبته هــذه الحركة من (شعبية) ، تبدت فى المظاهرات التى ســيرتها فى اسرائيــل ، ضــد غزو الجيش الاسرائيلى للبنــان ••• •

ذلك أن هــذه الحــركة تخشى المستقبل ، وتخشى أن يؤدى تعنت بيجين المتواصــل ، الى تجميع العرب ، والمسلمين ، واتخاذهم موقفــا ايجابيا ، كذلك الذى حــدث سنة ١٩٧٣ ــ ويومها ربما تكون ــ فى نظرهم ــ نهاية الدولة العبرية •

أى أن حركة (السلام الآن) تؤمن بسياسة (الخطوة / خطوة) ، فى تحقيق أهداف اليهود ••• وتخشى سياسة التهور ، بسبب ما جلبته هــذه السياســة على اليهــود ، عبر تاريخهم الطــويل ، من مصائب وويلات •• سنرى نماذج منها ، فى الفصل التــالى •

ومن ثم فهدف حركة (السلام الآن) وما شابهها ، هو هو هدف مناحم بيجين ، وان تغيرت (الاستراتيجية) التى تراها ، لتحقيق هــذا الهــدف •

وباختصار ، فان كل يهــودى (صقر) ، اذا وجــد من يزوده (بمخالب) هــذا الصــقر ، ويعينه على أن يكونه •• وكل يهــودى (حمامة) ، اذا لم يجد هذا المزود والمعين •

فهــل هى مصادفة ، أن يكون عــدد كبير من الممثلين العــالميين المشهورين ، الحاصلين على الأوسكار •• يهودا ، أو على صلة وثيقة ، بهؤلاء اليهــود ؟

الفصل الثالث

الحضارة اليهودية

تقـــديم :

لم يكن مناحم بيجين ، رئيس وزراء اسرائيل ، هو الوحيد الذى قال ـ بعد المبادرة المصرية ، للصلح مع اسرائيل فى نهاية عام ١٩٧٧ ـ عن (العبقرية اليهودية) ، فى معرض حديثــه أمام الكنيست ، وأمام رئيس مصر عندما زاره ، وخطب أمام أعضائه ـ متحدثا عن المستقبل الذى ينتظر هــذه المنطقة من العالم ، عندما تجتمع هــذه (العبقرية اليهودية ، ورأس المــال العربى) ـ على حــد تعبيره •

وانما كل اليهــود ، يقولون بهــذه العبقــرية ، ويلحون عليها ، رابطين اياها بطبيعة الحــال ، بتلك (البركة) التى منحهم اياها (رب الجنود) ، باعتبارهم (شعب الله المختــار) •

والغريب أن كثيرا من المفكرين الغربيين النابهين ، يرون هذا الرأى اليهودى ، فيتحدثون عن الذكاء اليهودى ، والعبقرية اليهودية ، ودور اليهود فى الحضارات التى ساهموا فيهــا •• متأثرين ربما ، بالعهــد القــديم ، الذى يؤمن به المسيحيون ، ايمانهم بالعهــد الجــديد •• ويؤمنون ـ وبالتالى ـ بما ورد فيه ، عن ذكائهم الخارق ، وعبقريتهم الفذة •• ومتأثرين ـ ربما ـ بالدور الذى قام به اليهود بالفعل ، فى الحضارات ، وهو دور لا يعــزى الى عبقرية يهودية خارقة ، بقدر ما يعزى الى تسامح مع اليهــود ، جعلهم يساهمــون فى حضارة ، هم بطبعهم غرباء عنها •

يضاف الى ذلك ، أن هنــاك وجهة نظــر مضادة ، لوجهة النظــر السابقة ، لا يمكننا أن نتغافلها أو نتجاهلها هنا ـ ترى أن كل الأبحاث

تكاد تجمع على « أن دور اليهود فى الحضارات ، كان متصلا بانهيارها ، لا ببنائها » (١) •

على أننا اذا دققنا النظر قليلا ، فاننا سنرى أن اليهود لم يكونوا عبر تاريخهم الطويل (بنـــاة) حضارة ، كما أنهم لم يكونوا (هدام) حضارة ، لأنهم ـــ بطبيعتهم ـــ أبعد ما يكونون عن الحضارة ، بنـــاء أو هـــدما ، ولأنهم ـــ بطبيعتهم ـــ يملكون من مقومات (اللاحضارة) ـــ ان صح التعبير ـــ أكثر مما يملكون من مقومات •• الحضارة •

مقومات اللاحضارة لدى اليهـــود :

فى كتابنا الحـــادى عشر من كتب هـــذه السلســـلة ، رأينا أن الحضارة ، ان هى الا « درجة من الدرجات ، التى تصل اليها (الثقافة) فى تعقدها » ، وأنه « اذا كانت (الثقافة) مرادفا (لشخصية) الأمة ، أو (للشخصية القومية) ـــ فان معنى ذلك ، أن الحضارة ، كأى كائن حى ، تولد ، وتشب وتنمـــو ، ثم تتطرق اليها الشيخوخة ، ثم تموت ، وأنها فى عمليـــة انتقالها هـــذا ، من حالة الى حالة ، رهن مجموعة من (القواعد) ، التى تحكم الحياة ••• أية حياة » ـــ وأنه « ليست هـــذه (التراكيب العضوية) ، التى تتألف منها الحضارة ، بمعـــزل عن نفس (التراكيب العضوية) ، التى تتشـــكل منها شـــخصية الأمة ، صانعـــة الحضارة » (٢) •

ومن هنا ـــ ربمـــا ـــ كانت وجهة النظر التى رأيناها ، فى تقديمنا لهـــذا الفصل ، من أن دور اليهود فى الحضارات ، كان دوما تدميرها •• نتيجـــة للطبيعة التدميرية ، للشخصية اليهودية ، على نحو ما رأيناها فى الفصلين السابقين •

---

(١) أنور الجندى : المخططات التلمودية اليهـــودية الصهيونية ، فى غزو الفكر الاسلامى ـــ الطبعة الثانيـــة ـــ دار الاعتصام ـــ ١٣٩٧هـ ـــ ١٩٧٧ م ، ص ١٧٥ .

(٢) دكتـــور عبد الغنى عبـــود : الحضارة الاســـلامية والحضارة المعاصرة ـــ الكتاب الحادى عشر منسلسلة (الاسلام وتحديات العصر) ـــ الطبعة الأولى ـــ دار الفكر العربى ـــ فبراير ١٩٨١ ، ص ٤١ .

ومن هــذا المنظور ، فان اليهود لا يمكن أن تكون لهم حضــارة أبــدا ، لأن اليهود عاشوا عبر تاريخهم الطــويل ، (تابعين) لغيرهم ، ولم يتح لهم الا نادرا ، ولفترات محدودة ، أن يعيشوا مستقلين على أرض ، قادرين على أن (يصوغوا) الحياة عليها ، وفق ما يحبون •

وصحيح أنهم عاشوا عبر تاريخهم الطــويل ، فى (حارة اليهود)، ولكن حارة اليهود كانت دوما تابعــة الأرض يسكن عليها غير اليهود ، ويشكلون الحياة على أرضــها ، وفــق ما يريدون ، أراد اليهود ذلك أم أبوه ، وعندما كانوا يحاولون أن يتجــاوزوا حارة اليهود •• كانت المصائب تأتيهم من كل مكان ، على نحو ما يشهد تاريخهم الطويل ، وعلى نحو ما سنرى فى الفصل القــادم ان شاء اللــه • ولذلك ، فقد « عاش اليهــود حياة التشريد والنفى ، منتقلين من مكان الى مكان ، لم يقــر لهم قــرار ، فكيف يمكن أن تقــوم لهم حضارة ، أو تكون لهم فنــون وآداب ، وهم فى كل أرض غرباء ، ولذلك فقد كانت تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم ، مستعارة ومقتبسة ومسروقة ، من الدول المجاورة » (٣) •

والحضارة ــ كما رأينا فى كتابنا الذى خصصناه لها ــ بنت دين ، واضح المعــالم فى نفس الانسان ، مبدع هــذه الحضارة ، « ولا يعنينا هنــا ، أن يكون هــذا الدين صحيحا أو محرفا ، ســماويا أو وضعيا »، لأن الدين هو الذى « يبلور شخصية الأمة ، ويخلق لهــا (مثلا أعلى) ، تسير فى ظله ، وتشحذ طاقاتها ، وصولا •• اليه » (٤) •

والقارىء للعهد القــديم ، بأسفاره المختلفة ، يعجب لهذا الدين اليهــودى ، الذى يكاد أن يكون لا دينا • ما شكل الاله فيه ؟ انه الشىء ونقيضــه •

---

(٣) أنور الجندى : المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، فى غزو الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٧٥ .

(٤) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاســلامية ، والحضــارة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ٦٥ .

ولم يكن عجيبا أن نجد التوراة ذاتها تقرر ، بأن الشعب اليهودى ، أسرع الشعوب ، الى اتخاذ آلهة الشعوب الأخرى — على نحو ما رأينا عند حديثنا عن اله بنى اسرائيل ، الغيور [٥] •

ولم يكن عجيبا أيضا أن يكثر عدد أنبياء بنى اسرائيل ، على نحو ما سبق [٦] ، والأنبياء دائما يظهرون ، حيث يكون هناك ضلال ، يستدعى وجود هاد الى الطريق المستقيم •

ولم يكن عجيبا كذلك ، أن (يضطر) الحاخامات (وشيوخ بنى اسرائيل) ، الى تحديد معالم الدين الذى يجتمع عليه اليهود ، وأن يدخلوا على هذا الدين التعديلات تلو التعديلات ، بما يناسب ظروف الزمان والمكان [٧] •

وبالرغم من الكراهية العميقة ، التى يكنها اليهود لمصر والمصريين ، على نحو ما نرى بشكل واضح فى أسفار التوراة المختلفة ، فقد كان أعظم الأديان تأثيرا فى العقلية اليهودية ، دين المصريين القدماء ، فقد « كان اليهود فى أول ظهورهم على مسرح التاريخ ، بدوا رحلا ، يخافون شياطين الهواء ، ويعبدون الصخور والماشية والضأن وأرواح الكهوفة والجبال ، ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والجمل • ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه ، من عبادة العجل الذهبى ، لأن عبادة العجول ، كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم ، مذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمنا طويلا ، يتخذون هذا الحيوان القوى ، آكل العشب ، رمزا لالههم • وانا لنقرأ فى سفر الخروج (الاصحاح ٣٢ — الآيات ٢٥ — ٢٨) ، كيف ، أخذ اليهود يرقصون وهم عراة ، أمام العجل الذهبى ، وكيف أعدم موسى واللاويون ثلاثة آلاف منهم ، عقابا لهم على عبادة هذا الوثن • وفى تاريخ اليهود الباكر ، شواهد كثيرة ، تدل على أنهم عبدوا الأفعى» •

---

(٥) ارجع الى ص ٣٢ وما بعدها من الكتاب — خاصة ص ٣٦ ، ٣٧ •
(٦) ارجع الى ص ٣٨ ، ٣٩ من الكتاب •
(٧) ارجع الى ص ٥٠ وما بعدها من الكتاب •

« وكان بعض اليهود يعظمــون بعــل ، الذى كان يرمز اليه بحجارة مخروطية قائمــة ، كثيرة الشبه بلنجا ، الهة الهندوس » (٨) .

ويبدو أن اليهود الفاتحين ، عمــدوا الى أحــد آلهــة كنعــان ، فصاغوه فى الصورة التى كانوا هم عليها ، وجعلوا منه الهــا صارما ، ذا نزعة حربيــة ، صعب المراس » (٩) .

وترى الدكتورة نعمات فؤاد ، أن « من مدرسة مصر الثقافيــة ، طائفــة (الآســين) بين اليهود ، وهى من أقوى الطوائف اليهودية ، أو هى تزيد عليها فى القــوة والأثر ، وان كانت أقل عددا » ، وقــد « نشأت فى الاسكندرية ، فى القرن الثانى قبل الميــلاد ، واقتبست من مدارس الاسكندرية ، كثيرا من أنظمة العبادات السرية ، وبعض المذاهب الفلسفية ، كمذهب فيثاغورس ، الذى يحرم ذبح الحيوان ، ويدعو الى التقشف ، والقناعة بالقليل ، فكانت لا تقدم القرابين ، من غير النبات .

وطائفة الآســين ، بما قبسته من الاسكندرية ، تميزت بين طوائف اليهود ، حتى كادت بآرائها الخاصة ، أن تستقل عن الهيكل كلــه ، فى علاقاتها بالدين والقومية » .

كما « ترجع فخامة العمارة وأبهتها فى عصر سليمان بعض الشىء ، الى محاكاة المصريين ، دون شك ، فشكل المعبد ذاته فى جملته ، بأبهائه ومدخله ، والعمودان البارزان ، القائمان كالمسلتين أمام المدخل ، وكذلك الأسدان القائمان على عرش سليمان ، كل ذلك يحمل الطابع المصرى . وفى الحقيقة ، كان نظام ملكه منقولا من الامبراطورية المصرية الكبرى .

---

(٨) ول ديورانت : قصة الحضارة ــ الجــزء الثانى من المجلد الأول (الشرق الأدنى) ــ ترجمــة محمــد بدران ــ الطبعة الثانية ــ الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية ــ لجنة التأليف والترجمــة والنشر ــ ١٩٥٦ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ومصر التى قامت مقاييسها الخلقية على الوصايا العشر — ومتى ؟ قبل أن تكتب الوصايا العشر بألف سنة •

بل ان مصر ، بخلقياتها ومجتمعها ، سبقت العبريين بثلاثة آلاف سنة ، وكان أدبها ركيزة للتوراة » (١٠) •

وسوف نرى فى الفصل الخامس باذن الله ، الى أى مدى تأثروا بالاسـلام بعد ظهوره ، بالرغم من عداوتهم الشديدة له ، التى تزيد فى عنفها ، عن عداوتهم لمصر وشعبها •

واذا كان الدين اليهودى على هذا النحو من التفسخ والتميع منذ وجـد — قبل أن تجتمع كلمة الحاخامات والحكماء ، ليجمعوا أشلاءه ، وليكونوا منهـا نسيجا متكاملا ، ولو أنه مهلهل •• ساعدهم فى ذلك بطبيعة الحال ، (حارة اليهـود) ، التى فرضها كل مجتمع عاش فيه اليهود على اليهود ، تجنبا لشرهم ، أو فرضها اليهود على أنفسهم ، تأمينا لأنفسهم من الخوف •• كما ساعدهم فيه أيضا ، ما تعرض له اليهود ، عبر تاريخهم الطويل ، من اضطهاد ، كان يدفعهم الى الالتفاف حول شىء ، وحول فكر ، وحول شخص ••• اذا كان الدين اليهـودى على هـذا النحو من التفسخ والتميع •• فهل يكون مثل هـذا الدين ، مما تقوم عليه حضارة ؟

وهكذا تجتمع اللاأرض ، مع اللادين ، بالمعنى الدقيق للدين •• عند اليهود ، لتحول بينهم وبين أية فرصة ، تقوم لليهود فيها••حضارة•

ولم يكن عجيبا أن نرى المعبد اليهودى ، وهـو مركز الحيـاة فى مجتمع اليهود ، يتخذ على حوائطه الخارجية شعارا بارزا ، عبارة عن نخلتين باسقتين ، تتوسطهما نجمة داود السداسية — وهـذا هو ما رأيتـه بعينى مثلا ، فى معبدهم الأسـاسى ، بشـارع عدلى باشا بالقاهرة ، ولا أدعى أننى رأيت ما بداخله من رسوم ، ولا رأيت معبدا يهوديا غيره من الخارج — ولكن الانطباع الذى تركه هـذا الشـعار

---

(١٠) د. نعمات احمـد فؤاد (مرجع سابق) ، ص ٧٨ ، ٧٩ •

المتخذ على حوائطه الخارجية ، أكد فى نفسى ذلك الانطباع السابق ، وهو انطباع (اللاوطن) ، الذى يضرب بجذوره فى أغوار الشخصية اليهودية.

ان النخلة هى رمز الصحراء ، والحياة فى الصحراء تقـوم على التنقل من مكان الى مكان .

وفى ظل التنقل ، لا يمكن أن تقوم حضارة ، لأن التنقل فى حـد ذاته ، يعنى (الهروب) من مشكلات الواقع المـادى عندما تظهر ، الى واقع مادى جديد ، لعله يكون خاليا من هـذه المشكلات .

أما (الاستقرار) على الأرض ، فانه يعنى (الاستعداد) النفسى والعقلى ، لمواجهة مشكلات البيئة ، والتفكير فى حلها ، واتخاذ الخطوات الايجابية لهذا الحـل .. وبالتالى فانه يعنى وضـع الأساس الذى تقوم عليه الحضارة .

العبقرية اليهـودية :

عاش اليهود أينما عاشوا ، عبر تاريخهم الطويل ، أقليات محدودة، فى مجتمعات كبيرة ، لم يستطيعوا أن يندمجوا فى واحد منها ، لتركيبتهم النفسية ، الشاذة عن أية تركيبة نفسية ، غير يهودية .

والمجتمعات الغربية الحديثة ، خاصة المجتمعات البروتستانتية ، تعاطفت مع اليهـود ، تعاطفا تعدى مجرد التسامح معهم ، واعتبارهم مواطنين ، كالمسيحيين سواء بسواء (١١) .. الى منحهم التأييد المطلق ، ماديا ومعنويا ، فى العربدة كيفما يشـاءون ، خارج حـدود هـذه المجتمعات .. خاصة اذا كانت هـذه العربدة ، بحيث تهدم الاسلام .. العدو الأكبر لليهودية والمسيحية معا ، فى نظر اليهود والمسيحيين .. الصليبيين .

---

(١١) كانت المجتمعات الكاثوليكية الأوربيـة ، التى قامت المجتمعات البروتستانتية المعـاصرة على أنقاضـها ، تعامل اليهود أسوأ معاملة ، على نحو ما سنرى فى الفصل القادم .

ولم يشذ عن هـذه المجتمعات الغربية الحديثـة ، الا ألمـانيا ، فى فترة حكم النازى ، التى سبقت الحرب العالمية الثانية .. على نحـو ما سنرى فى الفصل القادم ، وذلك لظروف خاصة بألمـانيا النازية ، وموقف اليهود منها ، شعبا حكومة .

وبرغم هـذا التسامح الغربى البروتستانتى مع اليهود ، لا يزال اليهود يعيشون فى هـذه المجتمعات ، غير آمنين على أنفسهم ، يؤرقهم درس مصر القديم ، ودرس ألمـانيا النازية الحديث ، فيحـول بينهم وبين الاندماج الكامل ، المتاح لهم بحكم القانون والنظام الاجتماعى .. ومن ثم فهم يعيشون فيها منفتحين عليها فى الظـاهر ، متقوقعين على أنفسهم كما كانوا منذ كانوا فى الواقع ، يخططون للسيطرة عليهـا ، وتوجيه أمورها (١٢) ، حتى صاروا فيها اليوم ، « (عصابة) دولية ، تمارس دورها الارهابى المنظم ، بشكل قانونى » (١٣) .

واليهود كأقلية مضطهدة ، أو تحس بأنها مضطهدة ، أو يمكن أن تضطهد .. لابد أن يطاردها هـذا الاحساس ، فيدفعها الى شىء من التميز ، أو النبوغ ، أو النجاح .

وهـذا (التميز) أو النبوغ ، تمتاز به كل أقليـة ، حتى ولو لم تحس بهـذا الاضطهاد .

وهـذا هو ما تمتاز به مثلا ، جماعة الأرمن فى مصر والعـالم العربى ، كما تمتاز به جماعات المسيحين فى العالم الاسلامى ، على الأقل كما يبدون فى نظر المسلمين .

---

(١٢) وقصة (جماعة الضغط) اليهودى فى الولايات المتحدة Lobby صارت معروفة اليوم للجميع ، فهى التى توجه الحياة السياسية هناك ... رغم انف الجميـع .

(١٣) دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخـرى — الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يناير ١٩٧٩ ، ص ٥٤ .

ولا يعود امتياز أو نجاح الأرمن فى العالم العربى ، أو المسيحيين فى العالم الاسلامى ، الى الدم الأرمنى النقى الخاص ، أو الى الامتياز المسيحى ، كما يحب البعض أن يصور القضية ، فى بساطة ، وانما هو يعود الى الاحساس (بالدونية) ، نتيجة للانتماء الى أقلية .

وهو نفس الاحساس ، الذى يدفع بالمسلمين الى التفوق والامتياز والنجاح .. فى بلاد الغرب المسيحية ، كما نرى فى انجلترا وفرنسا على وجه الخصوص .. وفى الولايات المتحدة أيضا .

ذلك أن الاحساس (بالدونية) ، و (بالخطر) الناتج عنها .. يدفع الانسان — فردا وجماعة — الى مداومة التفكير ، والى الجد فى العمل ، والى تنظيم الحياة .. بحيث يثبت الانسان لنفسه وللآخرين ، عكس ما يحس ، وبحيث يؤمن نفسه ، ضد غدرات اليوم ، والغد القريب والبعيد — وما أكثر الغدرات ، التى يمكن أن تنتاب أقلية .. كما يثبت ذلك ، تاريخ البشرية الطويل .

بل ان القضية ليست قضية أقلية وأكثرية ، بل هى قضية (حالة) ، تمر بها الأقلية ، أو الأكثرية .

والأمة الواحدة قد تحس بالخطر ، فى فترة معينة من تاريخها ، فيشحذ هذا الخطر طاقاتها ، فتبدع ، وتبنى حضارة ، ثم يزول الخطر ، فتستكين وتهدأ ، وتترهل ، وتنحط .

ولم يكن غريبا ، أن يلاحظ الدارسون ، تلك العلاقة الموجبة ، بين (الحرب) ، و (المدنية) ، فيرى أرنولد توينبى ، أن « الحرب ما هى الا وليدة المدنية » [١٤] ، ويرى غيره ، أن الحرب هى « السبب

---

(١٤) أرنولد توينبى : الحرب والمدنية — ترجمه أحمد محمود سليمان — راجعه الدكتور محمد أنيس — رقم (٥٠٧) من (الألف كتاب) — دار النهضة العربية — ١٩٦٤ ، ص ٨ .

المباشر ، فى معظم الاختراعات وتقدمها » [١٥] .

ولانعـدم بين الغربيين أنفسهم ، منصفا مثل لانسلوت هوجبن ، يرد على قومه ، ممن يرون أن « هناك عقيدة واسعة الانتشار ، ترجع التقدم الفنى الرائع ، الذى صاحب حضـارة شمال أوربا ، الى تلك الصفات الخاصة ، التى تميز أهلها ، من طول فارع ، وشعر أشقر ، وعيون زرقاء ، وبعد عن روح الفكاهة » ، وأن « الظروف التى أحاطت بمغامرات الرأسمالية الأولى وأحلامها ، مما لا يقوم سندا كبيرا لمثل هـذا الاعتقاد » ، وأن « هناك من الأسباب القـوية ، ما يحملنا على الاعتقاد ، بأن أول هـذه الاختراعات ، قـد جاء أول الأمر ، لسـد حاجيات الأقاليم الشمالية ، ثم بعد ذلك لخدمة الملاحة الغربية » [١٦] .

أى أنها (الحاجة) ، وليست (العبقرية) ، هى التى تقف وراء هـذا التفوق الغربى المعـاصر ، ومن ثم لم يكن عجيبـا ، أن تتفجر (الثورة الصناعية) ، فى منتصف القرن الثامن عشر فى الغرب ، وفى انجلترا بالذات ، ثم تنتقل منها الى ألمـانيا .. وهما أفقر المجتمعات الأوربية على الاطلاق ، فى الموارد الطبيعية .

والمتتبع للحضارات القديمـة ، يرى أن (الحاجة) ، كانت تقف وراء كل منها ، اما للسيطرة على نهر ، أو لرد تحد من تحديات الطبيعة .

واذا تذكرنا أن (تحـدى) الحرب ، أخطر بكثير من (تحـدى) الطبيعـة ، أدركنا سر العبقرية ، التى تظهـر فى فترات الحـروب ، وسر الوفرة فى المخترعات ، التى تظهر بسببها .

---

(١٥) دكتور حسن حسنى ابو السعود : « النظائر المشعة فى خدمة الصناعة » — **الذرة فى خدمة السلام** — مجموعة المحاضرات ، التى القيت بالمؤتمـر السنوى السادس والعشرين ، للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، الذى عقد فى المدة من ٣١ مارس الى ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ — رقم (٢٧) من (الألف كتـاب) — مكتبـة مصر ، ص ١٨٦ .

(١٦) لانسلوت هوجبن : العلم للمواطن — ترجمـة دكتـور عطيـة عبد السلام عاشور ، ودكتور سيد رمضان هدارة — مراجعـة دكتـور محمـد مرسى أحمـد — رقم (١٠١) من (الألف كتاب) — الجزء الثالث — دار الفكر العربى — ١٩٦٣ ، ص ٦ .

واذا كان (رب الجنود) يجعل اليهود يعيشون فى (حالة حرب) دائمة ، مع أنفسهم ، ومع من يعيشـــون بينهم .. فانه لابد أن تكون لليهود عبقرية خاصـــة .

الا أن هـــذه العبقرية ، لابد أن تختلف عن عبقريات الشـــعوب كلهـــا .. لأن اليهود لم يكونوا الا فيما ندر ، شعبا مستقلا عن غيره من الشعوب ، بل كانوا دوما (أقليـــة) تحس بالاضطهاد ، تعيش وسط شعب كبير ، يحتقرهم ، لتقوقعهم وانعزالهم وتعاليهم ، وسوء معاشرتهم .

ومن ثم ، فاننـــا نستطيع أن ندعى أن هنـــاك عبقرية مصرية ، وعبقرية عراقية ، وعبقرية صينية ، وعبقرية انجليزية .. أو فرنسية .. أو هندية ، ولكننا لا نستطيع أن ندعى أن هناك عبقرية يهودية ، الا أن تكون عبقـــرية تناسب الأقلية ، التى يمزقهـــا الاحساس بالتفـــوق والاحساس بالاضطهاد معـــا .. عبقرية التآمر والغش والخـــداع ، وصولا للأهـــداف .. أو عبقرية ، كعبقرية أستير ، ، التى أقاموا لهـــا من أجل عبقريتهـــا عيدا ، وخصصوا لها من كتابهم المقـــدس سفرا . أما العبقرية بمعناها العـــام : تفكيرا بنـــاء ، وخلقا وابداعا ، عملا على حل مشكلات معينة ، تعانى منها الأمة .. فان اليهود لا حظ لهم منها .. لسبب واحد ، وهو أنهم عاشوا دائما فى كنف شعب غيرهم .. ومن ثم كانت عبقريتهم تظهر ، (فى حضانة) عبقرية أكبر ، هى عبقرية الأمة ، التى سمحت لهم بالحياة فيهـــا ، وسمحت للقادرين منهم على المساهمة فى البناء .. أن يقدموا هـــذه المساهمة .

وراس المـــال العربى :

للأمة العربية ميزات حباها الله بهـــا ، يكون من نافلة القول أن نعيدها هنا ، والكلام عنها يحتل صفحات طويلة ، بل انه يمكن أن يحتل كتبا كاملة ، فالوطن العـــربى — فى نظر الدكتور قسطنطين زريق — « غنى بامكانيات التقدم » ، فهو « غنى بوفرة سكانه » ، « والوفرة البشرية قوة هائلة ، اذا أتيح لمؤهلاتها أن تتحقق وتفعل ، أى اذا تدربت جماهيرنا وارتقت ، وانصرفت الى الانتاج ، وتحررت من مختلف أنواع

الظلم ، وأسباب التخلف » — كما أن « المجتمع العربى غنى بموارده الطبيعية » (١٧) ، وهو « محظى أيضا بموقعه الجغرافى » ، مما يعطيه « امكانات وافرة فى ميادين التجارة والمواصلات والسياحة » (١٨) .

غير أن هـذا الوطن أيضا — فى نظره — « فقـير بانجـازاته الفعليـة » (١٩) .

والموارد الطبيعية المتاحة — اذا لم تستغل ، فانها تصير عبئا ، بدلا من أن تكون عـونا .

ولقد كانت هـذه الموارد الطبيعية المتاحة للمنطقة العربية ، منـذ أقدم عصورها ، مصدر الخطر عليها ، عندما لم تستغل ، ولكنها كانت مصـدر القوة ، عندما استغلت .

ولم تقم الامبراطوريات القديمـة — فى مصر والعـراق والشام وغيرها ، الا على أكتاف هـذه الموارد الطبيعية المتاحة ، مستغلة بحكم وطنى قوى مستقر ، قادر على توجيه طاقات الأمة ، للاستفادة بالموارد ، ورد أذى الطامعين فيها .. وكان ضعف هـذا الحكم ، يدفع دوما الى (الطمع) فى (الأرض) ومواردها .

وقصة الاستعمار الحديث ، لا للمنطقة العربية وحدها ، بل لكل بلاد العـالم الثالث ، ذات الموارد الطبيعيـة .. التى لا يستطاع استغلالها .. قصة هـذا الاستعمار ، معروفة للجميع .

ولقد كانت واجهة هـذا الاستعمار سياسية ، ولكن مقدماته كانت اقتصادية ، ولم يشأ الدين أن ينحى نفسه عن الساحة ، فكان له دوره فيه أيضـا .

---

(١٧) قسطنطين زريق : نحن والمستقبل — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — شباط (فبراير) ١٩٧٧ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(١٨) المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .
(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

ولعل انشاء شركة الهند الشرقية فى جنوب شرقى آسيا ، بمقتضى « مرسوم صدر فى ٢٠ مارس ١٦٠٢ » [٢٠] ، يعد خير دليل على صدق ما نذهب اليه ، فقد بدأ الاهتمام بجنوب شرقى آسيا ، بوصول «فاسكودا جاما الى ميناء قاليقوط ، على الشاطىء الجنوبى الغربى للهند ، فى ٢٧ مايو ١٤٩٨ » [٢١] ، ضمن « الخطة الاستراتيجية الكبرى ، المرسومة ضد قوة الاسلام السياسية ، والتبشير بالنصرانية ، والرغبة فى احتكار تجارة الأفاوية » [٢٢] .

ولما كانت هولاندا هى التى قادت هذه الحركة أول الأمر ، قبل أن تحذو حذوها فرنسا ثم انجلترا — فان المستشرق جب وزملاءه يرونها السبب الذى من أجله « ساد فى مكة ، الرأى القائل بأن الهولنديين ، من أشد الأمم الأوربية ، تعصبا على الاسلام ، وعداء له » [٢٣] .

وهى (معادلة صعبة) ، يحلها لنا الدكتوران مصطفى خالدى وعمر فروخ ، حين يقولان : « ان التبشير وسيلة الى الاستعمار ، وان المبشرين ليسوا — سواء أعلموا أم لم يعلموا ، قصدوا أم لم يقصدوا — سوى طلائع لمطامع الاستعمار . ان الاستعمار قد قتل باتريس لومومبا ، فى عام ١٩٦١ ، مع أن لومومبا صابىء من الوثنية الى النصرانية ، بفعل التبشير ، لأنه أراد أن يكون فى الكونغو استقلال

---

(٢٠) ك. م. بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية — ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد — مراجعة أحمد خاكى — من الفكر السياسى والاشتراكى — المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ ، ص ٥٦ .

(٢١) المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢٣) هـ. أ. ر. جب وآخرون : وجهة الاسلام ، نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الاسلامى — اشرف على تحريره الأستاذ (جب) — ونقله عن الانجليزية : محمد عبد الهادى أبو ريدة — المطبعة الاسلامية — ١٩٣٤ ، ص ١٦٩ (من الفصل الخامس : اندونيسا ، بقلم الأستاذ ك. ك. برج) .

صحيح • وأبرز من ذلك للعيان ، أن الولايات المتحدة ، التى ترسل الارساليات الى العالم ، للعمل على نشر النصرانية ، قد وقفت فى عام ١٩٦٣ ، مع البوذيين فى فيتنام ، ضد الحكومة المسيحية فى ذلك البلد • ان الدول التى تمول الأعمال التبشيرية بملايين الدولارات ، لا يهمهما الذين يصبأون الى النصرانية ، اذا كان هواهم السياسى ، لا يوافق هواها الاستعمارى » [٢٤] •

ولقد « بدأ الاستشراق (نصرانيا) ، يصدر عن الكنيسة ، التى خشيت أثر الاسلام فى نفوس أهل أوربا ، بعد عودة بقايا الحملات الصليبية ، الذين عادوا يحملون الى الغرب صورة رائعة عن سماحة الاسلام والمسلمين ، ثم لم يلبث الاستشراق أن تحول (استعماريا) ، فى خدمة الدول الاستعمارية ، وخاصة انجلترا وفرنسا وهولندا ، وتبين أن العدد الأكبر من المستشرقين ، كانوا على صلات وثيقة مع الكنيسة ، وفى نفس الوقت ، مع وزارات الاستعمار » [٢٥] •

ومن ثم فاغراء رأس المال العربى لمناحم بيجين ، ليس بالأمر الغريب •

ان قضية اسرائيل ، ليست قضية (وطن قومى لليهود) كان يجب أن يوجد ، كما صوروا لنا القضية ، أو كما أريد لنا أن نفهمها •• وانما هى قضية الاستعمار ، الذى كان لابد أن يتطور شكله ، ويلبس ثوبا جديدا ، يناسب العصر •

لقد كان الاستعمار ، كما ظهرت صورته فى القرن التاسع عشر ، استعمارا عسكريا ، يحتل فيه جنود الدولة المستعمرة ، أرض البلد المستعمر ، ليحموا المصالح الاقتصادية لهذه الدولة •

---

(٢٤) الدكتور مصطفى خالدى ، والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين ، التى ترمى الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى — الطبعة الخامسة — ١٩٧٣ ، ص ١ ، ٢ (من مقدمة الطبعة الثالثة) •

(٢٥) أنور الجندى : الاسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) — دار الاعتصام — ١٩٧٧ ، ص ٢٨٥ •

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وتحطم (الكيانات الكبرى) ، على جنباتها .. بدأت جيوش دول الاستعمار تنسحب من البلاد المستعمرة ، ولكن الوجود الاستعمارى ذاته لم يزل ، بل لعله زاد ثباتا وقـوة ، من خلال صلات صارت اليوم معروفة ، مع الحكومات الحديثة العهـد بالاستقلال .. التى سميت بالحكومات الوطنية ، تنسق معها لتحقيق مصالح الاستعمار ، من وراء ستار .

وبالنسبة للمنطقة العربية بالذات ، حيث الاسـلام ، الذى كان يمثل منذ البداية ، عقبة كأداء ، أمام الطامعين فى الأرض ، كان لابد من (زرع) جرثومة تبقى ولا تزول ، حتى ولو زالت الحكومات الوطنية العميلة .. فكانت اسرائيل ، هى هى الجرثومة .

ومن ثم تكون قولة مناحم بيجين ، عن (العبقرية اليهـودية ، ورأس المـال العـربى) ، قولة قديمة ، قالهـا من قبله ، من زرعت اسرائيل فى قلب المنطقة العربية الاسلامية لخدمتهم أساسا .. وهم أصحاب فكرة الاستعمار القديم ، الذين طوروه وطوروه ، ليكون جديدا متجددا دائمـا .

ولست أنا شخصيا ، من أنصار أولئك الذين (يغالون) فى تقدير قوة اليهود ، وقوة تغلغلهم فى المؤسسات الحساسة فى مختلف الدول ، تنفيذا لمخطط ضـد العالم كله ، ينتهى بسيطرتهم عليه ، وتفسير التاريخ المـاضى فى ضوء (قوة اليهود ، وقوة تغلغلهم) ، على نحو ما فعله الأميرال الأمريكى ، وليام غاى كار ، فى كتابه المتشائم جـدا (أحجار على رقعـة الشطرنج) ، وعنوانه يدل عليـه ، فالأحجار ، هى كل القيادات السياسية الموجودة فى العالم ، واللاعبون بالأحجار على هذه الرقعة ، هم (النورانيون) ، أو المخططون اليهود للقضاء على العالم .

فالشيوعية — عند الأميرال كار — من صنع اليهود ، والنازية من

صنعهم أيضا ، والصهيونية من صنعهم كذلك [٢٦] .

والحربان العالميتان الماضيتان من صنعهم ، والحرب العالمية الثالثة — التى لم تقع بعد ، يعدون لها الآن . وكما حققت الحربان العالميتان الماضيتان مكاسب لليهود ، فان الحرب العالمية الثالثة ، ستحقق لهم مكاسب أيضا . « فالهدف من الحرب العالمية الأولى ، هو اتاحة المجال للنورانيين ، للاحاطة بحكم القياصرة فى روسيا ، وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية — الالحادية — وتم التمهيد لهذه الحرب ، بواسطة الخلاف بين الامبراطوريتين ، البريطانية والألمانية » .

« أما الحرب العالمية الثانية ، فقد مهدت لها الخلافات بين الفاشيين ، وبين الحركة الصهيونية السياسية — وكان المخطط المرسوم لهذه الحرب ، أن تنتهى بتدمير النازية ، وازدياد سلطان الصهيونية السياسية ، حتى تتمكن أخيرا ، من اقامة دولة اسرائيل فى فلسطين » .

ثم تأتى الحرب « الثالثة — المقبلة — وهذه رسم المخطط لها أن تنشب بنتيجة النزاع ، الذى أثاره النورانيون — رءوس المؤامرة الصهيونية العالمية — بين الصهيونية السياسية ، وبين العالم الاسلامى . ويقضى المخطط المرسوم ، بأن تعاد هذه الحرب ، وتوجه بصورة ، يحطم فيها العالم العربى ، ومن ورائه الاسلام ذاته » [٢٧] .

أقول : اننى لست من أنصار من (يغالون) فى تقدير قوة اليهود تلك ، على هذا النحو الذى يظهرها عليه الأميرال كار ، والذى يريد بنو اسرائيل أن يظهروا عليه بطبيعة الحال ، مما يساعدهم فى الحرب التى يشنونها على العالم ، من أجل احكام قبضتهم عليه .

اننى لست من أنصار هؤلاء المغالين فى تقدير قوة اليهود ، بالرغم من أن ما حدث فى لبنان مؤخرا ، يمكن أن يدل على بداية هذه الحرب

---

(٢٦) الأميرال وليام غاى كار : احجار على رقعة الشطرنج — ترجمة سعيد جزائرلى — الطبعة الأولى — دار النفائس ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — ١٩٧٠ ، ص ١٩ .

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

الثالثة ـ المقبلة ـ التى يتحدث عنها الأميرال كار ـ ضد العرب والمسلمين .

انهـا (الحرب النفسية) ، التى يشنها بنو اسرائيل على العالم ، من أجل احكام قبضتهم عليه .. ويشنها حتى أعداء بنى اسرائيل ، لحاجة فى أنفسهم ، ولكنهم يخدمون بها بنى اسرائيل .

ولا يعنى ذلك أننى أقلل من شأن القوم ، على نحو ما فعل البعض فى فترة من فترات التاريخ العربى ، هى فترة (المزايدات) على الزعامة ، بين حكام المنطقة العربيـة ، التى ابتليت (بالزعامات) الهزيلة ، المفروضة على شعوبها .

ولا زال بنو اسرائيل ـ كما كانوا دوما ـ غير قادرين على مواجهة العالم ، الا من خلال (قوة كبرى) ، يعملون فى خدمتها ، ويحصلون ـ من خلال عملهم هـذا ـ على (العمولة) ، التى يحصل عليها (السماسرة) ، من مثل هـذه الأعمال [٢٨] .

ولم تكن المسألة تحتاج الى (اجتياح) لبنان ، فى صيف عام ١٩٨٢ ، على نحو ماسبق فى نهاية الفصل السابق [٢٩] ، حيث وقفت الولايات المتحدة الأمريكية فى المحافل الدولية كلها ، منفردة بحمـاية اسرائيل ، فى السر والعلن ، رغم ما يسببه ذلك من احراج لهـا مع (أصدقائها) من العرب .. لم تكن المسألة محتاجة الى ذلك كله ، ولا الى محاصرة بيروت الغربية بالذات ، حيث يعيش المسلمون اللبنانيون والمقـاومة الفلسطينية ، تاركة بيروت الشرقيـة ، حيث يعيش الكتائبيـون ـ المسيحيون الصليبيون .. ليثبت بشكل قاطع ، أن منـاحم بيجين ، رئيس دولة اسرائيل ، وايريل شارون ، وزير حربه ، لم يعتدوا حين اعتدوا ، من تلقاء أنفسهم ، وانما هم اعتدوا حين اعتدوا .. لخـدمة (طرف ثالث) ، يعملون لحسابه .. هو الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى رأسها ، الصليبى الحاقد ، الذى أعلن الحروب الصليبية بمجرد

---

(٢٨) ارجع الى أصـل بنى اسرائيـل ، وتركيبتهم النفسية ، فيما كتبناه عنهم فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، ص ٢٩ .

(٢٩) ارجع الى ص ٨٠ ، ٨١ من الكتاب .

انتخابه رئيسا للولايات المتحدة ، راعى البقر السابق ، رونالد ريجان •• ووزير خارجيته ، كبش الفداء فى مذابح بيروت ، ألكسندر هيج •

أى أن المسألة لم تكن تحتاج الى كل ما حدث فى هـــذا الصيف الساخن ، ليثبت للمخدوعين ، أن دور اليهود كأفراد ، ودورهم كدولة ، هو دور (السمسار) ، لا يتعداه •

وهو ما يجب أن يفهمه المخدعون فى عالمنا العـــربى والاسلامى ، ويتصرفوا على أساسه ، قبل فوات الأوان ــ أو قبل أن يصبح العالمـــان العربى والاسلامى ، فلسطين ، وقبل أن يتحول العرب والمسلمون جميعا الى لاجئين •• فى أوطانهم ، أو بعيدا عن هـــذه الأوطان •

وقـــد يقول قائل : وماذا تفعل اسرائيل ــ الدولة ؟ وماذا تكون ؟ وهو سؤال وارد هنا بالفعل ، الا أننا نؤجل الاجابة عليه ، الى الفصل القادم ــ الرابع •

اللغـــة العبرية والحضارة اليهودية :

ليس لليهود حضارة كما سبق فى مطلع هـــذا الفصل ، ولا يمكن أن تكون لهم حضارة ، لأنهم ليسوا أمة ، ذات أرض ، يمكن أن تقـــوم عليها حضارة ، كما هو الحال بالنسبة لغيرهم من الأمم والشعوب [٣٠] •

وكما كانت التوراة عاملا من عوامل تجميع اليهـــود فى الشتات ، بل لعلها كانت أهم عوامل هـــذا التجميع [٣١] ــ كانت اللغة العبرية ، التى كتب بهـــا التوراة ــ عاملا آخر ، لا يقل عن العامل الأول أهمية ، فى (تجميع) اليهود فى الشتات •

الا أنه لا التوراة ، ولا اللغة العبرية ، ولا هما مجتمعين ، مما يمكن أن يخلق حضارة يهودية ، لأن الحضارة تنبع من أرض ، قبل أن تنبع من لغـــة أو دين •

---

(٣٠) ارجع الى ص ٨٥ وما بعدها من الكتاب •
(٣١) ارجع الى ص ٥٨ ــ ٦٠ من الكتاب •

وقــد رأينـا فى مطلع الكتاب ، أن الحضـارة انمـا تنبع من (شخصية قومية) ، وأن ابن خلدون قـد أطلق عليها لفظ (العمران) — لذلك (٣٢) . والحضارة نفسها ، مشتقة من « اقامة مجموعة من الناس فى الحضر ، أى فى مواطن العمران » ، وان كان معناها قـد اتسع ، « حتى صار شاملا لجميع أنواع التقدم والرقى الانسانيين ، لأنهمـا لا يزدهران ، الا عند المستقرين ، فى مواطن العمران » (٣٣) .

ويرى ول ديورانت ، أن الحضارة « تبدأ ، حيث ينتهى الاضطراب والقلق ، لأنه اذا ما أمن الانسان من الخوف ، تحررت فى نفسه دوافع التطلع ، وعوامل الابداع والانشاء ، وبعدئذ ، لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه ، للمضى فى طريقه الى فهم الحياة وازدهارها » (٣٤) .

ويرى أن العوامل المـادية والبيولوجية ، الموجـودة فى البيئـة الاجتماعية ، ما هى « الا شروط لازمة لنشأة المدنية ، لكن تلك العوامل نفسها ، لا تكون مدنية ، ولا تنشئها من عدم ، اذ لابد أن يضاف اليها العوامل النفسية الدقيقة ، فلابد أن يسود الناس نظام سياسى ، مهما يبلغ ذلك النظام من الضعف ، حـدا يدنو به من الفوضى ، ولا مندوحة كذلك ، عن وحدة لغوية ، الى حـد ما » ، « ثم لا مندوحة كذلك ، عن قانون خلقى ، يربط بينهم » (٣٥) .

ومن ثم فاليهود حتى اليوم ، ليست لهم حضارة ، وان كان ذلك لا يحول دون أن تكون لهم هذه الحضارة ، فى المستقبل .

---

(٣٢) ارجع الى ص ١٩ من الكتاب .

(٣٣) عبد الرحمن حبنكة الميدانى : أسس الحضـارة الاسـلامية ووسائلها — الطبعة الأولى — دار العربية ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠م ، ص ١١ .

(٣٤) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول (نشأة الحضارة) — ترجمـة الدكتـور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعـة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٩ ، ص ٣ .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٦ ، ٧ .

ذلك أنهم عاشوا قبل انشاء (دولة اسرائيل) ، فى أوطان غريبة عنهم ، سواء كانت هـذه الأوطان هى التى حكمت عليهم هـذا الحكم ، أم كانوا هـم الذين أصدروه على أنفسهم — فالانتمـاء الذى يخلق الحضارة — لم يوجد فى نفوسهم •

وقـد يظن ظان ، أن انشاء (دولة اسرائيل) يحل هذه المشكلة •

ولو سلمنا بذلك ، لقلنا : ان اليهود قـد بدءوا يضعون أرجلهم على طريق الحضارة ، وهو طريق طويل ، لا يصله الانسان فى سنوات قليلة ، هى عمر الدولة العبرية •• ولكنه يصله عبر أجيال طويلة وأجيال •

ومع ذلك ، فاننا نقول : ان اسرائيل الحالية ، ليست هى (الوطن القومى) الذى يحلم به اليهود ، والذى منتهم به التوراة •• والا لهاجر اليها كل اليهود (٣٦) ، الذى طالمـا حلموا بهذا (الوطن القومى) •

ان (الوطن القومى) المنشود لليهود ، هو كل الأرض ، لا أرض المعاد أو الميعاد وحدها •• ومن ثم فاسرائيل كانت مطلبا ، قبل أن تكون دولة •• وبعدها فقد هـذا الوطن بهجته ومتعته •

يضاف الى ذلك ، أن اسرائيل ليست وطنا مستقلا ، كما يتراءى لنا نحن • انها مستعمرة — مجرد مستعمرة — من مستعمرات دولة كبرى • كانت بالأمس مسـتعمرة انجليزية •• ثم صـارت اليوم مسـتعمرة أمريكية •• حتى أن البعض يعدونها الولاية الأمريكية الثانية والخمسين •

انها دولة ذيل •• لأمة ذيل ، كما تعودت هذه الأمة أن تعيش ، مهما حاولت قيادتها السياسية أن تضفى عليها صفة الاستقلال ، بل وأن توهم الجميع ، أنهـا هى التى تسير دول الغـرب •• وعلى رأسها

---

(٣٦) ونذكر هنا ، بأن آخر الاحصائيات تقـول : ان الهجـرة من اسرائيل ، صارت تفـوق الهجرة اليها ، وهو أمر يزعج القيادة الاسرائيلية كثيرا .. بالرغم من الدعاية المركـزة ، للهجرة الى اسرائيل ، والجهـود المنتظمة والمكثفة ، التى تبذل لهـذا الغرض .

الولايات المتحدة الأمريكية (٣٧) — على نحو ما سبق ، منذ قليل في هذا الفصل (٣٨) .

لقد بدأ اجتياح لبنان فى صيف ١٩٨٢ عملا اسرائيليا محضا لا ترضى عنه الولايات المتحدة .. ثم سرعان ما ثبت أنه مخطط أمريكى كامل ، هدفه النهائى محاصرة الاسلام والمسلمين فى بيروت الغربية ، وفرض بشير الجميل وسعد حداد وغيرهما من الصليبيين الحاقدين على لبنان ، لاقتلاع الاسلام منه ، وتحويله كله ، الى الأندلس أو فلسطين .

ولم يكن دور اسرائيل هنا ، سوى دور المنفذ فقط !!

انها الصليبية العالمية الحاقدة منذ ظهور الاسلام ، تحرك اليوم صقور اسرائيل وحمائمها على السواء ، فلا فرق فى اسرائيل بين الصقور والحمائم كما سبق ، ليبرزوا على خشبة المسرح .. فهذا هو دورهم عبر التاريخ : دمى تتحرك بأيدى الغير ، ثم تكون فى النهاية هى كبش الفداء .

ومن ثم ، فمقومات الحضارة ذاتها ، غير موجودة حتى الآن .. فى اسرائيل .

---

(٣٧) فى أول زيارة قام بها مناحم بيجن ، رئيس وزراء اسرائيل ، لرونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، فى سبتمبر ١٩٨١ ، كانت اثارة المراقبين السياسيين ، نابعة من انهم حاولوا قبل الزيارة أن يتكهنوا : هل سيضعف رونالد ريجان أمام رئيس وزراء اسرائيل ، كما فعل رؤساء أمريكا السابقون — أم سيكون صلبا كما كان دائما ، منذ تولى الرئاسة ؟

وقد دهش المراقبون جميعا ، عندما انتهت الزيارة ، بنسيان ضرب المفاعل الذرى العراقى ، والعربدة فى لبنان ، وتحدى السعودية فى طائرات الأواكس ... مع أن كلا من البلاد الثلاثة ... من أصدقاء الولايات المتحدة ، الذين تعتمد عليهم فى المنطقة .

بل ان الزيارة انتهت ، بشبه حلف عسكرى .. بين الولايات المتحدة واسرائيل ! !

(٣٨) ارجع الى ص ٩٩ ، ١٠٠ من الكتاب .

وللحق وحـده ، فان الزعامة السياسية لاسرائيل ، تسعى جاهدة لخلق هـذه المقومات •

(فالأرض) — تسعى الدولة العبرية لتأمينها ، لا فى داخلها وعلى حدودها وحـدها ، بل وفى عمق الأرض المحيطة بهـا •• فكل أراضى الجيران منتهكة •• من أجل تأمين الانسان اليهودى ، فى داخل بلاده •

وعلى هـذه الأرض ، تسعى الدولة العبرية ، الى تحرير الانسان اليهودى ، من الخوف الذى طارده طول عمره •• وتعطى هذا الانسان من الحرية فى التصرفات ، وفى اتخاذ القرارات ، وفى انتقـاد السلطة الحاكمة •• ما لا يتوفر حتى للانسان الأوربى ذاته ، فى داخل بلاده •• برغم الديموقراطية الغربية المعروفة •

والى هـذه الحقيقـة ، أشرنا فى كتابنا المـاضى عن (الدولة الاسـلامية ، والدولة المعاصرة) ، فى تعليقنا الختامى على الكتاب •• وعلى طرح الثقة بحكومة مناحم بيجين ، فى الكنيست الاسرائيلى ، فى أواخر سـنة ١٩٨٠ ، قبل أن يعاد انتخابه ، وقـد كاد أن يخسر المعركة الانتخابية ، لولا (تحالفـه) مع الأحزاب الدينيـة المتطرفة فى اسرائيل ، بأعداد نوابها القليلة •• وذلك فى صيف سنة ١٩٨١ •

وقـد قلت فى التعليق على طرح الثقة ، وما تم فيه ، وما تلاه ، أن مناحم بيجين ، يتميز « على اليهود جميعا ، فى أنه — كما أظهر تاريخه ابان تأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين سنة ١٩٤٨ — من أكثر اليهود المجرمين اجراما •• فهو لا يتورع عن عمل شىء •

وقـد كان اجرامه هـذا ، هو الذى دفع الشعب الاسرائيلى الى اختياره فى الانتخابات ، التى تلت حرب رمضان ١٩٧٣ ، وما لحـق اسرائيل فيها — وبسببها — من هوان ، لأول مرة فى تاريخها » [٣٩] •

---

(٣٩) دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة — الكتاب الثانى عشر من سلسلة (الاسـلام وتحديات العصر) — الطبعـة الأولى — دار الفكر العربى — يونيو ١٩٨١ ، ص ١٦١ •

ولكن « مناحم بيجين ، الدموى المجرم ، لم يكن دمويا ولا مجرما ، مع خصومه السياسيين ، من أمثال موشى ديان ، وعازر وايزمان ، فلقد ظلت حكومة بيجين ذاتها ، تحمى هؤلاء الخصـــوم ، فيحميهم شرطة اسرائيل فى تنقلاتهم ، ويظل تليفزيون اسرائيل واذاعتها وصحافتها ، مفتوحة الصـــدر لهم .

وعلى الساحة المعادية لاسرائيل فى العالمين العربى والاسلامى ، ترى (المخالفين) فى الرأى يطـــاردون ، وتلفق لهم التهم ، ويلقى بهم فى غياهب السجون ، وقـــد تعلق لهم المشـــانق . بل انهم يطاردون فى خارج حدود بلادهم ، كمـــا تفعل السياستان السورية والليبية ، مع خصـــوم النظام » [٤٠] .

ولكن هـــذه الاجراءات كلها ، تبقى اجراءات (شكلية) على طريق الحضارة .. ما لم يتغير (جوهر) الانسان .

وبجانب هـــذه الاجراءات ، التى تعد ضرورية ، من أجل (البيئة الصالحة) ، التى تنمو فيها الحضارة — هناك الاهتمام الفائق باللغـــة العبرية .. تلك اللغة التى لم تكن يوما لغـــة أدب ، ولا لغـــة علم ، ولا لغة حضارة .. وانما كانت تعامل فى المحافل العلمية دوما ، على أنها لغة من اللغات القديمة .. كاللاتينية والهيروغليفية .. صارت فى الدولة العبرية ، هى اللغة الرسمية ، وهم يحاولون أن (ينفخـــوا) فيهـــا ، لتكون لغة من اللغات الحية ، المعترف بها دوليا .

هـــذا فى الوقت الذى تتجه فيه الحرب المنظمـــة ، على الساحة المواجهة لاسرائيل — الى اللغة العربية .. الحيـــة .. ليقتلوها ، تحت شعارات كثيرة ، أكثرها بريقا ، هو (اصـــلاح) اللغة العربية .. كما لو كانت قـــد فسدت ، وتحتاج الى اصـــلاح — على نحـــو ما وضحنا فى كتابنا السابع من كتب السلسلة [٤١] .

---

(٤٠) المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٤١) دكتور عبد الغنى عبـــود : قضية الحرية ، وقضـــايا أخـــرى (مرجع سابق) ، ص ١٦٠ — ١٦٣ .

ورغم ذلك كله ، فان كل هــذه (الاجراءات) التى تتخذها الدولة العبرية ، لا تعنى أن حضــارة يهودية قامت على أرض اسرائيل •• لأن كل ما يحدث ، انما يحدث (من حول) الانسان ، مبدع الحضارة •• ولا يحدث فى أعماقه •

فهل تتغير (أعماق) الانسان اليهودى ، كما تغير الواقع المحيط به •• ليكون — بعد عشرات القرون من الضياع والتشتت — انســانا قادرا بالفعل ، على أن يصنع حضارة ؟

والاجابة على هــذا السؤال ، متوقفة على الانســان اليهودى ، وربما ألقى عليها الضوء ، ما سنراه ، فيما تبقى لهذا الكتاب من صفحات •

الفصل الرابع

اليهـود والحضارة الانسانية

تقـــديم :

لم يكن ادعائى بأن اليهود لم تكن لهم حضـارة ، ولن تكون لهم هـذه الحضارة ، بالرغم من ادعاء مناحم بيجين وغيره من اليهود ، (بالعبقرية اليهودية) ، وبالرغم من (تهيئته) الجـو فى داخل اسرائيل ومن حولها •• لتظهـر هـذه العبقرية •• وتولد حضارة •• لم يكن ادعائى هـذا ، نابعا من فراغ ، وانما هو ادعاء قائم على استقرائى لتاريخ اليهود الطويل ، ودراستى للشخصية القومية اليهودية — على نحو ما ظهر بشكل أو بآخر ، من استعراض للفصول الثلاثة السابقة ، وعلى نحو ما سنرى فى بقية فصول الكتاب •

وربما كان مفيدا فى هـذا الفصل ، الذى نخصصه لموقف اليهود من الحضـارة الانسانيـة ، أن نبدأ بموقفهم من الأديان السماوية ، وما نما فى ظلهـا من حضارات ، ثم ننتقل الى موقفهم من الحضارات الأخرى ، غير الدينية ، التى عاشوا فى ظلها •

وسوف نرى أن اليهود هم اليهود ، فى كل زمان ومكان •• تتغير الدنيا من حولهم ، ولا يتغيرون ••

وقـد يكون (جمودهم) هذا ، هو الذى أدى الى (صمودهم) أمام عوامل الفناء والافناء ، التى اجتاحت الهنود الحمر فى الولايات المتحدة •• مثلا ، أو اجتاحت غيرهم وغيرهم ، عبر تاريخ الانسانية الطـويل •

ولكن هذا (الجمود) ذاته ، اذا أصاب قوما ، فانه لابد أن يؤدى فى النهاية •• الى كسرهم ، والقضاء عليهم •

والتاريخ القريب والبعيد ، خير شاهد على ما أقول ، وان كان وضع اسرائيل الحالى •• مما يدل على عكسه •• ولكنه التاريخ ، الذى لا يقنع (بالظواهر) ، وانما هو يضع — رغم المظاهر — قوانين ، تكاد أن تبلغ من الدقة ، ما تبلغه قوانين العلوم الطبيعية •

ولنبدأ قصة القــوم من تاريخهم المدون •• مع أبيهم يعقــوب (اسرائيل) وبعده •

بنو اسرائيل فى حياتهم الأولى :

فى الفصل الأول من الكتاب ، أشرنا اشارة سريعة ، الى أن تاريخ بنى اسرائيل الحقيقى ، يبــدأ مع سيدنا يعقوب ، الذى رحل بأبنائه الأحد عشر الى مصر ، حيث كان ابنه الثانى عشر (يوسف) ، قــد سبقهم اليها — وعن طريقه ، تمت دعوة الأسرة كلها الى مصر [١] •

وأبناء اسرائيل الاثنا عشر ، هم هم الأسباط الاثنا عشر ، الذين ينتمى اليهم كل الشعب اليهودى •

ولقــد كان عشرة من هؤلاء الأسباط ، فى منشأ حياتهم فاسدين ، يملأ الشر قلوبهم •• وأما الاثنان الباقيان ، فقد كانا على النقيض من ذلك تماما • وربما عاد هــذا (الشذوذ) فى الاثنين ، عن القاعدة العامة ، الى أن واحدا منهما (يوسف) ، كان نبيا ، والى أن الثانى (بنيامين) ، كان لا يزال بعد طفلا غضــا •

والأدهى من ذلك ، أن ضلال الأبناء العشرة ، كان يعرفه أبوهم الصالح ، سيدنا يعقوب •

كان يوسف أصغر الأبناء ، ومن ثم كان منطقيا أن تتجه اليه عناية خاصة من أبيــه ، شأن الأطفال الصغار •• حتى يكبروا • ولكنهــا (الأنانية) الجشعة ، التى تميز اليهود عن غيرهم من خلق الله ، منــذ

---

(١) ارجع الى ص ٤٢ — ٤٤ من الكتاب •

كانوا •• هى التى تحقد هؤلاء الأبناء على أخيهم يوسف ، لحب أبيهم له •• وقد تمتع كل منهم بمثل هذا الحب ، عندما كان فى سنه •

وتحولت الأنانية الجشعة •• الى المكر السيىء ، الذى لابد أن يكون سيدنا يعقوب قد توقعه أيضا :

— « اذ قال يوسف لأبيه : يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر ، رأيتهم لى ساجدين • قال : يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك ، فيكيدوا لك كيدا ، ان الشيطان للانسان عدو مبين » (٢) •

والأب الصالح ، الذى (توقع) كيد هؤلاء الأبناء الفاسدين ليوسف ، من أجل رؤياه ، توقع بعد ذلك كذبهم ، عندما عادوا الى أبيهم بقميص يوسف ، وعليه الدم الكاذب :

— « وجاءوا على قميصه بدم كذب ، قال : بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » (٣) •

وليس هناك أدل على فساد هؤلاء الأبناء العشرة ، من رأى هؤلاء الأبناء العشرة فى أبيهم :

— « •• ان أبانا لفى ضلال مبين » (٤) •

وهو نوع من (الاسقاط) ، يسقط به هؤلاء الأبناء على أبيهم ، ما ليس فيه ، وانما ما هم غارقون الى الأذقان فيه •

ومن أجل ذلك ، لا يمكن اعتبار اهتمام سيدنا يعقوب ، بالطفل الصغير ، يوسف ، تمييزا له على اخوته ، لأن هدفه كان (احاطته) برعايته ، من شرهم ، حتى لايتسرب هذا الشر منهم اليه ، فلقد كان يوسف

---

(٢) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٤ ، ٥ •
والقصة بتفصيلاتها تلك ، واردة أيضا فى التوراة ، فى أحد عشر اصحاحا من سفر التكوين (من صح ٣٧ — صح ٤٨) — ولكننا آثرنا النص القرآنى ، لاختصاره أولا ، ولوضوحه ثانيا ، وللغته العربية السليمة ثالثا •
(٣) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ١٨ •
(٤) قرآن كريم : يوسف — ١٢ : ٨ •

ـ على حد تعبير عبد الله يوسف على ـ « فى سن السابعة عشرة » ، عندما وقعت أحـداث القصة ، وعندما رأى رؤياه المشهورة ، وكان « بريئا وطاهرا ، لدرجة أنه لم يكن يعرف عن كراهية اخوته له شيئا ، ولكن أباه كان يعرف هـذه الكراهية جيدا ، ومداها » [٥] .

واذا كان مجرد حب يعقوب ليوسف ، قـد أحقد هؤلاء الأبنـاء الفاسدين عليه ، فكيف يكون الأمر ، اذا هو قص عليهم رؤياه ، واشتموا منها رائحة مستقبل مشرق ينتظره ؟

ومن أجل ذلك ، « يقول تعالى ، مخبرا عن قول يعقوب لابنـه يوسف ، حين قص عليه ما رأى من هـذه الرؤيا ، التى تعبيرها خضوع اخوته له ، وتعظيمهم اياه ، تعظيما زائدا ، بحيث يخرون له ساجدين ، اجلالا واحتراما واكراما ، فخشى يعقوب عليه السلام ، أن يحدث بهذا المنام ، أحـدا من اخوته ، فيحسدونه على ذلك ، فيبغون له الغوائل ، حسـدا منهم له » [٦] .

ولذلك لم يكن تحذير يعقوب ليوسف ، من أن يقص على اخوته هـذه الرؤيا ، تفريقا بين يوسف واخوته ، وانمـا كان لونا من ألوان (الحفظ) ، لهؤلاء الاخـوة الفاسدين ، من الشيطان ، ومن شرور النفس ، بسبب ما يعرفه جيدا عنهم . وكأنه يقـول له : لا تقصص عليهم حلمك ، « فيحتالوا فى هـلاكك ، احتيالا خفيـا ، لا قبل لك بدفعـه » [٧]

---

(5) ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur - an, Text, Translation and Commentary, Volume One ; Third Edition, Cambridge, Massachussetts, New-York, U.S.A., 1948, p. 551.

(٦) تفسير القـرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عمـاد الدين ابى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ـ الجزء الثانى ـ ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م ، ص ١٦٩ .

(٧) الشيخ حسنين محمد مخلوف : القرآن الكريم ، ومعـه صفوة البيان ، لمعانى القرآن ـ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى ـ مطابع دار الكتاب العربى ـ ٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م ، ص ٣٧٨ .

ويثبت تسلسل الأحداث بالفعل ، مدى صدق يعقوب ، فى ســوء ظنه بأبنائه ، فقد رأينا أول الأمر ، رأيهم فى أبيهم ، وربما لم يكن الأب يعلم بهذا الرأى • ثم رأينا بعد ذلك موقفهم من أخيهم يوسف ، وحقدهم عليه ، مع أنه — بحكم صغر سنه — يستحق حبهم وعطفهم ، « ثم يغلى الحقد ، ويدخل الشيطان ، فيختل تقديرهم للوقائع ، وتتضخم فى حسهم أشياء صغيرة ، وتهون أحداث ضخام • تهون الفعلة الشنعاء ، المتمثلة فى ازهاق روح ، روح غلام برىء ، لا يملك دفاعا عن نفسه وهــو لهم أخ » (٨) •

فهذه هى حياة بنى اسرائيل ، كما تمثلت فى حياة عشرة من أسباطهم (أصولهم) الاثنى عشر : اجرام يجرى فى العروق مجــرى الدم •• ومع ذلك ، نرى التوراة ، تحكى على لسان يعقوب ، محدثا ابنه يوسف : « اللــه القادر على كل شىء ، ظهر لى فى لوز ، فى أرض كنعــان ، وباركنى • وقال لى : ها أنا أجعلك مثمرا وأكثرك ، وأجعلك جمهــورا من الأمم ، وأعطى نسلك هــذه الأرض من بعدك ، ملكا أبديا » (٩) — هكذا ، وكأن شيئا لم يكن •

وقد رأينا فى الفصل الأول ، أن الأسباط بقوا فى مصر بعد يوسف ، وأنهــم تكاثروا •• وبروح الشر التى ملأت الآباء العشرة •• عاش الأبناء ، يتعالون ، ويفسدون ، حتى صــار التخلص منهم ضرورة من ضرورات الأمن ، لمصر وشعبها (١٠) — فى وقت كانت مصر فيه ، تستعد لخوض حرب ، من سلسلة حروبها الطويلة ، التى فرضها عليها موقعها ، وما حباها الله به من خيرات • وفى مثل هذه الظروف ، يكون التخلص من (المفسدين) ، الذين يمكن أن يكونوا (طابورا خامسا) ، ضرورة ملحة •

---

(٨) سيد قطب : فى ظلال القــرآن — المجلد الرابع (الأجزاء ١٢ — ١٨) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٩٧٣ •

(٩) العهد القــديم : سفر التكوين — ١ : الاصحاح الثامن والأربعون: ٣ ، ٤ •

(١٠) ارجع الى ص ٤٤ من الكتاب •

والتوراة نفسها ، لا تنكر — فى معرض سياقها للقصة — هذا الشك فيهم — نفس الشك الذى شكه أبوهم يعقوب ، فى أبنائه العشرة • تقول التوراة :

— و « قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف • فقال لشعبه : هوذا بنو اسرائيل ، شعب أكثر وأعظم منا • هلم نحتال لهم ، لئلا ينموا ، فيكون اذا حدثت حرب ، أنهم ينضمون الى أعدائنا ، ويحاربوننا ، ويصعدون من الأرض • فجعلوا عليهم رؤساء تسخير ، لكى يذلوهم بأثقالهم••فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف•• »(١١) •

وأراد الله لبنى اسرائيل النجاة من فرعون ، لحكمة يراها سبحانه ، وكان الذى قادهم فى طريق النجاة ، كما هو معروف ، هو موسى عليه السلام • وكان مفروضا أن يبدءوا مع موسى ، بعد نجاتهم ، حياة جديدة •• نظيفة • ولكن يبدو أن هذه الحياة ، كانت فوق امكانياتهم الطبيعية ، التى ورثوها مع الدم ، من الأسباط العشرة • أو على حد تعبير الشهيد سيد قطب : « انها طبيعة بنى اسرائيل ، التى ما تكاد تستقيم خطوة ، حتى تلتوى عن الطريق ، والتى ما تكاد ترتفع عن مدى الرؤية الحسية ، فى التصور والاعتقاد ، والتى يسهل انتكاسها ، كلما فتر عنها التوصية والتسديد » (١٢) •

ولكن بنى اسرائيل ، حفدة الأسباط العشرة ، كانوا عبئا على منقذهم موسى وأخيه هارون ، منذ بداية نجاتهم •

لقد سارعوا بصنع عجل من ذهب ، واتخذوه الها لهم ، كما سبق فى الفصل الثانى ، ولم يستطع هارون أن يمنعهم (١٣) •• حتى عاد

---

(١١) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الأول : ٨—١٣ •

(١٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م ، ص ١٣٧٣ •

(١٣) ارجع الى ص ٦١ — ٦٣ من الكتاب •

موسى من خلوته ، ليجد حالهم وقد تغير بسرعة ، وليجدهم يكذبونه ، ويقولون له — كما تحكى التوراة على لسانه : « ولكن ها هم لا يصدقونني ، ولا يسمعون لقولى . بل يقولون : لم يظهر لك الرب » (١٤) .

وعندما أحسوا بشىء من الجوع ، لم يكلفوا أنفسهم بتدبير أمر طعامهم ، بل راحوا يلومون موسى :

— « هل لأنه ليست قبور فى مصر ، أخذتنا لنموت فى البرية ؟ ماذا صنعت بنا ، حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا هو الكلام ، الذى كلمناك به فى مصر ، قائلين : كف عنا فنخدم المصريين ؟ لأنه خير لنا أن نخدم المصريين ، من أن نموت فى البرية » (١٥) .

وعندما عطشوا ، ألقوا العبء عليه وحده وكادوا يرجمونه : « وتذمر الشعب على موسى ، وقالوا : لماذا أصعدتنا من مصر ، لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش ؟ فصرخ موسى الى الرب قائلا : ماذا أفعل بهذا الشعب ؟ بعد قليل يرجمونني » (١٦) .

وقد كان بنو اسرائيل عبئا على موسى ، على هذا النحو ، لطبيعتهم التى ركبت فيهم منذ كانوا ، ولحياة العبودية ، التى تعودتها أنفسهم ، ولحياة الذيلية ، التى استراحوا اليها ، بعد أن « عاشوا فى ظل الارهاب ، وفى ظل الوثنية الفرعونية كذلك . عاشوا يقتل فرعون أبناءهم ، ويستحيى نساءهم ، فاذا فتر هذا النوع البشع من الارهاب الوحشى ، عاشوا حياة الذل والسخرة والمطاردة ، على كل حال .

---

(١٤) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الرابع : ١ .

(١٥) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح الرابع عشر : ١١ ، ١٢ .

(١٦) العهد القديم : سفر الخروج — ٢ : الاصحاح السابع عشر : ٣ ، ٤ .

وفسدت نفوسهم ، وفسدت طبيعتهم ، والتوت فطرتهم ، وانحرفت تصــوراتهم ، وامتلأت نفوسهم بالجبن والذل من جانب ، وبالحقــد والقســوة من الجانب الآخر .. وهمــا جانبان متلازمان فى النفس البشرية ، حيثما تعرضت طويلا للارهاب والطغيان » [١٧] .

بنو اسرائيل فى فرصتهم الأخيرة للنجاة :

بلغ اليهود أوج قوتهم ــ كما سبق ــ فى عهد سيدنا داود [١٨] ، حيث تم توحيد دولتهم ، وحيث حكمهم أربعين سنة ، ثم حكمهم ابنه سيدنا سليمان أربعين سنة أخرى [١٩] ، ولكن انتصــار اليهود على أعدائهم ، جعلهم بعدهما ، ينقسمون على أنفسهم ، ويحارب بعضهم بعضا ، ويقعون ــ فى النهــاية ــ فى أيدى أعدائهم ، من الآشوريين والبــابليين [٢٠] .

ولقد استفادوا من هــذا الدرس ، فراحوا يجتمعون أو يتجمعون من جديد ، ويخططون للعودة الى ما مضى قبل الانقسام .. وكان للتآمر والدس والخديعة والغش والكذب والنفاق ، وهى صفات أصيلة فيهم .. دورها فى اعادتهم مرة ثانيــة ، الى أورشليم (القــدس) ، عند حكم الفــرس لهــا .

وفى سنة ٣٢٣ ق.م ــ كما سبق ــ تبعت الشام للاسكندر الأكبر ، فصاروا تابعين له بالتبعية ، ثم تبعوا حكم البطالسة فى مصر ، ثم خضع اليهود ــ أخيرا ــ لحكم الرومان [٢١] .

---

(١٧) سيد قطب : فى ظلال القــرآن ــ المجلد الثالث (مرجع سابق) ، ص ١٣٦٤ .
(١٨) ارجع الى ص ٤٨ من الكتاب .
(١٩) ارجع الى ص ٦٦ ، ٦٧ من الكتاب .
(٢٠) ارجع الى ص ٦٦ من الكتاب .
(٢١) ارجع الى ص ٦٧ من الكتاب .

واستطاع اليهود فى هذه المرحلة الطويلة ، أن ينظموا صفوفهم ، وأن يكونوا قوة ، وان لم يستطيعوا — بهذه القوة — أن يكونوا مملكة ، كما كانوا يحلمون .

وفى هـذه الأثناء ، أرسل اليهم عيسى بن مريم ، ليهديهم سواء السبيل ، كما أرسل السابقون عليه اليهم — وما أكثرهم ، ليهدوهم الى نفس الطـريق .

وفصلت المسيحية على بنى اسرائيـل ، لا على غيرهم ، واليهم أرسل المسيح ، تلاميذه الاثنى عشر :

— « هؤلاء الاثنا عشر ، أرسلهم يسوع ، وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى ، الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٢٢) .

ومن المفارقات العجيبة ، أن مصر التى ضاقت باليهود من قبل ، كانت هى التى فتحت صـدرها واسـعا ، للمسيح عيسى بن مريم — أو على حـد ما يرويه انجيل متى :

— « ولمـا ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية ، فى أيام هيرودس الملك ، اذا مجـوس من الشرق ، قـد جاءوا الى أورشليم ، قائلين : أين هو المولود ، ملك اليهود ، فاننـا رأينا نجمه فى المشرق ، وأتينا لنسجد له ... حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم أرسلهم الى بيت لحم ، وقال : اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه ، فأخبرونى ، لكى آتى أنا أيضا ، وأسجد له ... وبعد ما انصرفوا ، اذا ملاك الرب قـد ظهر ليوسف (وهو يوسف النجار ، خطيب السيدة مريم) فى حلم ، قائلا : قم وخذ الصبى وأمه ، واهرب الى مصر ، وكن هنـاك ، حتى أقول لك ، لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ، ليهلكه . فقام وأخـذ الصبى وأمه

---

(٢٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح العاشر : ٥ ، ٦ .

ليلا ، وانصرف الى مصر . وكان هناك ، الى وفاة هيرودس ، لكى يتم ما قيل من الرب ، بالنبى القائل : من مصر دعوت ابنى » (٢٣) .

وبعد موت هيرودس ، عاد يوسف بالصبى وأمه « الى أرض اسرائيل » ، ثم « أوحى اليه فى حلم : انصرف الى نواحى الجليل ، وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة ، لكى يتم ما قيل بالأنبياء : انه سيدعى ناصريا » (٢٤) .

ولأن المسيح مرسل الى بنى اسرائيل دون سواهم ، انصرفت دعوته « الى التهذيب الروحى والتطهير الوجدانى » ، « بنقد الطقوس الجامدة ، والمظاهر الخاوية ، فى شعائر اليهودية ، ورد الروح والحياة ، الى الضمير الاسرائيلى » (٢٥) .

وكانت المسيحية ، فى هذا الانصراف التام الى الروح ، منطقية مع بنى اسرائيل ، الذين فشل المرسلون اليهم قبل المسيح فى اصلاح حالهم ، لأن الدنيا كانت منتهى آمالهم ، ولأن أجسادهم وما ركب فيها من شهوات ، كانت محور تفكيرهم . ويكفى أننا لا نجد « فى العهد القديم — كتاب اليهود الأول » — على حد تعبير الشهيد سيد قطب — « ذكرا للعالم الآخر بتاتا . ومن السياق كله ، نفهم أن الجزاء على الشر ، كان يتحقق فى الدنيا ، بالقياس الى الأفراد والى الجماعات ، فاله بنى اسرائيل ، لم يكن يغفل عن أخذ المسىء منهم باساءته ، فردا كان منهم ، أو جيلا من أجيالهم » (٢٦) .

واذا كان الرسل السابقون على المسيح ، الذين حاولوا علاج أوجاعهم برفق ، قد فشلوا معهم — فكيف يكون حال المسيح ، الذى حاول علاجها بهذا العنف ؟

---

(٢٣) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى : ١ — ١٥ . والابن المقصود هنا ، هو المسيح ، عيسى بن مريم .
(٢٤) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى : ٢٠—٢٣ .
(٢٥) سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى بمصر — ١٩٥٢ ، ص ٧ .
(٢٦) سيد قطب : مشاهد القيامة فى القرآن — دارالشروق ، ص٢٩ .

لقد تصدوا له بنفس العنف أيضا ، معتمدين على افحامه بالكلام أول الأمر ، ثم منتقلين الى محاولة الايقـــاع بينه وبين السلطة ، ثم منتقلين آخر الأمر الى التآمر عليه وعلى حياته •• وهى نفس السلسلة ، التى يمر بها (الذكاء اليهودى) ، وتسلكها (العبقرية اليهودية) ، مع من يقفون فى طريق تآمرهم وغدرهم وخداعهم •

وقـــد بدءوا أول الأمر ، بالاحـــراج الكلامى له ، فهـــا هـــم الصدوقيون [٢٧] ، الذين لا يؤمنون بالقيامة ، يسألونه ليحرجوه ، عن وضع المرأة التى تتزوج سبعة اخوة ، « ففى القيامة ، لمن من السبعة تكون زوجة ، فانها كانت للجميع ؟ فأجاب يسوع ، وقال لهم : تضلون ، اذ لا تعرفون الكتب ، ولا قـــوة الله ، لأنهم فى القيامة ، لا يزوجون ولا يتزوجون • بل يكونون كملائكة الله فى السماء » [٢٨] •

« أما الفريسيون ، فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين ، اجتمعوا معا ، وسأله واحد منهم ليجربه ، قائلا : •••• » [٢٩] •

ولمـــا فشـــل الفريسيون [٣٠] ، فى احراجه علميا ، كما فشـــل الصدوقيون من قبلهم ، اتجهوا الى محاولة أخرى ، هى (الايقـــاع) بينه وبين السلطة ، فقد « تشاوروا (أى الفريسيون) ، لكى يصطادوه بكلمة » : « أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم ، وقال : لمـــاذا تجربوننى يا مراؤون ؟ » • « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما للـــه للـــه » [٣١] •

---

(٢٧) واليهم اشرنا ، عند حديثنا عن (فرق اليهود والدولة العبرية) ، فى الفصل الثانى : ارجع الى ص ٦٩ من الكتاب .

(٢٨) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى والعشرون : ٢٨ — ٣٠ .

(٢٩) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى والعشرون : ٣٤ ، ٣٥ .

(٣٠) واليهم اشرنا عند حديثنا عن (فرق اليهود والدولة العبرية) فى الفصل الثانى — ارجع الى ص ٦٩ من الكتاب .

(٣١) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى والعشرون : ١٥ — ٢١ .

ثم لجأ الفريسيون أخيرا الى التآمر عليه ، بعد فشل كل المحاولات ، حيث « تشاوروا عليه ، لكى يهلكوه » (٣٢) — على حد تعبير متى فى انجيله .

ولم يكن غريبا ، أن ييأس السيد المسيح — آخر الأمر — من اصلاحهم ، فيتجه الى الدعاء عليهم ، كما فعل سيدنا نوح من قبل ، مع قومه (٣٣) ، وكما فعل سيدنا موسى ، مع فرعون (٣٤) — ولكن بصورة أخرى ، يبدو فيها ما اتسم به من حلم ورقة — فها هو يوجه كلامه الى الفريسيين خاصة :

— « لكن ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون .. ويل لكم أيها القادة العميان .. أيها الجهال والعميان .. أيها الحيات أولاد الأفاعى ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ » (٣٥) .

ثم ها هو — أخيرا — يوجه كلامه الى اليهود عامة ، من خلال كلامه الموجه الى مدينتهم أورشليم :

— « يا أورشليم . يا أورشليم . يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ، ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (٣٦) .

---

(٣٢) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثانى عشر : ١٤ .
(٣٣) قرآن كريم : نوح — ٧١ : ٢٦ ، ٢٧ — ونص الآيتين : « وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » .
(٣٤) قرآن كريم : يونس — ١٠ : ٨٨ — وفى الآية دعاء سيدنا موسى : « .. ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » .
(٣٥) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثالث والعشرون : ١٣ — ٣٣ .
(٣٦) العهد الجديد : انجيل متى — ١ : الاصحاح الثالث والعشرون : ٣٧ ، ٣٨ .

بنو اسرائيل بعد المسيح :

نجح اليهود — كشعب — والرومان — كدولة — فى ازهاق روح المسيحية ، وفى مطاردتها ، حتى ولت هاربة من فلسطين ، لتنتشر ببطء قاتل ، فى أنحـاء متفرقة من الامبراطورية الرومانية — قبل أن يعاد تصديرها مرة ثانية ، الى موطنهـا الأصلى — فلسطين — بعد قرنين كاملين من الزمان .

وأخيرا اعترف الامبراطور جستنيان بهـا دينـا رسميا للدولة سنة ٥٢٩ م ... ثم بدأت أمارات انهيار الامبراطورية الرومانية .

وهكذا ، كان ظهـور المسيحية ، « نذير شؤم على الامبراطورية الرومانيـة » (٣٧) — فقـد بدأت عوامل الانهيـار ، تتخلل جسد الامبراطورية ، بمجرد ظهورها ، رغم انتشارها البطىء .

ويبـدو أن اليهـود قـد وجدوها فرصة ، ينقضون بهـا على الامبراطورية ، ويعيدون لأنفسهم مجـدا سـبق ، ولكن رد فعل الامبراطورية كان عنيفـا ، فقـد وجـه اليهم تيطس ، فى العقد السابع من القرن الأول الميلادى ، ضربة ، لا تقل فى عنفها عن ضربة السبى البابلى ، التى وجهها اليهم بختنصر الكلدانى قبل ميلاد السيد المسيح بخمسة قرون (عام ٥٧٦ ق.م) (٣٨) .

وفى هـذه الضربة الأخيرة ، تم تدمير هيكل سليمـان على يد هيرودس ، أول الفتنة ، وكان « تدمير الهيكل ، فى واقع الأمر ، نهـاية الفتنة ، ونهاية الدولة اليهودية ، حيث صودرت أملاك الذين اشتركوا فيها ، وبيعت ، وكادت الدولة اليهودية أن تخلو من اليهود ، وعاش من بقى

---

(٣٧) دكتور عبد الغنى عبـود : دراسة مقارنة لتاريخ التربيـة — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ ، ص ١٣٤ .

(٣٨) ارجـع الى :

— أنور الجندى : المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، فى غزو الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٣١ .

— أنور الجندى : تاريخ الاسلام فى مواجهـة التحـديات (مرجع سابق) ، ص ٤٣ .

منهم فيها عيش الكفاف » . « واتخذت اليهودية الصورة التى احتفظت بها الى أيامنا هـذه : صورة دين ، بلا معبد مركـزى ، ولا كهنوت مسيطرين عليه ، ولا قرابين » [٣٩] .

ويرى ول ديورانت ، أن « هجرة مليون من اليهود ، أو تشريدهم ، (كانت) مما عجـل انتشارهم فى جميع بلاد البحر الأبيض المتوسط ، ومن أجل هـذا ، أرخ علماؤهم تشتيتهم ، من الوقت الذى دمر فيـه هيرودس الهيكل . ولقـد رأينا أن هـذا التشتيت بدأ بالسبى أو الأسر البابلى ، قبـل ذلك الوقت بسـتة قرون ، وأنه تجـدد باستيطانهم الاسكندرية » .

كما يرى أنهم « قـد أثاروا بكثرة عددهم ، ولباسهم ، وطعامهم ، وختانهم ، وفقرهم ، وطمعهم ، ورخائهم ، وعزلتهم ، وذكائهم .. » — « أثاروا بهذا كله ، حركة عداء للسامية ، تختلف ، من المزاح فى الملاهى ، والسخرية بهم » ، « الى ذبحهم فرادى فى الشوارع ، وقتلهم زرافات ، فى المذابح المدبرة » [٤٠] .

وفى غرب أوربا ، كان الوضع أسوأ من ذلك بكثير ، فان « فـوز المسيحية ، قـد صحبته متاعب جـديدة . ذلك أن قسطنطين كان قبل أن يعتنق المسيحية ، قـد سوى من الوجهـة القانونية ، بين الدين اليهودى ، وبين سائر الأديان ، التى يدين بهـا غيرهم من رعاياه . أما بعد اعتناق المسيحية ، فقد اضطهد اليهود ، وفرض عليهم قيودا ومطالب جديدة ، وحرم على المسيحيين أن يتصلوا بهم ، ونفى قسطنطين أحبارهم (٣٣٧) ، وجعل زواج اليهودى من مسيحية ، جريمة ، يعاقب

---

(٣٩) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — ترجمـة محمـد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٤٠) المرجع السابق ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

مرتكبها بالاعدام » (٤١) .

وخـلال العصـور الوسطى الأوربية ، عاش اليهود فى الغرب ، فى أسوأ الأوضاع ، فقـد وجهت اليهم الكنيسـة الكاثوليكية ، حملة منتظمة ، لابادتهم ، وتطهير (أرض المسيح) من شرهم ، خاصة وأن الكنيسة كانت قـد حملت اليهود ، دم المسيح — قبل أن تبرئهم من هذا الدم ، فى العقد السادس من هـذا القرن العشرين !!

ونتيجة لذلك ، أصـدرت الكنيسة الكاثوليكية بعد مجمع لاترين الرابع ، « سنة ١٢١٥ ، قيودا ضخمة ، على حركة اليهود ، كانت الغاية منها ، كبح جماحهم ، فحتمت هـذه القرارات على اليهود ، الاقامة فى أحيائهم الخاصة ، وحرمت عليهم تحريما تاما ، استخدام النصارى ، أو الاشتغال بأكثر من نوع واحـد من التجارة » . « ومنذ عام ١٥٠٠ ، حتى ١٦٥٠ م ، كانت أوربا الغربيـة بأسرها ، باستثناء بعض المناطق فى ايطاليا وألمـانيا ، قـد تخلصت من اليهود ، وكان اليهود فى هـذه الفترة ، قـد تجمعوا فى الامبراطورية العثمانيـة ، ويرى الكثيرون ، أن هـذه الفترة ، التى عاشتها أوربا بدون اليهـود ، هى فترة عصر النهضة ، التى ازدهرت فيها العلوم والفنون » (٤٢) .

وبعيدا عن هـذه المطاردة الكنسية لليهود ، كانت هناك مطاردات حكومية لهم ، فى بلاد أوربية مختلفة ، اثر مخالفات صارخة ، حتمت طردهم ، وقـد تم هـذا « الطرد من انجلترا سنة ١٢٩٠ ، ومن فرنسا سنة ١٣٩٤ ، ومن النمسا سنة ١٤٢٠ ، ومن أسبانيا سنة ١٤٩٢ ، ومن ألمـانيا سنة ١٥١٩ ، ومن روسيا سنة ١٧٢٧ » (٤٣) .

---

(٤١) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجـلد الرابع (١٤) (عصر الايمـان) (مرجع سابق) ، ص ٦ .

(٤٢) أنور الجندى : العروبة والاسلام (الرد على ساطع الحصرى ، وميشيل عفلق ، وانطون سعادة) — رقم (١) من (معالم التاريخ الاسلامى المعاصر) — دار الاعتصام — ١٩٧٦ ، ص ٩٠ .

(٤٣) أنيس منصور (مرجع سابق) ، ص ١٣٩ .

ولم يفتح صدره لليهود ، فى هذه الفترة الطويلة من المطاردات •• الا العالم الاسلامى ، الذى يكتوى اليوم وحـده •• بنارهم ، ولكنه شأن اليهود — كما رأيناه — مع كل من قدم لهم يدا بخير •

وســوف نتعرض لذلك — على أية حال — فى الفصـل التـالى باذن اللـه •

اليهـود ينتعشون من جديد :

كانت بداية (انتعاشـة) اليهـود فى أوربا ، هى نفسها بداية (انتكاسة) الكنيسة الكاثوليكية بها • وتبدأ هـذه الانتكاسة الكنسية الكاثوليكية رسميا سنة ١٥١٥ ، بظهور الاصلاح الدينى البروتستانتى ، ولكنها تبدأ فعليا قبل هـذا التاريخ بكثير [٤٤] •

ذلك أن « الكنيسة الكاثوليكية » ، قد « مرت » « بمرحلة ، أصيبت فيها بنكسة ، فى رسالتها المسيحية • ولقد ألبت هـذه النكسة عليهـا بعض المعترضين من مفكرى المسيحية ، فظهر فى القرن السادس عشر ، المذهب البروتستانتى (ويعنى مذهب المحتجين) ، تحت زعامة مارتن لوثر الألمـانى ، ولم ترض الكنيسة الكاثوليكية بطبيعة الحـال ، عن هـذا الانشـقاق ، فحملت على المنشقين ، وأعلنت حرمانهم ، وصبت عليهم جام غضبها ، واضطهدتهم ، ما استطاعت الى ذلك سبيلا • وكانت تلك فرصة مواتية انتهزها اليهـود ، للتقرب من البروتستانت ، الذين ساد مذهبهم الجـديد فى بريطانيا ، والولايات المتحـدة الأمريكية ، وألمـانيا • واحتضنت المسيحية البروتستانتية ، اليهـودية ، بجـامع

---

(٤٤) افردنا صفحات طـويلة ، فى كتابنا الأول من كتب السلسـلة ، للحديث عن الاصلاح الدينى فى الغرب ، وأسبابه ، ومقدماته ونتائجه •• ولذلك أوجزنا كثيرا هنا — ومن أراد التفصيل ، فليرجع الى :

— دكتـور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة — الكتـاب الأول من سلسلة (الاسـلام وتحـديات العصر) — الطبعة الثانيـة — دار الفكر العـربى — ١٩٨٠ ، ص ٣٠ — ٣٦ •

المشاركة فى الاضطهاد الكاثوليكى • ومن هنا كانت بريطانيا ، منذ عهد أوليفر كرومويل ، أول بلد ، أتاح لليهــودية ، فرصــة السيطرة على أقداره ، وهى سيطرة خفيــة ، بعيدة عن صخب المجاهرة ، تبدأ أولا بالجوانب الاقتصادية ، ثم الاعلامية ، أى بالمــال ، ثم الفكر • وتبعتها بعد ذلك ، الولايات المتحدة ، وغيرها من بلاد الغرب » (٤٥) •

وليس من قبيل المصــادفة ، أن يصدر وعــد بلفور فى انجلترا سنة ١٩١٧ ، وأن يكون الدعم الكامل بالمــال والسلاح لها بعد ذلك ، من الولايات المتحــدة الأمريكية •

ويقولون : ان الله قــد « أوحى الى موسى عليه السلام ، أن يتخذ مجلســا ، من سبعين شيخا من شيوخ بنى اسرائيل (٤٦) ، ويسمونه (مجمع السنهدرين) ، وهــو يتألف من حاخاماتهم ، بزعامة الكاهن الأكبر • وقــد ظل مجمع السنهدرين قائما ، حتى انفض عام ٧٠ بعــد الميلاد ، بعد تدمير هيكل سليمان ، وتمزق اليهود ، وتشتتهم فى شعاب الأرض ، ولكن حلت محله هيئات سرية ، ترعى شئون اليهود ، وتعمل مستخفية •

وفى عام ١٨٠٧ م ، حاول نابليون بونابارت (٤٧) ، احياء السنهدرين القديم ، فى هيئة تضم الحاخامات والعلمانيين ، لجمع شمل اليهــود ، تحت لوائه » •

---

(٤٥) دكتور صبرى جرجس (مرجع سابق) ، ص ١٩٠ •

(٤٦) ولعل هــذا المجلس ، هو الذى أشار اليه سفر العدد (رقــم ٤ من أسفار التوراة) ، عنــدما طلب الشعب الاسرائيــلى من موسى أن يطعمه لحما ، فأشفق الله على موسى ، أن يتحمل وحده كل عبء الشعب ، « فقال الرب لموسى : اجمع الى سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل ، الذين تعلم انهم شيوخ الشعب وعرفاؤه ... فيحملون معك ثقل الشعب ، فلاتحمل أنت وحدك » (آيات : ١٦ ، ١٧) •

(٤٧) ولا ننسى هنــا أن نابليون بونابرت، لم يقف فى طريق مطامعه شىء ، كالكنيسة الكاثوليكية ، التى لم يستطع كسر شوكتها •

و « بعد أن ظفر اليهود بحقوق المواطنين ، فى القرن الثالث عشر (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) ، سارعوا بانشاء جمعيات يهودية سافرة ، فى عـدة أقطار ، مثل جمعية عشاق صهيون ، التى أنشئت فى أوديسا سنة ١٨٨٢ م (١٢٩٨ هـ) ، وحركة التنوير (الهاسكالاه) فى ألمـانيا •• » الخ •

« وبمجهود هرتزل ، التـأم أول مؤتمر عالمى ، فى مدينـة بال بسويسرة ، فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ، يضم أقطاب اليهـود ، من أقطار الدنيا ، حيث توفروا على توحيد جهودهم ، والسعى لتحقيق آمالهم •

وبالنظر لنجاح هـذا المؤتمر ، من وجهة نظر الصهيونية ، فقـد تقرر عقده بصفة دورية ، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية فى ألمانيا ، تنفيذا لقرار ذلك المؤتمر » •

و « من المنظمـات الصهيونيـة السرية الخطيرة ، التى اكتشف أمرها : المـاسونية ، والبهائية ، وجمعية شهود يهوه ، ونادى الصلبان المزدهرة ، ونوادى الروتارى » (٤٨) •

غير أن هـذا الانتعاش الذى انتعشه اليهود فى أوربا ، انتعاش غير صحى ، لا يعكس حقيقة وضعهم بين من يعايشونهم من الأوربيين — وحقيقة وضعهم هناك، أنهم أقلية مكروهة ، تملك من وسائل القـوة ، وأسباب التنظيم ، ما يجعلهـا تتسلط على الأكثرية الكارهة لهـا •• فتزداد لهـا كرها•

وما فعله هتلر باليهـود ، فى النصف الأول من هـذا القـرن ، يخشى اليهود كثيرا أن يتكرر ، فى ألمـانيا وفى غيرها •• خاصـة وأن

---

(٤٨) د. محمد على جريشة ، ومحمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، للعـالم الاسلامى — الطبعة الأولى — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٧٧ — ١٧٩ .

الصليب المعقوف (رمز النازية) ، بدأ يظهر كثيرا ، فى ألمانيا ذاتها ، وفى غيرها •

ومعروف عن اليهود ، أنهم لا يتم لهم معنى عيد الفصح — وعيد أستير ، أو عيد البوريم — الا اذا سفك لهم فى هذين العيدين دم • ولذلك ، فعيد الفصح عندهم ، هو « عيد الضحية ، كما أنه عيد خبز الفطير ، وموسم الحج » • « ولا يستطيع باحث فى الفكر الاسرائيلى ، أن يذكر عجينة الفطير ، المفروضة فى عيد الفصح ، دون أن يقف عند تهمة توجه الى اليهود ، من كثير من أعدائهم ، فى هذا العيد بالذات ، هى التى اشتهرت فى العالم ، باسم تهمة الدم • وخلاصتها أن خبز الفطير ، المفروض على اليهود فى فصحهم ، قد جرت العادة ، أن يدخلوا فى عجينته دما بشريا ، يأخذونه من ضحية يقتلونها ، من أمة أخرى غير اليهود ، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين »[٤٩] •

وفى عيد البوريم Purim ، وعيد الفصح Passover ، يرى عبد الله التل ، أنه « لا تتم الفرحة فيهما ، الا بتناول الفطير ، الممزوج بالدماء البشرية » ، وأن « ذبائح عيد البوريم ، تنتقى عادة من الشباب البالغين • يؤخذ دم الضحية ، ويجفف على شكل ذرات ، تمزج بعجين الفطائر ، ويحفظ ما يتبقى للعيد المقبل • أما ذبائح عيد الفصح ، فتكون عادة من الأولاد ، الذين لا تزيد أعمارهم كثيرا عن عشر سنوات • ويمزج دم الضحية ، بعجين الفطر ، قبل تجفيفه ، أو بعد تجفيفه •

وطريقة استنزاف دم الضحية ، اما أن تكون بوساطة البرميل الابرى » ، « أو بذبح الضحية ، كما تذبح الشاة ، وتصفية دمها فى وعاء ، أو بقطع شرايين الضحية فى مواضع عدة ، ليتدفق الدم من الجروح ، ويجمع فى وعاء ، ويسلم الى الحاخام ، الذى يقوم باعداد الفطير المقدس ، ممزوجا بدم البشر ، ارضاء لاله اليهود يهوه ، المتعطش لسفك الدماء • ولا تتم أفراح اليهود فى عيدهم ، اذا لم يأكلوا الفطير الممزوج بدم غير اليهود • وكان اليهود فى الماضى يفضلون دم المسيحى ، نظرا للأحقاد الدينية ، التى يضمرونها للمسيحية ، وللمسيحيين » •

---

(٤٩) الدكتور حسن ظاظا (مرجع سابق) ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ •

« وطبيعى أن هــذا الحقد ضد المسيحية ، قــد سرى فيما بعد ، على الاسلام والمسلمين ، وأصبح اليهودى يجد من العبادة ، أن يسفك دم الكفــار Gentiles ، أى المسلمين والمسيحيين ، وغيرهم من غير اليهــود » (٥٠) .

وقــد سجل عبد الله التل الحوادث المكتشفة من هذا النوع (٥١) ، نقلا عن الأستاذ أرنولد ليز Arnold Leese ، المجاهد البريطانى ضــد الاجرام اليهودى ، فى كتابه Jewish Ritual Murder, London, 1938 (٥٢) ، وهــو يغطى الحوادث المتعلقة بتلك الجريمــة فى مختلف أنحاء العالم ، فى الفترة من سنة ١١٤٤ م الى سنة ١٩٣٢ م ، مركزا على ما وقع من حوادث ، فى أوربا وروسيا .

ومن بين تلك الحوادث التى يذكرها ، حادثة الأب توما ، وخادمه ابراهيم عمار ، فى دمشق ، سنة ١٨٤٠ ، والتى قبض فيها على الجناة ، ولكن محمد على هربهم من السجن ، بضغط يهودى (٥٣) .

ويرى الدكتور على عبد الواحــد وافى ، أن اليهود « فى عيــد الفصح » ، وفى « عيد البوريم أو أستير » ، « لم ينفكوا منــذ عهــد بعيد ، ولا ينفكون فى الوقت الحاضر ، يزاولون هــذه الجرائم ، فى كثير من بلاد العالم ، باسم دينهم ، ووصايا تلمودهم » (٥٤) .

ومثل هــذه الحوادث ، التى قلما نسمع عنها نحن هنا ، يقرأ عنها

---

(٥٠) عبد الله التــل : خطر اليهــودية العالميــة ، على الاســلام والمسيحية — الطبعة الثانية — دار القلم بالقاهرة — ١٩٦٥ ، ص ٨٠ — ٨٢ .

(٥١) المرجع السابق ، ص ٨٣ وما بعدها .

(٥٢) وترجمته : جريمة الطقوس (أو الشعائر) اليهودية — المنشور فى لنــدن سنة ١٩٣٨ .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ وما بعدها .

(٥٤) الدكتور على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود (مرجع سابق) ، ص ٤١ ، ٤٢ .

الغربيون كثيرا عندهم ، ويضاف اليها ما يلمسونه من حيـــاة اليهود بحـــرية بينهم •••

ذلك أن اليهــود قــد خرجوا فى أوربا والولايات المتحــدة من (حارة اليهود) المــادية ، التى عاشوا فيهــا عبر تاريخهم الطويل •• ليعيشوا فى (حارة اليهــود) المعنوية ، التى لا تستطيع أرواحهم أن تغادرها •• وذلك لأن « عزلة اليهود » « لم تكن راجعة الى الاضطهاد الذى لاقوه ، بقدر ما نتجت عن التعاطف الوجدانى ، الذى كان يخلق لهم احتمال اللقاء ، على مختلف مواطن الاقامة ، ومستويات الثقافة • وهــذا التعاطف الوجــدانى ، هو الذى أثر فى سلوك رجل متميز فى ثقافته ، كفرويد ، فجعله ، برغم تميزه هــذا ، يفــرض على نفســه ما يشــبه الجيتو ، فيعيش بمعزل عن المجتمع ، الذى قضى حيــاته فيه ، لا يعرف الانتماء اليه ، ولا يشعر بالولاء له ، ولا يكاد يخــرج بنفسه عن مثوى اليهود ومجتمعهم ، وهو أيضا الذى فرض على اليهود فى بقاع الأرض جميعــا ، عزلة مماثلة ، فصلتهم فكريا وأيديولوجيا ، الى جانب انفصالهم الوجدانى بطبيعة الحال ، عن البيئات التى أقاموا فيها ، مهما كانت تفسح لهم من رحابها ،

فلما أقبل القرن التاسع عشر ، وكانت الروح القومية قــد بدأت تنتعش فى أوربا ، وسارت معها الاتجاهات العقلانية فى التفكير ، أتيحت لليهود فى كثير من البلاد الأوربية ، فرصة الحصول على حقوق المواطن كاملة ، تشجيعا لهم على الخروج من العزلة ، التى اختاروها فى الأغلب لحيــاتهم •

واتفق ذلك الوقت ، مــع ما ارتآه اليهود أنفسهم ، من ضرورة التعــديل فى (مظاهر) حياتهم ، بما يلائم روح العصر ، ويكون أكثر فعالية فى تحقيق أحلامهم بالسيادة ، فكان هــذا التحول ، من العوامل الحاسمة ، فى التكيف مع عادات المجتمع البورجوازى ، الذى يعيشون فيه ، وأدى آخر الأمر ، الى خلق (اليهودى الجديد) •

وقــد يكون هــذا اليهودى فى ظاهر الأمر ، انجليزيا أو فرنسيا أو ألمــانيا الخ ، ولكن ولاءه يظــل برغم ذلك ، لذاتيته اليهــودية ، واتجاهه الأورشــليم ، دون البلد الذى يعيش فيه ، ودون القيم التى يتمثلها ذلك البلد . ولعل ذلك يوضح ما نعنيه بالعزلة » .

« لقــد ظــل اليهودى ، برغم كل مظاهر اندماجه فى البيئة غير اليهودية التى يعيش فيها ، محتفظا بسماته اليهودية المميزة ، عاملا على تحقيق ذاتيته اليهودية ، التى ظلت تلازم اليهود عبر القرون ، والتى ظلت تجمعهم أبدا حول الشــعار ، الذى ما فتىء يغرس فى نفوسهم على مر العصور ، وأينما كانوا ، وهو أنهم شعب الله المختار » (٥٥) .

ومن خلال عزلة اليهود المندمجة تلك فى العالم الغربى .. صارت لديهم وسائل أكثر ، لتنفيذ مخططاتهم ، والسيطرة على حياة الغرب ، من خــلال ما (ينشرونه) فيه من أفكار ومبادىء وآراء ، (تحطم) الحياة فيه تحطيما ، فعلى أيديهم ، انتشرت فيه كل المذاهب الوجودية والفوضــوية والعبثية وغيرها ، وهى ليست الا « ضربا من العدمية ، أو ضربا من الاباحية ، التى لا تعترف بشىء غير شهوات الفرد ، ودوافع الأثرة والأنانية » (٥٦) .

وطبيعى ، أن يختفى الدين السماوى — أى دين — وسط هــذا الركام المــادى الشهوانى ، فان « الدين هو العدو الأول للماديين » ، « ممن ينكرون ما وراء المــادة ، ويقصرون تفكيرهم وحيــاتهم ، على معطيات الحس ، فى محيط المصلحة الفردية الذاتية » (٥٧) — بل طبيعى ، أن نجد العلماء هناك « يجهرون بالعداوة السافرة ، وينشرون هــذه الآراء الكافرة التى تقول : ان الانسان هو الذى خلق الله ، وليس الله

(٥٥) دكتور صبرى جرجس (مرجع سابق) ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .
(٥٦) عباس محمود العقاد : أفيون الشعوب ، المذاهب الهــدامة — الطبعة الخامسة — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٥ ، ص ٩٣ .
(٥٧) عبد الكريم الخطيب : الله والانسان ، قضية الألوهية ... بين الفلسفة والدين — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ ، ص٥٦ .

هو الذى خلق الانسان » [٥٨] — تماما كما تعود اليهود أن يفعلوا [٥٩] .

والخطوة المنطقية — بعد ذلك — أن يهاجم السيد المسيح ذاته ، فى عقــر داره ، وأن ينظر اليه على أنه لم يكن ، وعلى أن « المسيح والمسيحية » ، هما « من اختراع القديس بولس » [٦٠] .

ثم تأتى الخطوة الأخيرة — وهى السيطرة المباشرة ، على مقدرات الغرب ... ومحاولة توجيهها لتحقيق أغراض اليهود ... كما حــدث فى ألمــانيا — لولا هتلر ، وكما يحــدث اليوم ، بصــور مختلفة ، فى الولايات المتحدة — ولا ندرى : الى متى ؟

وما أصاب اليهود فى ألمــانيا ، بسبب هــذا التدخل اليهودى فى شئون البلاد ، ومحاولة السيطرة على مقدراتهــا ، وتوجيهها لصالح اليهود ، شذوذ على القاعدة ، وليس هو القاعدة . وربما كان ذلك ، لأن ألمــانيا ، كانت لها ظروفهــا (الخاصة) ، التى (تنفرد) بهــا بين دول الغــرب .

ذلك أن ألمــانيا بالذات ، كانت هى الضحية الوحيدة ، لمفهــوم (القوميات) ، الذى نتج عن الاصلاح الدينى ، فأدى الى أمور كثيرة ، كان فى مقدمتها الثورة الصناعية ، والثورة القومية .. معا .

كانت أوربا وحــدة واحدة ، تحكمهــا الكنيسة .. فتفتتت الى جماعات قومية صغيرة — وأرادت كل جمــاعة قوميــة ، أن تجهز على غيرها من الجماعات .

---

(٥٨) محمــد قطب : قبسات من الرســول — الطبعة الثانيــة — دار الشروق ، ص ٤٨ .

(٥٩) ارجع الى ص ٣٢ من الكتاب .

(٦٠) الامام الأكبر ، دكتور عبد الحليم محمود : فى رحاب الكون ، مع الأنبيــاء والرســل — العــدد (١٢٨) من (كتاب اليــوم) — رمضان ١٣٩٧ — أغسطس ١٩٧٧ ، ص ٢٠٣ .

وكانت أشهر الجماعات القومية ، استعدادا للاجهاز : الفرنسيون ، بعد أن ألهبت الثورة الفرنسية النار فى أعصابهم ، بعد تحطم الباستيل • وكان من الضربات الأولى التى وجهها نابليون (١٧٦٩ — ١٨٢١) •• ضربته القاصمة لألمانيا ، التى اقتطع بها أرض الراين Rhineland وحاول وضع البصمة الفرنسية عليها •• على مدى عشرين عاما من سيطرة الفرنسيين عليها (١٧٩٥ — ١٨١٥) •

ولم تستطع ألمانيا الافلات من الكابوس الفرنسى ، الا حين استبدلت بالضعف قوة ، من خلال « نظام جديد للتربية ، شمل جميع الألمان ، وزالت فيه كل الفوارق ، بين الطبقات الاجتماعية المختلفة » (٦١) — على نحو ما رأى الفيلسوف الألمانى فيخت Fichte ، فى خطابه الشهير الى الأمة الألمانية ، فى شتاء ١٨٠٧/١٨٠٨ •

وتحررت أرض الراين سنة ١٨١٥ ، بعد مؤتمر فيينا •• ثم عادت الى التمزق من جديد ، فكان لابد من قبضة حديدية ، تجيد لم الشمل الممزق ، فكانت قبضة النازى ، التى راحت تزيح الأدواء ، التى تنهش فى جسد الأمة الألمانية •• وكان اليهود أخطر هذه الأدواء على الاطلاق •• فهم الذين ضيعوا ألمانيا فى نظر هتلر ، بسيطرتهم عليها ، سواء فى ذلك ، سيطرتهم «على وكالة أنبائها » ، «وعلى كل الصحف» (٦٢) — بالاضافة الى سيطرتهم على البنوك والصناعات ، ومرافق البلاد الأساسية •• تمهيدا لسيطرتهم على العالم ، ليضعوا — بعد ذلك — « اكليلا من الزهر ، على جنازة الجنس البشرى » (٦٣) — على حد تعبيره •

وهتلر ومساعدوه — على حد تعبير برتراند رسل — « هم قبل

---

(61) HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions ; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958, p. 218.

(62) HITLER, ADOLF : My Struggle, Number II ; The Paternester Library, 1937, p. 33.

(63) Ibid., p. 35.

كل شىء ، رجال وطنيون » ، الا أنهم خيل اليهم — على حـد تعبيره أيضا — «أن مصالح ألمانيا ، هى وحدها المصالح الجديرة بالاعتبار»(٦٤).

ومن ثم ، فمن أجل دفاعه عن ألمانيا ، ضد المطامع الفرنسية (٦٥) — كان لابد من ركوب الصعب ، وكان لابد من تحطيم اليهود .. قبل أن يحطم اليهود ألمانيا ، ويحطموا العالم من خلالها .

ومثلما يسيطر اليهود على الغرب الرأسمالى ، يسيطرون على الشرق الشيوعى أيضا ، بل ان منشىء الفكرة ذاتها ، وهو كارل ماركس Carl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) ، قد نشأ « من سلالة أسرائيلية ، وكان أجداده لأبيه وأمه ، كهانا متعصبين لعقيدتهم ، غالين فى رعاية شعائرهم » (٦٦) — كما أن الذين قاموا بالثورة فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩١٧ ، كان معظمهم من اليهود ، فقد « حكم روسيا (بعدها) مجلس مكون من عشرة أعضاء ، كان بينهم ستة من اليهود » (٦٧) .

يضاف الى ذلك ، أن الماركسية — كفكرة — قد ولدت فى الغرب الرأسمالى أساسا ، « ممثلة لرد فعل عنيف ، سياسى وفلسفى ، على حالة اجتماعية قائمة : المجتمع الرأسمالى الأوربى ، فى القرن التاسع عشر » (٦٨) — وعليه كانت البصمة اليهودية واضحة ، على نحو ما وضحنا

---

(٦٤) برتراند رسل : نحو عالم أفضل — ترجمة ومراجعة درينى خشبة ، وعبد الكريم أحمد — رقم (٦٨) من (الألف كتاب) — العالمية للطبع والنشر ، ص ٦٦ .

(65) COUPLAND, R. (Selected by) : The War Speeches of WILLIAM PITT, the Younger ; Third Edition, Oxford, at the Clarendon Press, 1940 p. XLVI, XLVII, from the Introduction.

(٦٦) عباس محمود العقاد : افيون الشعوب ، المذاهب الهدامة (مرجع سابق) ، ص ٨٠ .

(٦٧) على أدهم : حقيقة الشيوعية — تقديم جمال عبد الناصر — المكتب المصرى الحديث ، ص ١٥٤ .

(٦٨) الدكتور أحمد عروة : الاسلام فى مفترق الطرق — نقله عن الفرنسية : الدكتور عثمان أمين — دار الشروق — ١٩٧٥ ، ص ١٤٠ .

من قبل (٦٩) ،حيث سيطر الفكر المادى على الحياة ، بعد الفراغ الذى تركته الكنيسة الكاثوليكية ، المنحاة عن هذه الحياة ــ فصار «الاقتصاد» هو « القضية الأساسية للحياة » (٧٠) ــ فى تفكير ماركس •

ومن ثم كان ماركس (يحلم) بأن مجتمعه المنشود ، سوف يوجد فى ألمانيا ، أو فى انجلترا ، أو فى فرنسا •• فلقد « كتب كارل ماركس فى مايو سنة ١٨٤٩ ، قائلا : (ان الجمهورية الحمراء ، تبزغ فى سماء باريس) » (٧١) •

ولكن (الثورة) الشيوعية ، لم تتفجر هنا ولا هناك •• وانما هى (تفجرت) فى بلد (متخلف) ، لم يكن ماركس يحلم بتفجره فيه •• هو روسيا القيصرية ••

ويعيد عبد الله التل تفجر الثورة هناك ، الى مؤامرة يهودية ، على القيصر ، فقد « كانت نقمة اليهود على روسية القيصرية عظيمة ، لأنها كانت فى نظر اليهود ، الركن المكين للمسيحية ، ولأن روسيا لم تهضم تغلغل اليهودية العالمية ، فى الكيان الروسى ، ولم تسمح بسيطرة اليهود والصهيونية ، على مقدرات الشعب الروسى ، كما لم تحل دون عمليات القمع الانتقامية ، التى كانت توجه لليهود ، كلما تسببوا فى تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا ، وكلما ذبحوا طفلا ، لاستنزاف دمه لفطير العيد • وقررت الحكومة اليهودية المستورة ، أن تدمر المسيحية فى روسيا ، وأن تنتقم من الشعب الروسى ، الذى كان يحتقر اليهود ويضطهدهم ، فكانت الثورة البولشفية

---

(٦٩) ارجع الى ص ١٢٦ ــ ١٢٨ من الكتاب •

(٧٠) وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر الاسلام ومقتضياته ــ ترجمة ظفر الاسلام خان ــ الطبعة الأولى ــ المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع ــ ١٩٧٣ ، ص ٨ •

(٧١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمان ــ ترجمة ظفر الاسلام خان ــ مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين ــ الطبعة الخامسة ــ المختار الاسلامى ــ ١٩٧٤ ، ص ١١٢ •

سنة ١٩١٧ » (٧٢) .

ويستشهد عبد الله التل ، على الاصبع اليهودى المتخفى وراء ما حدث فى روسيا القيصرية ، بلغة الأرقام وحدها، فيرى أن أول حكومة شكلت بعد الثورة ، كان فيها ١٧ وزيرا يهوديا ، من بين ٢٢ وزيرا ، وأن ٣٤ من العاملين فى ادارة الحرب ، البالغ عددهم ٤٣ ، كانوا من اليهود ، وأن ٤١ صحفيا من الصحفيين الـ ٤٢ ، كانوا يهودا ، وأن اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتى السابع ، كانت تضم ٣٤ عضوا — كان منهم ٣٣ من اليهود (٧٣) .

وأخيرا يرى أن « نسبة اليهود فى الوظائف المهمة ، كانت نحو ٨٠٪ . وظل النفوذ اليهودى متغلغلا فى الاتحاد السوفيتى ، وموجها للسياسة العليا فى البلاد ، طوال حكم ستالين » (٧٤) .

* * *

وليس هناك أدل على انتعاش اليهودية اليوم ، من أن العالم كله يقف اليوم وراء اسرائيل الدولة ، رغم اغتصاب اليهود للأرض الفلسطينية ، وطرد الشعب الفلسطينى من أرضه .. فالغرب يعطيها المال والسلاح ، والتأييد المعنوى .. والاتحاد السوفيتى ، يعطيها ما هو أهم من ذلك كله ، وهو .. الرجال .

وهل هناك أدل على مساندة الاتحاد السوفيتى لاسرائيل ، أكثر من موقفه من (أصدقائه) الفلسطينيين ، ساعة الأزمة ، عند اجتياح لبنان ، ومحاصرتهم فى .. بيروت الغربية — مع المسلمين اللبنانيين ، ومن بين هؤلاء المسلمين ، الكثيرون من (التقدميين) — الموالين للكتلة الشرقية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ؟

---

(٧٢) عبد الله التل (مرجع سابق) ، ص ١٩٣ .
(٧٣) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
(٧٤) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

الفصل الخامس

اليهود والاسلام

تقديم :

وقف الاسلام من بنى اسرائيل — منذ البداية — موقفين متناقضين — أو هكذا يبدوان ، نراهما معا ، فى كتابه الكريم •

فالقرآن الكريم ، يراهم — من ناحية — مفضلين على خلق الله جميعا :

— « يا بنى اسرائيل ، اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأنى فضلتكم على العالمين » (١) •

— « ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين • وآتيناهم بينات من الأمر ••• » (٢) •

ومن أجل تفضيلهم هذا — كان نصره لهم ، على فرعون وجنده ، وتنجيته لهم من بطشه :

— « ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين • من فرعون ، انه كان عاليا من المسرفين • ولقد اخترناهم على علم على العالمين • وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » (٣) •

ثم ها هو القرآن الكريم ذاته ، يراهم — من ناحية أخرى — ملعونين أينما ثقفوا :

---

(١) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ١٢٢ •
(٢) قرآن كريم : الجاثية — ٤٥ : ١٦ ، ١٧ •
(٣) قرآن كريم : الدخان — ٤٤ : ٣٠ — ٣٣ •

- « ولقد أخــذنا ميثاق بنى اسرائيل ، وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ، وقال الله : انى معكم ، لئن أقمتم الصــــلاة ، وآتيتم الزكاة ، وآمنتم برسلى وعزرتموهم ، وأقرضتم الله قرضـــا حسنا ، لأكفرن عنكم سيئاتكم ، ولأدخلنكم جنات تجـــرى من تحتها الأنهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم ، فقد ضـل سواء السبيل • فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ، وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونســـوا حظا مما ذكـروا به ، ولا تزال تطلع على خائنـــة منهم ، الا قليـــلا منهم ، فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين » (٤) •

وهذا الذى رأيناه فى سورة المـــائدة ، عن لعنهم ، وقسوة قلوبهم ، وتحريفهم كلام الله ، ونسيانهم فضله عليهم ، وخيانتهم ، يتكرر كثيرا فى القـــرآن الكريم ، بشكل لافت للنظر •

وبين التفضيل على خلق الله جميعا ، واللعن ، تناقض ، رأينـــاه من قبل ، فى التوراة ذاتها — على نحو ما استشهدنا منها ، فى الفصول السابقـــة •

الا أنه بينما نرى التـــوراة تعـــرض القضـــية على أنها رضا من (يهـــوه) على (شعبه المختـــار) ، يتبعـــه (غضب) منه عليهم ••• بلا سبب ، ثم يتبعه رضا ، نتيجة لبكائهم وندمهم ••• وهكذا ، نجـد القرآن (يفلسف) لنـــا التفضيل ، ثم يعود (فيفلسف) لنـــا اللعن •• فتكون القضية هنا قضية الانسان •• اسرائيليا كان أو غير اسرائيلى — لا قضية (شعب الله المختار) وحده •• التى يدور حولها فكر (التوراة) •

وهـــذه هى عالميـــة الاســـلام ، كما تبدو فى مجـــرد (جزئيـــة) واحدة من جزئيات كتـــابه الكريم — هى الجزئيـــة الخاصـــة ••• ببنى اسرائيل •

---

(٤) قرآن كريم : المـــائدة — ٥ : ١٢ ، ١٣ .

اليهــود فى الاســلام :

يرى الدكتور محمــد عزيز الحبابى ، أن (كــرامة الانسان) — كانسان ، هى نقطة البداية فى التفكير الاســلامى ، وأنه لا فرق — فى الاســلام — فى مســألة الكرامة تلك ، بين مؤمن وغــير مؤمن ، لأن (المحاسبة) على الايمــان ، هى من اختصاص الله سبحانه وتعــالى يوم القيامة ، « فالفــرق الوحيد ، الذى يمكن اعتباره ، هو التمييز بين المؤمن وغــير المؤمن ، على أن كليهما يعد شــخصا ، يساوى جميــع الناس ، من حيث الكرامة الانسانية ، وقداستها » (٥) .

ويمكن أن نضيف الى قوله هذا ، قولا آخر ، هو أن (الجماعة) ، لا تتدخل فى مسألة الايمــان والكفر تلك ، الا اذا ظهر فساد بين الناس، أو افساد فى المجتمع — فهنا تجد (الجماعة) المسلمة نفسها ، مضطرة الى التدخل ، أمرا بالمعــروف ، ونهيا عن المنــكر ، وقطعا لدابر الفســاد والافساد .

ومن منظور (كرامة الانسان) تلك ، أحس اليهود بالأمن والأمان، على أنفسهم وأموالهم ودينهم ، فى حضانة الاسلام ، أكثر مما أحسوا بهما فى أية حضانة أخرى .

والمتتبع لآيات القــرآن الكريم ، يلفت نظره بشــكل واضــح ، الآيات التى يخصصها القــرآن الكريم ، للحديث عن بنى اسرائيــل ، حتى ليبــدو القــرآن الــكريم ، وكأنه لا يهتم بأمــر أمة من الأمم السابقة ، أو اللاحقة ... اهتمامه بهؤلاء القــوم . هــذا فى الوقت الذى كان فيه اليهــود — يوم كانت آيات القــرآن الكريم ، يتنزل بها الوحى — مجموعات متناثرة من البشر ، هنا وهناك ، لا قيمة لها حيث وجــدت .

---

(٥) الدكتور محمد عزيز الحبابى : الشخصانية الاسلامية — من مكتبة (الدراسات الفلسفية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ ، ص ١٦ .

وكأنما تنزلت آيات القـــرآن الكريم ، لنــا نحن اليــوم ••• لا لأجدادنا الذين عاشوا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، وهو ســبق فى كتــاب الله الــكريم ، ولكنــه ليس الســبق الوحيد ، فكل آياته ، كتبت لكل الناس ، فى كل زمان ومكان •

وحيثما وردت قصـــة من قصص بنى اسرائيل ، فى سورة من سور القــرآن الكريم ، فانها ترد ــ حيث تــرد ــ مركــزة على (زاوية) معينة من زواياها ، شأن قصص القــرآن كلهــا ، كما ترد ــ حيث ترد ، لا من أجل السرد التاريخى للقصة ــ مجرد السرد ، كما نرى قصص التوراة والانجيل معا ، وانما هى ترد ، من أجل استخلاص العظـــة والعبرة ــ شأن القصص القــرآنى كلــه •

ومن ثم يلاحظ ، أن القرآن الكريم لا (يتعاطف) مع بنىاسرائيل، الا حيث يكونون فى موقع ، تكال لهم فيه الضربات ، فيكون لجوءهم الى الله هو الشىء المنطقى •• وتكون مناصرة الله لهم ، هى المنطقية أيضا :

ــ « ثم بعثنا من بعــدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئــه ، فظلموا بهــا ، فانظر : كيف كان عاقبة المفسدين ؟ وقال موسى: يا فرعون ، انى رسولٌ من رب العالمين ••• وقال المـــلأ من قوم فرعون : أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ، ويذرك وآلهتك ، قالَ : سنقتل أبنــاءهم ، ونستحيى نساءهم ، وانا فوقهم قاهرون • قالَ موسى لقومه : استيعنوا بالله واصبروا ، أن الأرض لله ، يورثهــا من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين• قالوا : أوذينــا من قبلَ أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا ، قالَ : عسى ربكم أن يهلكَ عدوكم ، ويستخلفكم فى الأرض ، فينظرَ : كيفَ تعملون ؟ ولقــد أخذنا آلَ فرعون بالسنينَ ، ونقص من الثمراتَ ، لعلهم يذكــرون » (٦) •

---

(٦) قرآن كريم : الأعرافَ ــ ٧ : ١٠٣ ــ ١٢٩ •

ثم يكون منطقيا مع نفسيتهم القاسية بطبعها — أن ينقلبوا على الله — كما سبق كثيرا فى التوراة ذاتها — وأن يكون جزاؤهم جزاء الباغين الظالمين — نفس الجزاء الذى جوزى به فرعون ، عندما بغى عليهم ، وظلمهم . ولنتم مسيرتنا مع قصتهم ، التى رأينا بعض أحداثها من قبل :

— « وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ، مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون . وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا : يا موسى اجعل لنا الها ، كما لهم آلهة ، قال : انكم قوم تجهلون ..... واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا ، له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه ، وكانوا ظالمين ؟ ... ان الذين اتخذوا العجل ، سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين ... فلما عتوا عما نهوا عنه ، قلنا لهم : كونوا قردة خاسئين . واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٧) .

أى أن القرآن الكريم يقف مع (الانسان) ، حيث كان . فحيثما يضطهد بنو اسرائيل ، وتتحرك (الانسانية) فى قلوبهم ، يكون تأييد الله لهم .. وحيثما يحسون بالأمن ، وينسون الله ، وتموت (الانسانية) فى قلوبهم .. يكون غضب الله عليهم .. وهذا هو حالهم ، فى معظم أيام حياتهم ، كما رأينا فى فصول الكتاب السابقة ، وكما يمكن أن يرى بوضوح ، قارىء سورة البقرة (رقم ٢ فى المصحف) —

(٧) قرآن كريم : الأعراف — ٧ : ١٣٧ — ١٦٧ .

أطول سور القــرآن ، والمستمدة اســمها من قصة البقــرة ، التى أمر الله موسى أن يذبحوها — فى قوله سبحانه :

— « واذ قال موسى لقــومه : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقــرة ، قالوا : أتتخـــذنا هــزوا ؟ قال : أعــوذ بالله أن أكــون من الجاهلين » (٨) .

وما دامت (كرامة الانســان) ، هى (الأســاس) فى الفكــر الاسلامى ، بصرف النظر عما اذا كان الانسان المقيم فى (دار الاسلام) مسلما أو غير مسلم .. فقد عاش اليهود فى (رعاية) الاسلام ، وحماية المسلمين ، شأنهم فى ذلك شأن أى غير مسلم ، يعيش فى هــذه الدار ، الآمنة للجميع ، ما داموا بعيدين عن أى فساد أو افساد .

هــذا — رغم أن المسلمين يقرءون — ويؤمنون بمــا يقرءون — من قول الله سبحانه :

— « أفتطمعون أن يؤمنوا (أى اليهود) لكم ، وقــد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحــرفونه من بعــد ما عقلوه ، وهــم يعلمون ؟ » (٩) .

وقــد كان أول لقاء بين الاسلام —والمسلمين — وبين اليهود — كما هو معروف — فى المدينة ، بعد الهجرة اليها . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قــد « وادعهم ، وكتب بينه وبينهم كتــابا » (١٠) . « ولم تحــدث المسلمين أنفسهم بنقض عهود اليهود ، ولا فكروا فى

---

(٨) قرآن كريم : البقــرة — ٢ : ٦٧ . .
(٩) قرآن كريم : البقرة — ٢ : ٧٥ .
(١٠) الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢ هـ) : مختصر سيرة الرسول ، صلى الله عليه وسلم — نشره : قصى محب الدين الخطيب — الطبعة الثانية — المطبعة السلفية ومكتبتها — ١٣٩٧هـ ، ص ١٨٩ .

طردهم من أرض الجـزيرة ، بل على العكس ، توقع المسلمون منهم أن يكونوا عونا لهم فى حـرب الوثنيـة المخـرفة ، وتدعيم عقيـدة التوحيـد » [١١] .

« بيـد أن اليهود كانوا عند أسوأ الظن ، فلم تمض أيام على اختلاطهم بالمسلمين فى المدينـة ، حتى شرعوا يحرجون صـدورهم ، ويعينون عليهم . ولو أنهم كذبوا بمحمد ، كما كذبوا بعيسى من قبل ، واعتقدوا أن ما وراء توراتهم باطل باطل ، واكتفوا بأداء عباداتهم فى بيعهم ، وحبسـوا فى أفواههم المطـاعن على أنبيـاء الله .. لتركهم المسلمون وشأنهم ، يكفرون الى قيام الساعة ، دون حرب أو ضرب .

أما أن يجتهد المسلمون فى بنـاء دولتهم ، فيجتهـد هؤلاء فى نقضها » ، « فهذا ما لا يستساغ » [١٢] .

وكان اليهود قـد قدموا الى يثرب (المدينة) ، قبل الاسـلام بأكثر من خمسـة قرون ، فارين من بطش تيطس الرومانى ، وناجين بجلودهم من الضربة التى وجهها اليهم سنة ٧٠ م . وكان من القبائل التى هاجرت اليها وقتئذ ، بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة . وبعد هـذه الموجة الأولى ، كانت موجات يهودية تالية ، لحقت بهـا ، حتى احتل اليهود « فى تلك البلاد أقاليم برمتهـا ، مثل خيبر ، وكاد عددهم فى يثرب (المدينة) ، يكون مساويا لعدد العرب أنفسهم » — على حد تعبير ول ديورانت [١٣] .

وكان اليهود يعيشون على أساس الايقاع و « الدس والتفرقة

---

(١١) محمد الغـزالى : فقـه السـيرة — الطبعـة الأولى — مطابع دار الكتاب العربى بمصر — ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢م ، ص ١٨٤ .

(١٢) المرجع السابق ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(١٣) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجـزء الثالث ، من المجـلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) (مرجع سابق) ، ص ٨ .

بين أحياء العرب » (١٤) ، خاصة بين الأوس والخزرج ــ فلما آخى الاسلام بينهما ، أحس اليهود (بالخسارة) الفادحة لهذه المؤاخاة .. لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى جــو فيه سلام ومؤاخاة .

ولتأمين سلامة (الجبهة الداخلية) ــ بلغــة العسكريين ــ أمام الكفار المتربصين بالدولة الاسلامية الناشئة ، كان لابد من القضاء على اليهود ، والتخلص منهم تمــاما ، كما حدث لهم فى كل مجتمع ، وفى كل عصر ــ على نحو ما سبق فى مناسبات كثيرة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان رءوفا بهم ، فلم يأخذ واحدا منهم بذنب الآخر ، كما فعل الآخرون معهم ، ولم يأخذ جيلا بذنب جيل ، كما تأمر توراتهم ، بل عاقب كلا بجريرته ، برغم ظروف الحرب ، « فمن على بنى قينقاع ، وأجلى بنى النضير ، وقتل بنى قريظة ، وسبى ذريتهم ونساءهم » (١٥).

وانتصر الاسلام فى يثرب ، وانتشر فى الجزيرة العربية كلها .. فاضطر اليهود الى أن يتخفوا ويتستروا ، شأنهم فى ظل أى نظام قوى ثابت الدعائم ، متين .

ونسى المسلمون المنتصرون ، ما كان من اليهود ، فعاشوا فى المجتمع الاسلامى ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم .. بل لقــد فتح لهم الباب ليشاركوا فى حضارة الاسلام ، عندما تطور المجتمع الاسلامى ، ودخل عصر الحضارة (ابتــداء من العصر العباسى) ، شأنهم فى ذلك شأن الوثنيين والمسيحيين واللاتين والزرادشتيين ــ على حــد تعبير ألدوميلى (١٦) ، حيث كان الخلفاء « يضعون العلوم ، فوق أية اعتبارات

---

(١٤) أنور الجندى : المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، فى غزو الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ١٩٣ .

(١٥) الشيخ عبد اللــه بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتــوفى بمصر سنة ١٢٤٢ هـ) (مرجع سابق) ، ص ١٨٩ .

(١٦) الدومييلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى ــ نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتــور محمــد يوسف موسى ــ قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى النجار ــ جامعة الدول العربية ــ الادارة الثقافية ــ الطبعة الأولى ــ دار القلم ــ ١٩٦٢ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

أخرى ، للجنس ، أو الدين ، أو مسقط الرأس » [١٧] — مع أن اليهود معروفون بأنهم — والكلام لأحد المتعصبين لهم تعصبا أعمى — كما سنرى فيما بعد — « أحط الأمم شأنا ، فى الفنون الحربية والسلمية » [١٨] .

ولكنها الفرصة ، تعطى (للانسان) ، فى المجتمع الاسلامى ، الذى يرعى (كرامة) الانسان ، لأنه يعرف قدر الانسان .. أيا كان هذا الانسان .

وقد حاصر الصليبيون بيت المقدس (أورشليم) — كما هو معروف — سنة ١٠٩٩ م ، « فلما سقطت فى أيدى الصليبيين ، سيق من بقى فيها حيا من اليهود ، الى احدى بيعهم ، وأحرقوا عن آخرهم . ولما استولى صلاح الدين على المدينة عام ١١٨٧ ، أعقب ذلك ازدياد سريع فى عدد اليهود » [١٩] — لما أحسوا به من الأمن فيها .. فى ظل الاسلام .

ولم يكتف الاسلام — والمسلمون — بمجرد (تأمين) اليهود ، الموجودين فى (دار الاسلام) ، بل انهم فتحوا حدودهم ، أمام جحافلهم ، المطاردة من الخارج ، خاصة من أوربا ، فمنذ « عام ١٥٠٠ حتى ١٦٥٠ م ، كانت أوربا الغربية بأسرها ، باستثناء بعض المناطق

---

(17) RADWAN, ABU AL-FUTOUH AHMAD : Old and New Forces in Egyptian Education, Proposals for the Re-construction of the Program of Egyptian Education, in the Light of Recent Cultural Trends ; Bureau of Publications, Teachers College, Columbia Uuiversity, New-York, 1951, p. 42.

(١٨) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمة حبيب افندى سعيد — الطبعة الثانية — مطبعة النيل المسيحية ، بالمناخ بمصر — ١٩٢٥ ، ص ٢٠٣ .

(١٩) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (عصر الايمان) (مرجع سابق) ، ص ٤١ .

فى ايطاليا وألمانيا ، قد تخلصت من اليهود ، وكان اليهود فى هذه الفترة ، قد تجمعوا فى الامبراطورية العثمانية » [٢٠] .

ولا يزال اليهود منتشرين فى العالم العربى والاسلامى اليوم ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم .. بل انهم يسيطرون — فى بعض هذه البلاد — على رءوس الأموال ، ويتمتعون بنفوذ كبير . ولعل ذلك يتضح تماما ، فى بلاد شمال أفريقيا ، التى فتحت صدرها للفارين منهم من محاكم التفتيش ، يوم سقطت الأندلس المسلمة ، فى قبضة الكنيسة الكاثوليكية ، سنة ١٤٩٢ م .

اليهود والاسلام :

لم يكن اليهود أبدا كراما مع الاسلام ، كما لم يكونوا كراما مع غيره . ولم يعاملهم الاسلام — والمسلمون — بالمثل ، فكانوا كراما معهم ، فأمنوهم فى داخل الحدود ، وفتحوا صدورهم للقادمين اليهم ، فارين من البطش والارهاب والملاحقة .. من خارج هذه الحدود .

ترى : هل حفظ اليهود للاسلام كرمه ، ونسوا حقد أنفسهم ، عليه ، وعلى الانسانية ، وعلى الحق .. متمثلة فيه ؟

ولا أستطيع أن أدعى ، ولا يستطيع غيرى أن يدعى ، أن الجواب يمكن أن يكون بالايجاب ، تحت أى ظرف من الظروف .

فاليهود ليس من طبعهم أن يكونوا الا .. يهودا .

ولم يصدق ايريل شارون فى كلمة قالها عن مجزرة بيروت فى صيفة سنة ١٩٨٢ ، الا هذه الكلمة ، يرد بها على القول بمعارضة (الحمائم) فى اسرائيل ، لغزو لبنان ، ومجزرة بيروت .

واليهود مع الاسلام ، هم اليهود مع غير الاسلام — ما دام حقا .

ولقد كان اليهود للحق دائما معادين ، سواء جهروا بعداوتهم

---

(٢٠) أنور الجندى : العروبة والاسلام (الرد على ساطع الحصرى ، وميشيل عفلق ، وانطون سعادة) (مرجع سابق) ، ص ٩٠ .

تلك ، ان واتتهم فرصة المجاهرة ، أو أضمروها ، وتحركوا فى السر ، يتآمرون ويدسون ويخربون ••

ولقد كانت عداوة اليهود للاسلام — منذ البداية — أشــد •• لأنهم كانوا يعلمون — منــذ البــداية — أنه الدين الحق •• المنتصر باذن الله •• رغم أنفهم •

لقــد مارس اليهود مع الاسلام منذ البداية ، ما مارسوه قبله مع كل نبى من أنبيائهم ، من (صــد) عن سبيل الله ، فقد « أضمروا العداء للاسلام والمسلمين ، منذ اليوم الأول ، الذى جمع فيه الأوس والخــزرج على الاســلام ، فلم يعــد لليهود فى صفوفهم مدخــل ولا مخرج » •

« ولقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل ، التى تفتقت عنهــا عبقرية المكر اليهودية ، وأفادتهــا ، منذ قرون السبى (فى بابل) ، والعبودية فى مصر •• والذل فى الدولة الرومانية ••

ومع أن الاسلام قــد وسعهم ، بعد ما ضاقت بهم الملل والنحل ، على مدار التاريخ ، فانهم ردوا للاسلام جميله عليهم ، أقبح الكيد وألأم المكر ، منذ اليوم الأول » (٢١) •

ولمــا فشلت كل أسلحتهم ، لجأوا الى ســلاحهم الذى علمتهم الأيام اجادته : سلاح المكر والخديعــة ، والدس والتحــريف ، فان « من أهم صفات اليهــود » ، « أنهم لا يتركون هيئة أو مذهبــا ، لا يتسللون اليه ، ويتعصبون له ، كأنهم أصحابه •• أو ينسفونه من الداخل •• وفى الحالتين ، يحاول اليهود ، أن يوجهوا كل شىء ، الى ناحية خاصة ، تنفعهم » (٢٢) • « ومن يقرأ التراث اليهودى ، يشعر

---

(٢١) سيد قطب : معركتنا مع اليهــود — الطبعــة الأولى — الدار السـعودية للنشر والتــوزيع ، ودار الشروق — ١٣٨٩هـ — ١٩٧٠م ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢٢) أنيس منصور (مرجع سابق) ، ص ١٥٢ .

أن جميع المؤامرات على الأديان ... » ، « وأن كل معول هدم ، كان وراءه توجيه يهودى » (٢٣) .

ولقد جربوا سلاح الدس هــذا مع المسيحية ــ قبل الاسلام ــ فنجحوا ، وسنرى فى كتابنا القادم باذن الله : الى أى مدى نجحوا .

وشجعهم نجاحهم هناك ، على المحاولة هنا ــ « فهذا طريقهم على مدار التاريخ » ــ على حــد تعبير الشهيد ســيد قطب . « وفى خلال القرون المتطاولة ، دسوا ــ مع الأسف ــ فى التراث الاسلامى ، ما لا سبيل الى كشفه ، الا بجهد القرون ! ! » .

« دســوا ولبســوا فى التاريخ الاســلامى ، وأحداثه ورجاله ، ودســوا فى الحــديث النبوى » ، و « دسوا ولبســوا فى التفسير القرآنى » ، و « دسوا رجالات وزعامات ، للكيد لهذه الأمة » (٢٤) .

وبعد تمكن البروتستانت ، من اقامة (نظم) اجتماعية ، ودول تحمى هــذه النظم ، بعــد صراع طويل ، مع الكاثوليك ، والكنيسة الكاثوليكية .. خاصة بعد الثورتين الصناعية والقومية ، بدأ التعاطف البروتستانتى مع اليهود ، على نحــو ما رأينا فى نهــايات الفصــل السابق (٢٥) ، وبدأ اليهــود (يطفون) الى السطح ، فى المجتمعــات الأوربيــة ، وبدأ الدس (المستتر) ، يتحول الى (تآمر) واضــح مكشوف ، يجرى بمرأى ومسمع من الجميع . ولم يكن الأمر يقتضى « عدوانا كعدوان يونية ١٩٦٧ » ــ على حــد تعبير الدكتور صبرى جرجس ــ « لكى يرى العــالم ، فى اليهــودية الصهيونية ، (شعب غزاة ، يحب السيطرة) ، فان عبرة التاريخ اليهودى الصهيونى كله ،

---

(٢٣) مصطفى محمود : من اسرار القرآن ــ العدد (١١٥) من (كتاب اليــوم) ــ مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة ــ سبتمبر ١٩٧٦ ، ص ٤١ــ٤٦ .
(٢٤) سيد قطب : معركتنا مع اليهود (مرجع سابق) ، ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٢٥) ارجع الى ص ١٢٢ وما بعدها من الكتاب .

من أيام التوراة ، كانت تشير دائما ، الى أن الشعب المنتسب اليه ، شعب غزاة ، يحب السيطرة • وجـاء التلمود ، باتجاهاته العدائيـة العدوانية الصريحة والسافرة ، يؤكد هـذا المعنى • فلما ضعفت شوكة اليهود ، وهان شأنهم فى ظاهر الأمر ، ظلت نزعة السيطرة تلازمهم ، فى الغش والخديعة ، والدس واثارة الفتن واستنزاف الأموال ، عن طريق الاقراض بالربا الفاحش ، والتوسل الى مراكز القوة والنفوذ ، بالمـال والنساء ، ومداهنة أصحاب السلطان ، وما الى ذلك كله • فلما أتاحت لهم غفلة العرب ، الخروج بالصهيونية ، من طور الأيديولوجية ، الى مرحلة التنفيذ ، فى القرن التاسع عشر ، وبدأ اليهود يتحدثون عنها جهـرا ، وعلى استخذاء فى أول الأمر ، ثم استعلاء بعد ذلك ، كانت الوسيلة التى اتبعوها ، صارخة فى التعبير عن روحها الارهابية » (٢٦) •

ويرى العـلامة أبو الحسن النـدوى ، أنه « كان للمسـيحية المحرفة » ، « ولليهودية الثائرة الموتورة ، دور متشابه — رغم الخلاف الجـذرى فى العقيدة — فى توجيهه المدنيـة ، الى المـادية الرعناء ، المجردة من الروح ، وتعاليم الأنبياء ، والتأثير فى مصير الانسانية ، على حـد سواء ، فقد بدأت الشعوب المسيحية ، التى تحررت من رق الكنيسة والبـابوات •• » ، « فاتجهت اتجاها ماديا عنيفا ، أصبح يهدد العـالم » (٢٧) •

وفى سـبيل عداوة اليهـود للاسـلام •• اضطر اليهود الى أن يضعوا أيديهم فى أيدى ألد أعدائهم •• عبر التاريخ •• عقائديا وسياسيا وتاريجيا •• وهم المسـيحيون •• الذين نسى متعصبوهم ، عداوتهم التقليدية لليهـود واليهـودية ، عبر ثمانيـة عشر قرنا من الزمان ، وراحوا يدافعون اليوم ، عن اليهود واليهودية ، ويرون — مثلا — أن

---

(٢٦) دكتور صبرى جرجس (مرجع سابق) ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ •
(٢٧) أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف — الطبعة الثالثة — المختار الاسـلامى ، للطبـاعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م ، ص ١٤ ، ١٥ •

« الله لم يختر شعب اسرائيل ، اكـراما للشعب نفسه ، ولكن اكـراما للجنس البشرى كلـه » ، « فالله لم يختر شعب اسرائيـل ، ويرفض الأمـم الأخـرى ، بل اختـارهم ، لكى يبـارك كل أمـم الأرض بواسطتهم » (٢٨) .

بل ان هؤلاء المتعصبين لليهود ، من المسيحيين ، يرون أن الفكرة الالهيـة اليهودية ، تظهر « اليهود كقادة العـالم كلـه ، لأن الديانتين العظيمتين ، وهما المسيحية والاسلامية ، اللتـان تسلمان بوحدانيـة الله ، قـد استمدتا كل تعاليمهما ، من المبادىء اليهودية » . ذلك أن « اليهود » — يقول المتعصب الحاقد الأعمى — « اعتقدوا بوحدانيـة الله ، أى بوجـود اله واحد . سـام » . « نعـم » — يتم كلامه — « توجد أمم أخـرى غيرهم ، اعتقـدوا بالـه سام ، ولكنهم أشركوا معـه آلهـة أخرى ، أقل منه ، وأما الـه اليهـود ، فلا شريك له ، وهو الالـه الواحد السرمدى ، ولم يؤمنوا بآلهـة الأمم الأخـرى ، بل احتقروها ونبـذوها ظهريا » (٢٩) .

ومعروف أن الفكرة الالهيـة اليهـودية ، هى هى الفكرة الالهيـة عند الشعوب الوثنيـة التى عاش اليهود بينها ، وأن يهـوه (أو يهوا) عند بنى اسرائيل ، شديد الشبه بالآلهـة التى كانت « تعبدها الأمم ، التى جاورت العبريين ، فى أوطان نشأتهم ، وأوطان هجـرتهم ، ولكن (يهـوا) يغـار منها ، ولا يريد من شعب اسرائيـل أن يلتفت اليها ، لأنه يريد أن يستأثر بشعب اسرائيل لنفسه ، من سائر الشعوب ، وأن يستأثر شعب اسرائيـل به لأنفسهم بين سائر الآلهـة » (٣٠) — وأن

---

(٢٨) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صـحة الديانة المسيحية (مرجع سابق) ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣٠) عباس محمود العقاد : حقائق الاسلام ، وأباطيل خصـومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ ، ص ٥٠

« العقيدة الالهية ، كما دان بها العبريون ، وجمدوا عليها الى عصر الميلاد ، انما هى عقيدة شعب مختار بين الشعوب ، فى اله مختار بين الآلهة ، وليس فى هذه العقيدة ايمان بالتوحيد ، ولا هى مما يتسع لديانة انسانية ، أو مما يصح أن يحسبه الباحث المنصف ، مقدمة للايمان بالاله ، الذى يدعو اليه الاسلام » [٣١] — على عكس ما يرى ذلك الموتور ، الذى يرى أنه « اذا كان اليهود ، قد اعتبروا يهوه ، أنه الههم الخاص ، فما ذلك الا لأنه اختارهم ، ليكونوا شعبه » ، و « أن تحيز الله لليهود ، ليس بالصعوبة الواقفة أمامنا ، اذ أمعنا النظر فيها مليا » [٣٢] .

وشبيه بهذا الصليبى الموتور ، صليبى موتور آخر ، كانت له فى مصر معركة . نقلها الى الصحافة المصرية ، وتصدى له فيها المرحوم الامام الشيخ محمد عبده — ذلك الموتور ، هو هانوتو ، الذى وصف الاسلام فى صحيفة الأهرام القاهرية ، فى ختام القرن الماضى ، « بأنه مرض وشلل وجنون وجذام ، ووصف المسلمين بأنهم وحوش ضارية ، ومطالبته بابادة خمسهم ، والحكم على الأربعة أخماس الباقية ، بالأشغال الشاقة » [٣٣] — وقد رد عليه الامام الشيخ محمد عبده فى حينه ، فى صحيفة (المؤيد) ، قائلا : لقد « جاء الاسلام ، يدعو العالم بأسره الى التوحيد » ، و « هبت الوثنية واليهودية والنصرانية لمناوأة الاسلام ، وهى أكثر عدة ، وأوفر عددا ، وأعظم قوة ، وأشد بأسا ، فلم يكن الا قليل من الزمن ، ثم ظهر الحق ، ونفذ

---

(٣١) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٣٢) كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية (مرجع سابق) ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٣٣) الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده — جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة — الجزء الثالث (الاصلاح الفكرى والتربوى والالهيات) — الطبعة الاولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ، ص ٢١٨ — من هامش الصفحة .

شعاعه الى القلوب ، فدخل الناس فيه أفواجا ، من كل ملة من الملل » [٣٤] .

وتغيرت الأدوار على المسرح ، حيث اختفى الصليبيون ، الذين كانوا ظاهرين ، يحركهم اليهود ، وصار اليهود اليوم هم الظاهرين ، يحركهم الصليبيون .. وأثر مصيبة سنة ١٩٦٧ ، ووصول اليهود الى حائط المبكى ، « صلى بهم حاخامهم الأكبر ، صلاة النصر والظفر ، فعلا النواح ، وجلجلت الأصوات الهادرة : ليسقط محمد . اليوم انتهى محمد (محمد مات ، وخلف بنات) » [٣٥] .

وأصبح ظاهرا ، أنها « معركة عقيدة » [٣٦] — على حد تعبير الشهيد سيد قطب ، وأن « هدف المؤامرة ، هو محمد والاسلام » [٣٧] ، على حد تعبير سعد جمعة ، مهما حاول « أعداء المؤمنين ، أن يرفعوا للمعركة راية ، غير راية العقيدة ، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية ، كى يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة ، ويطفئوا فى أرواحهم شعلة العقيدة » ، لأن « الذى يغير راية المعركة ، انما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقى فيها » [٣٨] .

على أن الاجتياح الاسرائيلى للبنان سنة ١٩٨٢ ، قد بدد كل شك ، فى أن المعركة انما هى معركة عقيدة .

لقد دخل الجيش الاسرائيلى جنوب لبنان ، بمساعدة الرائد اللبنانى الصليبى الحاقد المنشق ، سعد حداد ، وبمساعدته ، تم تصيد

---

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٢١٧ — من سلسلة مقالات بجريدة المؤيد سنة ١٩٠٠ ، للرد على هانوتو ، فى حديثه مع صاحب الأهرام ، الذى نشر فيه .

(٣٥) سعد جمعة : الله أو الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م ، ص ١٣٤ .

(٣٦) سيد قطب : معالم فى الطريق — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ١٨٥ .

(٣٧) سعد جمعة (المرجع الأسبق) ، ص ١٣٥ .

(٣٨) سيد قطب : معالم فى الطريق (المرجع الأسبق) ، ص ١٨٦ .

الفلسطينيين والمسلمين ، والزج بهم فى معسكرات الاعتقال ، لتصفيتهم جسديا •

كما دخل الجيش الاسرائيلى بيروت ، بمساعدة وزير الدفاع اللبنانى ، الشيخ بشير الجميل ، الذى لا يخفى عداوته للاسلام والمسلمين ، والذى أظهر استعدادا للتحالف مع الشيطان ، فى سبيل القضاء على الاسلام فى لبنان •

ولم يقف بشير الجميل عند حد أمر جيوش الكتائب ، بتسهيل الغزو الاسرائيلى لبيروت الشرقية ، لمحاصرة المسلمين فى بيروت الغربية ، بل لقد جعل قواته المسيحية ، فى خدمة جيوش الغزو •• فقدموا لها كل التسهيلات ، بما فى ذلك نساء بيروت وفتياتها الجميلات •• الكتائبيات طبعا ــ كما نشرت الصحف •

فلم يكن رونالد ريجان وألكسندر هيج وحدهما هما المجرمين فى حق الشعبين اللبنانى والفلسطينى ، وانما كان أكثر منهما اجراما •• سعد حداد ، وبشير الجميل ، ومن سار سيرهما فى الحقد على الاسلام ، وما أكثر الحاقدين على الاسلام فى لبنان من هؤلاء •• بفعل (الغزو الفكرى) ، الذى مارسه لأكثر من مائة عام ، المبشرون والمستشرقون •

قضية فلسطين :

كانت الدولة العثمانية ، هى التى فتحت صدرها لليهود ، حينما طاردتهم جحافل الموت ، فى أسبانيا ، بعد سقوطها وطرد المسلمين منها ، أو قتلهم فيها •• فقد طورد اليهود مع المسلمين •

ولم تخرج الدولة العثمانية على السلوك الاسلامى العام ، عندما فتحت صدرها لليهود ، الفارين من الموت •• فكم حمت الدولة الاسلامية اليهود قبل العثمانيين من الموت ••

كما لم يخرج اليهود عن سلوكهم العام ، حينما تآمروا على

نفس الدولة العثمانية •• التى فتحت لهم صدرها ، فلكم تآمر اليهود على دولة الاسلام •• قبل العثمانيين •

وقـد بدأ تآمرهم هذا ، بمجرد هجـرة المسلمين الى المدينــة ، فحاولوا الايقاع بين الأوس والخزرج ، كما هو معروف •• ففشلوا •• ثم تدخلوا الى جانب المشركين فى غزوة أحد ، فى العام الثالث للهجرة ، كحلقــة « من سلسلة الصراع المتصل ، بين قاعدة الاسلام فى المدينة ، والعداوات التي تلقــاها من قريش واليهــود ، ومن يتعاون معهم من منافقى المدينة ، ومن حولهم من الأعراب » [٣٩] •• ثم تدخلوا بشــكل أكثر انكشافا ، فى غزوة الأحزاب ، التى طردوا على أثرها من المدينــة ، على نحو ما وضحنا من قبل [٤٠] ، بعد أن صار وجودهم فى (قلب) المعركة ، خطرا على هــذه المعركة •

انهم اليهود ، واليهودى « هو اليهودى ، فى كل زمان ومكان » ، « يخفى الشر والحقد فى أعمــاق نفسه ، حتى اذا سنحت الفرصة له ، خلع لبــاس الحمل ، ليضــع بدله لبــاس الذئب مرة ، والثعلب مرة أخــرى » [٤١] •

ولهم من عبر التاريخ مبادىء محددة ، يوضحها الدكتور زكي نجيب محمود ، فى « التقوقع » ، « وأما المبدأ الثانى ، فهو اصطناع وسيلة الارهاب والعنف ، عندما تتاح لهم أول فرصــة لاصطناعها ، وهــم اذ يستخدمون العنف ، لا يستخدمونه استخدام الباسل الجرىء ، بــل

---

(٣٩) الدكتور عبد العزيز كامل : دروس من غزوة احد ــ الجزء الثانى من (الدين والحياة) ــ الطبعــة الأولى ــ أمانة الدعوة والفــكر ، بالأمانة العــامة للاتحاد الاشتراكى العربى ــ ١٩٦٨ ، ص ٧ .

(٤٠) ارجع الى ص ١٤٠ ، ١٤١ من الكتاب . ومعروف أن بنى النضير قــد طردوا من المدينة بعد غزوة أحد ، وبعد محاولتهم قتل الرسول صلىالله عليــه وســلم غدرا .

(٤١) دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود (مرجــع سابق) ، ص ٨٥ .

يستخدمونه كما يستخدمه الذليل الجبان » • « ويبقى من مبادئهم الثلاثة ، مبدأ التوسع على حساب الآخرين ، بتخطيط مدبر فى الخفاء » (٤٢) •

وقد كانت هذه هى قصة فلسطين •• المعاصرة •• هى هى قصة أحد والأحزاب من قبل ، الا أن الفرصة قد واتتهم اليوم •

وقد بدأت هذه القصة ، مع السلطان بايزيد الثانى (١٤٦١— ١٥١٢ م) ، عندما فتح صدره لليهود الفارين أمام جحافل الصيليبيين من الأندلس •• حيث بدءوا — كعادتهم مع كل من أحسن اليهم — يتآمرون على الدولة الاسلامية ، فأخذوا « يرسمون خطتهم ، للسيطرة الكاملة على الدولة العثمانية ، وقد تحقق لهم ذلك فعلا » ، وذلك بأن أسلم بعضهم « تقية » ، « وسموا بالمرتدين (الدونمة) ، وبدءوا يعملون لهدم الاسلام ، وتمزيق وحدة المسلمين » ، و « أصبحت (سالونيك) مقرا للمرتدين » (٤٣) — فى عهد السلطان عبد الحميد ، الذى تمت فى عهده « تصفية هذه الامبراطورية الضخمة ، تصفية نهائية ، على مرحلتين : مرحلة ما بين ١٩٠٩ و ١٩١٨ ، عن طريق الاتحاديين ، وفيها استولى الاستعمار على البلاد العربية ، وفيما بعد ذلك على أيدى الكماليين ، بالغاء الخلافة ، وفصل تركيا نهائيا عن العالمين العربى والاسلامى ، والحاقها بأوربا ، والابقاء عليها مضغوطة ، حتى لا تكون عاملا من عوامل الخطر ، فى وجه أوربا » (٤٤) — التى صار اليهود يعملون تحت رايتها •• كما عملوا بعد ذلك تحت راية الولايات المتحدة ، وقبله تحت رايات كثيرة •

---

(٤٢) دكتور زكى نجيب محمود : ثقافتنا ، فى مواجهة العصر — الطبعة الأولى — دار الشروق — يناير ١٩٧٦ ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ •

(٤٣) انور الجندى : العروبة والاسلام (الرد على ساطع الحصرى ، وميشيل عفلق ، وانطون سعادة) (مرجع سابق) ، ص ٨٠ •

(٤٤) المرجع السابق ، ص ٥٤ •

وقد بدأت (قضية فلسطين) ، تفرض نفسها على التاريخ الحديث ، بوعد بلفور سنة ١٩١٧ ، أى قبل سقوط الخلافة (سنة ١٩٢٤) بسبع سنوات . أى أن سقوط الخلافة ، كان جزءا من المخطط ، قام بتنفيذه كمال أتاتورك ، الذى ينسبه البعض الى (الدونمة) [٤٥] ، والذى قام باعلان (طورانية) تركيا ، فكانت (القومية العربية) ، هى رد الفعل فى العالم العربى — ثم كانت الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية ، رد فعل آخر ، ظهر فى فترات تاريخية مختلفة .

وعلى (مذبح) القومية العربية ، تم (تحطيم) العالم العربى ، وتفتيته الى جزيئات هزيلة ، يضرب بعضها بعضا .. وقد كان — فى ظل الخلافة العثمانية — كلا موحدا ، متكاملة أجزاؤه ، يمنح كل جزء من هذه الأجزاء بقية الأجزاء ، قوة ومنعة ، ظهرت فى توسيع رقعة الاسلام ذاته ، فى داخل أوربا ، ابتداء من بلغاريا سنة ١٣٨٢ هـ ، والصرب سنة ١٣٨٩هـ .. ومرورا ببلاد اليونان.. وانتهاء برومانيا سنة ١٣٩٢هـ[٤٦] — حيث وصل الاسلام — على أيديهم — « الى أسوار فيينا » [٤٧] .

ولم يكن غريبا أن يدعو المصلحون المصريون ، كأحمد عرابى والشيخ محمد عبده ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وغيرهم ، الى الولاء للدولة العثمانية ، كوسيلة للتخلص من الاستعمار الانجليزى لمصر [٤٨] .

---

(٤٥) عمر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ) — الطبعة الأولى — دار الباحث للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — ١٤٠١ هـ — ١٩٨٠ م ، ص ٢٨٥ .

(٤٦) الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره ، بقلم محمد عمارة — دار الكاتب العربى ، للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٦٨ ، ص ٢٣٠ — ٢٣٢ .

(٤٧) أنور الجندى : العروبة والاسلام (الرد على ساطع الحصرى ، وميشيل عفلق ، وانطون سعادة) (مرجع سابق) ، ص ٢٥ .

(٤٨) على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب فى عصر النهضة (١٧٩٨—١٩١٤) (الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية) — الطبعة الثانية — الأهلية للنشر والتوزيع — بيروت — ١٩٧٨ ، ص ١١٨ — ١٢٠ .

وعلى (مذبح) القومية العربية ، أقيمت (دولة) اسرائيل ، وثبتت دعائمها ، وراحت (تعربد) فى المنطقة كلهـا •• وصولا الى حلم اليهود الكبير : السيطرة على العـالم •

الحروب العربيـة الاسرائيلية :

بدأت مأساة فلسطين — كما سـبق — من حيث انتهت مأساة اليهود ، بخروجهم من الأندلس • وقـد « عامل العرب اليهـود فى الأندلس ، أحسن معاملة ، حتى أثروا ، وأصبحوا ذوى مكانة عاليـة ، فى الأدب والفلسفة ، فلما تغلب المسيحيون على الأندلس ، لم يطيقوا اليهـود ، وفى سنة ١٤٨٧ ، شكلت لهم محكمة تفتيش ، فأحرقـوا فى سنتها الأولى ٢٠٠٠ يهودى ، ودفنوا عدة آلاف أخرى ، وحكموا على ١٧٠٠٠ بالسجن المؤبد • وقـد أحصى الذين قتلتهم هذه المحكمة ، فى مدى عشر سنين ، فبلغـوا ١٠٨٦٠ شـخصا ، وبلغ عدد الذين أمرت بتعذيبهم ٨٧ ألفـا ، وأحرقوا نسخ التـوراة ، وكتبهم الأدبيـة والفلسفية •• الخ ، ثم طردوهم من البلاد ، فهلك منهم ألوف مؤلفة ، جوعا وعطشا » (٤٩) •

ومنـذ ذلك الوقت ، خطط اليهود — كمـا سبق — للقضاء على الخلافة الاسلامية ، من خـلال الدخول فى الاسـلام ، والتسلل الى المراكز الحساسة فى الدولة العثمانية •

وفى الوقت ذاته — تفجر الاصلاح الدينى فى الغرب سنة ١٥١٥ ، وتحسن وضـع اليهود فى أوربا ، خاصـة فى البلاد البروتستانتية ، فاستطاعوا أن ينظموا أنفسهم ، ويكونوا قوة مؤثرة فى هذه المجتمعات الأوربية ، على نحو ما سبق (٥٠) ، فبدأ (الخيط) بين يهود فلسطين ويهود أوربا يتصـل •

---

(٤٩) محمد عبد الرحيم عنبر : دولة الاسـلام — من سلسلة (كتب خفيفة) — تصدرها : دار الجامعيين ، للطبع والنشر — مارس ١٩٦٦ ، ص ١٠ — نقلا عن : دابر : المنازعة بين العلم والدين •

(٥٠) ارجع الى ص ١٢٢ وما بعدها من الكتاب •

وكان الاستعمار الغربى قــد دهم المنطقــة العربية ، مع غيرها من بلاد العالم الثالث ، بعــد الثورة الصناعية ، فى منتصف القــرن الثامن عشر ، فزادت القبضة الحديدية ضيقا حول العــالم العربى ، وزادت المشكلة الفلسطينية حــدة •

— فى أول الأمر ، كان وعــد بلفور ، سنة ١٩١٧ •

— وفى التــالى ، كان اعلان قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ •

— ثم جاءت أخيرا — مرحلة التوسع اليهودى ، لابتلاع المنطقة •

أى أنه مخطط كامل ، يسعى اليهود لتحقيقه على مراحل — فاذا ما انتهت مرحلة منه ، انتقلوا الى المرحلة التى تليها •• دون ابطاء •

وسعى اليهود لتحقيق هــذا المخطط ، لم يبدأ بوعد بلفور ســنة ١٩١٧ ، كما يتصور الكثيرون ، وانما هــو يبدأ قبله ، وعلى وجــه التحديد ، فى نهايات القــرن التاسع عشر (٥١) ، حيث استطاعوا أن (يوهنوا) فى الخلافة العثمانيــة ، فى عصر السلطان عبــد الحميد ، وهو ماكانوا يخططون له منذ وطئت أقدامهم أرض فلسطين ، على نحو ما سبق (٥٢) •

وفى صمت شديد ، أخذت (جموع) اليهود ، تنزح الى فلسطين ، دون ما جلبة ولا ضوضاء •• تنفيذا لهذا المخطط •

وفى صمت شديد أيضا ، تدفقت جموع اليهود ، بعد وعد بلفور ، فى حماية قوات الانتداب البريطانى على فلسطين •

وفى صمت شديد كذلك ، تم تحويل جموع اليهود النازحين الى

---

(٥١) الدكتور منير بشور ، وخالد مصطفى الشيخ يوسف : التعليم فى اسرائيل — رقم (٢٢) من (سلسلة كتب فلسطينية) — منظمة التحــــرير الفلسطينية — مركز الأبحاث — أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، ص ٢٠ •

(٥٢) ارجع الى ص ١٥٢ من الكتــاب •

فلسطين ، الى جماعات محاربة (عصابات) ، لزرع الخوف فى قلوب الفلسطينيين ، ليبيعوا لليهـود الأرض ، أو يجلوا عنهـا عنـوة •• أو يموتوا فيها •

وفى صمت شديد كذلك ، تم اعلان قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ ، لتتحول العصابات غير الشرعية •• الى عصابة واحدة •• شرعية •

وفى صمت شـديد — أخـيرا — أخذت حـدود الدولة تتوسع وتتوسع •• سنوات ١٩٤٨ — ١٩٥٦ — ١٩٦٧ — ١٩٧٣ •

وعلى الجانب الآخر من الجبهة •• كان كل شىء يتم فى جلبـة وضوضاء •• شديدين •

ففى سنة ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية أرض المعركة ، تحت قيادة فعلية انجليزية (الجنرال جلوب) •• بغرض الدعاية ، لا بغرض الحرب •• والكل دخلها بغير استعداد •

ومع ذلك ، فقد كان (الحماس الدينى) للقضية ، هو الذى أطال أمـد الحرب ، وأرهب عصابات اليهود •• حتى فرضت الهـدنة على العرب ، ليتم تحسين أوضاع اليهود ، وتزويدهم بالسلاح •

وعلى الساحة المصرية من المعركة ، وقـد كانت أخطر الساحات ، ظهرت الأسلحة الفاسدة •• لتنطلق فى صدر الجندى المصرى المحارب ، بدلا من أن تنطلق فى صدر المحارب اليهودى •

واتخذت هزيمة ١٩٤٨ ، التى فرضت على العرب ، فرصة لزعزعة الحكومات القائمة ، ولتقوم سلسلة من الانقلابات العسكرية فى المنطقة العربية •• وكل منها يتخذ من (تحرير فلسطين) شعارا له •

وتحت شعار (تحرير فلسطين) ، راح كل زعيم ، نجح فى القيام

بانقلاب عسكرى •• يسعى لتوسيع رقعة نفوذه ، على أوطان عربية أخرى •• يتآمر عليها ، تمهيدا لاسقاطها ، واخضاعها لنفوذه •

وتحت نفس الشعار ، امتلأت جيوب المزايدين بالأموال •• حتى أن واحدا من هؤلاء المزايدين ، قد سلم هضبة الجولان السورية ، لليهود •• مقابل مبلغ من المال معروف •• ومع ذلك ، لا يزال يزايد •

ولقد كان وجود جيشه فى لبنان ، من أسباب تسهيل اجتياح أرضه — ومع ذلك لا يزال يزايد — ويتلقى — من أجل المزايدة — المليارات •

أى أن الحرب العربية الاسرائيلية ، منذ بدايتها ، كانت مسرحية ، هزيلة التأليف والتمثيل والاخراج •• هدفها تحقيق استيعاب العرب والفلسطينيين •• للواقع الجديد •• واقع الوجود الاسرائيلى فى فلسطين ، متزايدا متناميا ، حتى يبتلعها كلها ، فتتحقق كلمات مناحم بيجين : العبقرية اليهودية ، ورأس المال العربى •

انها كلمات قليلة ، ولكن مناحم بيجين علمنا أنه عندما يتحدث بمثل هذه اللهجة ، انما يحدد (برنامج عمل) •• ولا يتحدث للمزايدة •• أو للاستهلاك المحلى •• كما يتحدث خصومه ، على الساحة العربية — أو من يظهرون على المسرح على أنهم له خصوم ، اذا نحن أردنا الدقة فى التعبير •

وهكذا تكون الحروب العربية — الاسرائيلية ، مرسومة بدقة ، ليتم من خلالها تحقيق وجود (الدولة العبرية) ، التى تستطيع السيطرة على العالم •• وجودا يساهم فى خلقه الطرفان ، العربى واليهودى على السواء •

الطلالة على المستقبل :

بالتوراة ، عاش اليهود فى الشتات ، ولم تفارقهم حتى فى لحظات المطاردة .. وبهذه المعايشة ، تمكن اليهود من خلق (دولة اسرائيل) ، كما سبق فى الفصول الأولى من الكتاب [٥٣] .

وبالتوراة تحول اليهـود ، من شعب بلا أرض .. الى (دولة) لهـا وجودها ، لا فى اسرائيل — أرض الميعاد أو المعاد — وحدها .. بل فى العالم كله ، وصارت هذه الدولة — من خلال جماعات الضغط — هى التى تحكم العـالم . ولعل أوضح جماعات الضغط تلك اليوم ، جماعة الضغط فى الولايات المتحدة الأمريكية Lobby ، التى تحدى بهـا مناحم بيجين ، الادارة الأمريكية ، والرئيس الأمريكى ريجـان ذاته ، على نحو ما وضـح الرئيس الأمريكى ، فى مؤتمره الصحفى فى الأول من أكتوبر سنة ١٩٨١ — مستاء من أن تدار السياسة الخارجية الأمريكية ، من خارج الولايات المتحدة .

ولقـد استاء ريجـان أول الأمر ، ثم سرعان ما استوعب أن اسرائيل ، فى خـدمة (المصالح الأمريكية) ، فسكت ورضخ ، وفعل ما فعله السابقون عليه .. وزيادة .

وعند الحديث عن (أخلاق اليهود) ، فى الفصل الثانى ، رأينـا (برنامج عمل) كامل ، مرسوما فى (سفر أستير) ، يوضح لليهـود : متى يلبسون ملابس الحمل ، لتحقيق ما يريدون ، ومتى يلبسون ملابس الذئاب [٥٤] .

ولقـد ظل اليهـود يلبسون ملابس الحمل ، حتى حـرب سنة ١٩٦٧ .. لأن الطرف الآخـر كان يلبس ملابس الذئب ، فى عمليـة المزايدات السياسية المعروفة ، على (القاء اسرائيل فى البحـر) — على حـد تعبير الشعار الذى رفع يومها بين الجميع ، وان اختلفوا

---

(٥٣) ارجع الى ص ٥٦ وما بعدها من الكتاب بوجه خاص .
(٥٤) ارجع الى ص ٧٤ — ٧٨ من الكتاب .

فى الوقت اللازم لهـذا الالقاء بهـا فى البحر •• بين ٢٤ سـاعة و ٤٨ سـاعة •

وعندما أعلن الطرف العربى عجزه •• لأن اسرائيل لا تحـارب وحدها — كما اكتشف هذا الطرف فجأة •• ولبس ملابس الحمـل ، لبس اليهود ملابس الذئب •

وعلى الساحة المقابلة •• كان العرب — بالاسلام — أمة واحدة ، تعيش على أرضها عزيزة كريمة آمنة ، تفرض احترامها على أعدائها وأصدقائها على السواء •• ثم بدأت فى التفرق ، فى الوقت الذى كان اليهود فيه يتجمعون ••

وكان بعدها عن القرآن ، هو الذى فكك وحدتهـا •• ثم زادت بعدا عن القرآن ، فزادت تفككا ، حتى أننا لو قارنا طلقات الرصـاص التى تبودلت بين العرب أنفسهم ، بطلقات الرصاص التى أطلقت على اليهـود •• لوجدنا ما يصيبنا جميعا بالخـزى والعـار ، لقـرون طويلة قادمة •

ولكن يبدو أننا لم نستفد — فى بلد من بلاد العروبة والاسلام — بالتجربة اليهـودية ، والمؤسف أننا لا ندرى على وجه التحـديد : متى نستفيد بهـا ؟

واذا كانت التوراة هى التى لمت فلولهم المتناثرة ، واذا كان البعد عن القرآن هوالذى فتت وحدتنا المتينة •• أفـلا يكون الرجوع الى القرآن هو الحـل الوحيد ؟

على أنه يجب أن يفهم ، أن « الدعوة الى الرجوع الى الاسلام »، « لم تكن » « مجرد دعوة الى تراث ماض ، يجب الحفاظ عليه ، بـل هى دعوة الى مصدر حيوى دينامى متجدد متطور ، على مر العصور والأزمان ، يمتلك من المرونة فى قواعده العامة ، المتعلقة بتنظيم الحياة

البشرية ، ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان »[٥٥] .

لقد صار « المسلمون فى العالم الاسلامى فى حالة ردة »[٥٦] ، بعد أن (عطلوا) الاسلام فى حياتهم ، وبعد أن صاروا « فى كثرتهم الكاثرة ، يجهلون الحقيقة التشريعية ، للاسلام الصحيح ، ويجهلون مبادئه الفكرية ، وأصوله العقيدية ، وآدابه الخلقية ، ويعيشون فى أمشاج من الأساطير والخيالات ، صنعوها لأنفسهم بجهالتهم ، أو صنعت لهم ، لتباعد بينهم وبين الاسلام الصحيح »[٥٧] .

ولكن الشواهد على الساحة أيضا تدل على أنه فى السنوات الأخيرة .. بدأت عودة جارفة الى الاسلام .. ينتظر أن تؤتى ثمارها باذن ربها .. كما آتت ثمارها ، على عهد الصليبيين .. والتتار .

واذا كان اجتياح لبنان ، وتخاذل العرب والمسلمين الفاضح ازاءه ، مما يبعث على تشاؤم الكثيرين ، فانه مما يبعث على تفاؤلى ، لأن هذا التخاذل ذاته .. هو الذى سيدفع الى القمة ، بقيادات جديدة ، كثيرة ، تجدد شباب العروبة والاسلام .. كما حدث فى مواجهة التتار والصليبيين .

انها دروس التاريخ ، لمن أراد أن ينظر الى المستقبل ، ويتلمس معالمه ، بذهن صاف ، ونظر ثاقب .. لا يخطىء فيما يراه .

---

(٥٥) عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية — الطبعة الأولى — الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان — طرابلس (ليبيا) — ١٩٧٥ ، ص ٢٤ .

(٥٦) سعيد حوى : جند الله ، ثقافة واخلاقا — من (دراسات منهجية هادفة فى البناء) — الطبعة الثانية ، ص ٨ .

(٥٧) محمد الصادق عرجون : الموسوعة ، فى سماحة الاسلام — المجلد الأول — مؤسسة سجل العرب — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م ، ص ١٦ .

وللمسلم أن يفخر بإسلامه

قصة اليهود فى مذاق غير اليهود ، هى من القصص التى تبعث دوما على الاشمئزاز والتقزز والنفور .

وهى لا تدعو الى التقزز والنفور ، فى نفس المسلم وحده ، ولكنها تدعو اليهما فى كل نفس .. حتى ولو كانت نفس ملحد ، لايؤمن بوجود اله ، ولا يعترف — بالتالى — بدين من الأديان .

ذلك أنه بينما نجد حتى للديانات الوثنية نفسها ، (منطقا) تقوم عليه ، فيما تتخذه من (خطوط) دينية .. فاننا نجد اليهودية ، تفتقر الى ذلك (المنطق) ، الذى يجمع بين (المتناثر) من (الخطوط) ، فى بناء (نسيجها) العام ، وذلك بسبب قيامها على (أى شىء) أعجب اليهود ، عند (غيرهم) ، حتى صارت الفكرة الشائعة عنها ، أنه « لا تعدو أن تكون طورا راقيا من الأشكال الدينية القديمة ، ضم أخلاطا من المعالم البارزة ، لأنماط شتى من الوثنية التقليدية »[1] — هذا اذا نحن التزمنا الأدب ، فى الحديث عنها .

ولم يكن غريبا ، أن يعيش اليهود بين الناس ، (مسخا) من الآدميين ، يعتنقون دينا ، هو (مسخ) من الأديان ، فتكون النتيجة أن يعاملهم غيرهم على أساس هذا (المسخ) .. وأن يعاملوا هم أنفسهم على أساسه ، فيضمروا فى أنفسهم ، الكراهية العميقة لأنفسهم ، ثم يعودون فيعكسون هذه الكراهية على غيرهم ، حتى صارت (كراهية) الآخرين ، هى السمة الأساسية المميزة لليهود ، مع ما تترجم اليه هذه الكراهية ، على مستوى الحياة العملية ، من (ايذاء) للغير ، حتى صار (الايذاء) للغير وايلامهم ، هو الهدف

---

(١) زاهر عزب الزغبى : الاسلام ، ضرورة عالمية — الهيئة المصرية العامة ، للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٧١ ، ص ٦٢ .

الأسمى الذى يسعى اليه اليهود ، أينما نزلوا ، وحيثما حلوا ، ومن ثم كانوا دائما — حيث نزلوا وحلوا — « عرضة للاضطهاد والاستبداد ، والنفى والجلاء ، والعذاب والبلاء • وقد أورثهم تاريخهم الخاص ، وما تفردوا به بين أمم الأرض ، من العبودية الطويلة ، والاضطهاد الفظيع ، والكبرياء القومية ، والادلال بالنسب ، والجشع ، وشهوة المال ، وتعاطى الربا ، أورثهم كل ذلك نفسية غريبة ، لم توجد فى أمة ، وانفردوا بخصائص خلقية ، كانت لهم شعارا ، على تعاقب الأعصار والأجيال ، منها الخنوع عند الضعف ، والبطش ، وسوء السيرة ، عند الغلبة ، والختل والنفاق ، فى عامة الأحوال ، والقسوة والأثرة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله » (٢) •

واليهود شعب (صلب الرقبة) ، على حد ما تصفهم توراتهم ، ومعنى ذلك أنهم شعب (جامد) على فكره ، عنيد ، لا يعرف التفاهم حول هذا الفكر ، ولا يريد هذا التفاهم •

ولكنه — عبر تاريخه الطويل — (اضطر) الى أن يتنازل عن هذا الفكر •• ولكن تنازله هذا ، كان تنازلا ظاهريا فقط ، يخفى وراءه تصميما أشد وأعنف ، على التمسك به ، والسير وفقه •

وما أن كانت الفرص تحين ، لاخراج مكنون النفس ، حتى (يسارع) اليهود باخراجه ، غير عاملين حسابا للعواقب •• فتكون الكارثة : القتل ، أو الاحراق ، أو التعذيب ، أو مصادرة الأموال ، أو •• النفى والتشريد •

وببطء شديد جدا •• تعلم اليهود (الاندساس) فى النظم ، بقصد تخريب هذه النظم — كبديل لمواجهتها •

---

(٢) أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — الطبعة العاشرة — مطابع على بن على — الدوحة — قطر — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ٤٥ •

ولم يأت اليهود (بالاندساس) فى النظم ، بقصد تخريبها ، من خارج اليهودية ، بل انهم استخرجوه من أعماقها ، وعلى وجه التحديد، من (التوراة) ذاتها •• ومن شاء التأكد من ذلك ، فليعد الى (سفر أستير) ، على نحو ما سبق فى الفصل الثانى [٣] •

واذا كان مردخاى ، قد استطاع — من خلال أستير — أن يتسلل الى النظام الاجتماعى القائم فى بلاد فارس ، من خلال رأس ذلك النظام ، الملك أحشويروش [٤] ، فقد كان أحفاد مردخاى وأستير ، وتلاميذهم ، أمهر منهما ، حيث زادوا عليهما ، التسلل الى (صلب) الأديان ذاتها •

وفى كتابنا الحادى عشر من كتب السلسلة ، عن (الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة) ، رأينا : كيف تسلل اليهود الى المسيحية ، فدمروها من داخلها تدميرا [٥] ، وحولوها « من روح الى روح ، ومن وضع الى وضع ، ومن نظام الى نظام ، لا يشارك الثانى الأول ، الا فى الاسم ، وبعض الطقوس » [٦] — على حد تعبير العلامة أبى الحسن الندوى ، حتى صار المسيحيون المحدثون كلهم تقريبا ، (يشكون) فى كل شىء فى مسيحيتهم التى يؤمنون بها ، فيرى بعضهم أن « المسيحية لم تقض على الوثنية ، بل تبنتها » ، وأنها « آخر شىء عظيم ، ابتدعه العالم الوثنى القديم » [٧] — وحتى صاروا يشكون ، حتى فى وجود المسيح ذاته ، ويعتبرونه « مجرد أسطورة من الأساطير ،

(٣) ارجع الى ص ٧٦ — ٧٨ من الكتاب .
(٤) ارجع الى بدايات القصة كما ذكرت فى الفصل الثانى ، ص ٧٦ من الكتاب .
(٥) دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية والحضارة المعاصرة (مرجع سابق) ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٦) أبو الحسن الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام — الطبعة الرابعة — دار القلم بالكويت — ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤م ، ص ١٩ .
(٧) ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) (مرجع سابق) ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

شبيهة بخرافات كرشنا ، وأزريس ، وأتيس ، وأدنيس ، وديونيشيس ، ومتراش » [٨] ، بعد أن وجد « تناقضا كثيرا ، بين بعض الأناجيل والبعض الآخر ، وأن فيها نقاطا تاريخية ، مشكوكا فى صحتها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة ، والشبيهة بما روى عن آلهة الوثنيين » [٩] .

ولم يكتف اليهود بما فعلوه فى المسيحية قديما ، ولا يشفع للمسيحيين عندهم وقفتهم الى جانبهم اليوم — بل انهم لا يزالون يتآمرون على أصدقائهم ، بدفع بعض اليهود الى اعتناق المسيحية ، بهدف تدميرها ، وهم يقولون ان « هؤلاء اليهود الذين يتعمدون بأجسامهم ، ستظل أرواحهم يهودية ، وسوف يكونون لنا مشعلا ، نستنير به ، فى اكتشاف خبايا النصرانية ، ومساعدين لنا على رسم الخطط ، التى تدمر المسيحية » [١٠] .

وقد أصدرت اسرائيل سنة ١٩٧٠ طبعة من الكتاب المقدس ، طبعت فى القدس (أورشليم) ، غيرت فى (العهد الجديد) (الانجيل) فيها ، بما يخفف روح العداء المسيحى لليهودية — فتم « محو كلمة (اليهود) من أسفار العهد الجديد » ، بـ « (أهل اليهودية) » ، أو « (الزعاع) » أو « (المنعزلين) » أو « (العامة) » ، أو « (الوثنيين) » [١١] — أو غيرها .

ولنا لقاء أوسع مع هذه القضية ، فى كتابنا التالى من كتب السلسلة ، عن (المسيح ، والمسيحية ، والاسلام) ، باذن الله .

---

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .
(١٠) أحمد عبد الوهاب : اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة — الطبعة الأولى — مكتبة وهبة — أكتوبر ١٩٧٢ ، ص١٤ .
(١١) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

ويكفى أنهم استطاعوا أن يحولوا عداوتهم التقليدية مع المسيحية والمسيحيين .. عبر تسعة عشرة قرنا .. الى مودة وموادة .. وأن يسوقوهم أمامهم ، ليحاربوا لهم معاركهم المصيرية ، وأولى هـذه المعـارك .. معركتهم ضد الاسلام ، على نحو ما وضحنا فى الفصل المـاضى (١٢) .

ولقد حاول اليهود ذلك الدس فى الاسلام ، فدسوا فى الحـديث الشريف ما ليس فيه ، وملأوا جو القرآن نفسه بالاسرائيليات ، التى ظهرت واضحة فى تفاسيره ، التى تعتمد فى كثير منها ، على الحـديث الشريف .

وكل ذلك لجأوا اليه ، عندما فشلوا فى هدم دعائم الدولة ذاتها ، من خلال الايقاع بين قادتها .. وكان أوضحه ، ذلك الخلاف بين على ومعاوية ، الذى على أساسه ظهرت حركة الشيعة .. وكانت لهـذه الحركة ، مقدماتها ، فى محاولة تأليه سيدنا على ، كمـا أله النصارى من قبل المسيح ، لولا أن عليا أمر بحفر أخـدود لهم ، ووضع فيـه حطبا ، وأمر باحراقهم ، لاصرارهم على تأليهه ، ورفضهم الرجـوع عن ذلك (١٣) .

وكم كانت حركة بارعة تلك التى قام بها عمر بن الخطاب ، حين « أشار على أبى بكر ، بجمع القرآن الكريم ، وهو فى الدولة الاسلامية ، دستور الدساتير ، ودعامة الدعائم ، ولم يزل يراجع أبا بكر فى ذلك ، حتى استدعى زيد بن ثابت ، كاتب الوحى ، فأمره أن يتتبع آى القرآن ، ليجمعهـا من الرقاع والأكتاب والعسب وصدور الرجال ، فكان ذلك أول الشروع فى جمع الكتاب » (١٤) .

---

(١٢) ارجع الى ص ١٤٤ — ١٤٦ من الكتاب .

(١٣) الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مرجع سابق) ، ص ٥١٧ .

(١٤) عباس محمود العقاد : عبقرية عمر — الجمهـورية العربيـة المتحـــدة — وزارة التربيـــة والتعـليم — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وكان القرآن الكريم — قبل جمعه — فى عهد أبى بكر — بتوجيه عمر — متناثرا فى الصحف والأوراق ، « وروى أن غير واحد من الصحابة ، جمع القرآن فى مصحف ، ومنهم على بن أبى طالب .. » ، « فاتفق أهل الكوفة على مصحف ابن مسعود ، وأهل البصرة على مصحف أبى موسى الأشعرى » ، وهكذا — حتى أمر عثمان بجمع المصاحف ، على عهد أبى بكر ، « فجمعوا القرآن من الصحف ، ومن شقف مخطوطة ، ومن صدور الناس ، وكانوا لا يتقبلون شيئا ، الا اذا شهد له شاهدان » . « ولما فرغوا من جمع هذا المصحف وكتابته ، جعلوه مصحفا رسميا ، وبعث عثمان بنسخ منه الى الأمصار ، وأمر باحراق ما عداها ، من صحف أو مصاحف » (١٥) .

وكأنما رأى عمر بن الخطاب ، بحسه المرهف الذى عرف عنه ، أن بقاء هذه الأمة حية خالدة ، رهن ببقاء كتابها المقدس ، منزها فى ضمائر أبنائها .. ليبقى « القرآن الكريم وحده ، من بين الكتب السماوية كلها ، كما هو ، لم تمتد اليه بالتحريف يد . ونحن اليوم ، نستطيع أن نشترى القرآن من طوكيو أو القاهرة أو واشنطون أو كراتشى ، لنجد أن نفس النسخ هى هى ، متوافقة مع بعضها البعض ، ومتوافقة مع القرآن ، كما نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، منذ أربعة عشر قرنا من الزمان » (١٦) .

والقرآن الكريم نزل باللغة العربية.. ومن ثم لم يحفظ القرآن الكريم على هذه الأمة روحها فقط ، وبالتالى لم يضمن لها استمرار

---

(١٥) كتاب المصاحف ، للحافظ أبى بكر ، عبد الله بن أبى داود سليمان ابن الأشعث السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ هـ — صححه ووقف على طبعه : الدكتور آثر جفرى — الطبعة الأولى — مكتبة المثنى ببغداد — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م ، ص ٥ — ٧ .

(16) KHALIFA, RASHAD : Miracle of the Quran, Significance of the Mysterious Alphabets; Islamic Production International, Inc., St. Louis, Missouri, U.S.A., 1973, p. 4.

الوجود وحده •• بل ضمن للغة العربية التى نزل بها الخلود ، وحماها مما اعترى غيرها من اللغات ، من تطور •• أو موات — فهو « واهب الحياة لهذه اللغة » (١٧) — ومعروف أن قيمة اللغة فى حيــاة الأمة ، لا تقل عن قيمة الدين ذاته أهمية (١٨) •

وفى ضوء الأساس ، وسلامته •• انطلقت الجهود فيما بعد •• بادئة (بتنقية) الحــديث الشريف ، من تلك الاسرائيليات •• بنفس المنهج العلمى الواضح ، الذى وضعه (جامعو) القرآن الكريم ••

فللمسلم أن يفخر باسلامه ، الذى ظل نقيا طاهرا نظيفا •• لم تستطع الأيدى العابثة أن تمتد الى (أصوله) ، مثلما امتدت الى أصول غيره ، فظلت هــذه الأصــول تفرض (قدسيتها) عليــه ، وتفرض (احترامها) ، حتى على أشد أعدائه •• معاداة له ، وكراهية •

* * *

وما اندس اليهود فى نظام — غير نظام الاسلام — الا وقوضوا أركانه •

اندسوا فى المسيحية ، فباعدوا بينها وبين صورتها النقية الأولى — فكان انقسامهــا — منــذ البداية — الى كنيسة غربية ، وكنيسة شرقية ، ثم انقسام الكنيسة الغربية — الكاثوليكية — فيما بعد — ســنة ١٥١٥ — الى كنيسة كاثوليكية ، وكنيسة بروتستانتية •• ثم انقسام هــذه الأخيرة الى لوثرية وزونجلية وكالفنية و •• وهكذا ، مما سنتعرض له بشىء من التفصيل ، فى الكتــاب التــالى من كتب السلسلة باذن الله ، عن (المسيح ، والمسيحية ، والاسلام) •

---

(١٧) دكتور عبد الصبور شاهين : فى علم اللغــة العام — الطبعــة الثالثــة — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ، ص ٢٥٦ •

(١٨) ارجع الى ما فعله اليهــود لاحيــاء اللغـــة العبرية الميتــة ، ليتحقق لهم وجود فعلى يحســونه ، وذلك فى الفصــل الثانى ، ص ٩٠ وما بعدها من الكتاب •

وردت المجتمعات الغربية لهم بعد الاصـلاح الدينى ، ما سلبته اياهم قبل الاصلاح ، من كرامة [١٩] ، فراحوا يندسون فى (صميم) النظم الغربية ، يدمرونها تدميرا •

كانوا هم الذين ابتدعوا (الأنا) القـاتلة المدمرة ، الغارقة فى الشهوة ، من خلال واحد منهم هو سجموند فرويد Sigmond Freud (١٨٥٦ — ١٩٣٩) ، صاحب مدرسة التحليل النفسى المشهورة ، الذى حصر النشاط الانسانى كله ، فى غريزة واحدة أم ، تتفرع عنها غرائز فرعية فى خدمتها — تلك الغريزة هى غريزة الجنس [٢٠] •

وبسيطرة (الأنا) على الغرب ، استجابة لدعوة فرويد •• تحطم المجتمع الغربى •• ولم يضيع اليهود الفرصة ، فكان البديل ، وهـو الاشتراكية ، أو الشيوعية ، التى ابتدعها فى الغرب واحد منهم أيضا ، هو كارل ماركس Carl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) ، وبها حطم هذه (الأنا) تماما ، باخضاعه المجتمع كله لارادة عليا ، هى ارادة الدولة والحـزب الشيوعى •

وقـد أحس أدولف هتلر Adolf Hitler (١٨٨٩ — ١٩٤٥) وصف ماركس والمـاركسية ، بقوله : انهـا « نظرة عامة قديمة الى العالم ، أعيدت صياغتها من جديد ، على لسان اليهودى كارل ماركس » ، الذى « وضع يده على مقتل الانسانية ، فعرف أين يضـع السم ، الذى يؤدى الى تدمير الوجود المستقل للأمم الحرة •• حتى تخضع

---

(١٩) ارجع الى ص ١٤٤ — ١٤٧ من الكتاب •

(٢٠) ارجع — على سبيل المثـال — لا الحصر — الى :
— أنا فرويد : الأنا وميكانيزمات الدفاع — ترجمـة صـلاح مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق — تقـديم مصـطفى زيور — من (المؤلفـات الأسـاسية ، فى التحليـل النفسى) — مكتبـة الأنجـلو المصرية — ١٩٧٢ •
— سيجموند فرويد : خمس حالات من التحليل النفسى — الجـزء الأول — ترجمـة صلاح مخيمر ، وعبـده ميخائيل رزق — تقـديم ومراجعة مصطفى زيور — من (المؤلفات الأسـاسية ، فى التحليل النفسى) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٢ •

فى النهاية له ولسلالته الخاصة ، التى ينتمى اليها » [٢١] .

وبالرغم من أن فرويد هاجم الشيوعية[٢٢] ، فان المتأمل للفكرين ، يجد بوضوح ، أن مصدرهما واحـــد ، وهو اليهودية ، وما تقوم عليه من رغبة فى التدمير .

ان فرويد يرى « الحـــرب محاولة جمـــاعية للابقاء على الذات نفسيا » [٢٣] ، وكارل ماركس يرى أنه « لا تملك البروليتاريا شـــيئا خاصا بها ، حتى تصـــونه وتحميه ، فعليها اذن ، أن تهدم كل ما كان يحمي ويضمن الملكية الخاصة » [٢٤] .

ومن ثم فكلاهما تعبير أمين عن (ضمير) اليهودية ، « التى عاشت من كراهية نفسها ، فى كراهية النـــاس ، والتى بافتقادها السلام مع نفسها ، أشعلتها على الدوام حربا مدمرة ، على العالم من حولهـــا . انهـــا لا تعرف الوجود ، الا عدوانا وتدميرا وقتلا . وما دام الأمر كذلك ، فأخلق بها أن تفنى غيرها ، من أن تفنى قومها » [٢٥] .

وقـــد كان لينين أوضـــح ، فى تعبيره عن هـــــذا (الضمير) اليهودى ، من فرويد ، الذى كان يتعمد اخفـــاءه ، لأنه كان يعيش فى مجتمع ، يعلم أنه (يكره) اليهود ، وسيظل يكرههم .. حيث قال (أى لينين) ، أول توليه السلطة فى الاتحاد السوفيتى — سنة ١٩١٧ ، بعد نجاح الثورة — بصراحة : « الخزى والعار للقيصرية الملعونة ، التى كانت تضطهد اليهود ، وتسومهم العذاب . الخزى والعار لأولئك

---

(21) HITLER, ADOLF; Op. Cit., p. 149.

(٢٢) دكتـــور صبرى جرجس (مرجع سابق) ، ص ٢٧٩ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٢٤) ماركس وانجلس : بيـــان الحزب الشيوعى — دار التقـــدم — موسكو — ١٩٦٨ ، ص ٥٢ .

(٢٥) دكتور صبرى جرجس (المرجع الأسبق) ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

الذين يبثون الكراهية ضـد اليهود » (٢٦) *

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ، أن لينين نفسه ، كان أبوه حاخاما يهوديا •• اعتنق النصرانية ، تقية ، ليستطيع أن يعيش ، فى بيئة تحتقر اليهود ، وتضطهدهم — على نحو ما سبق ص ١٣١ من الفصل الرابع من الكتاب •

ولم يكن غريبا ، أن تتجه الأصابع جميعها بالاتهام ، الى مصدر واحـد ، اذا كان السؤال يدور عمن أشعل حربا ، أو أحـدث فتنة ، وذلك المصدر هو •• اليهود •

لقـد كان اليهـود هم الذين وقفـوا وراء الثورة الفرنسية ، وما سبقها من اضطرابات ، وما تلاها من فوضى واعدامات (٢٧) ، وكانوا وراء ما حـدث فى روسيا القيصرية من اضطرابات ، وسلسلة اغتيالات ، أدت فى النهاية الى تولى البلاشفة السلطة سنة ١٩١٧ (٢٨) •

كذلك كان اليهود هم الذين خططوا للحرب العالمية الأولى ، تمهيدا « للاطاحة بحكم القياصرة فى روسيا ، وجعل تلك المنطقة معقل الحركة الشيوعية الالحادية » — ثم خططوا للحرب العالمية الثانية ، وخططوا لها أن « تنتهى بتدمير النازية ، وازدياد سلطان الصهيونية السياسية ، حتى تتمكن أخـيرا ، من اقامة دولة اسرائيل فى فلسطين » — وهم يخططون الآن للحرب « الثالثة — المقبلة — وهذه رسم المخطط لهـا ، أن تنشب بنتيجـة النزاع الذى أثاره النورانيون — رءوس المؤامرة الصهيونية العالمية — بين الصهيونية السياسية ، وبين العالم الاسلامى • ويقضى المخطط المرسوم بأن تقاد هـذه الحرب ، وتوجه بصـورة ،

---

(٢٦) لينين : نصوص حول المسألة اليهـودية (مختارات جديدة) — ترجمة وتقديم جورج طرابيشى — الطبعة الأولى — دار الطليعة ، للطباعة والنشر — بيروت — تمـوز (يوليـو) ١٩٧٢ ، ص ٧١ •

(٢٧) الأميرال وليـام غاى كار (مرجع سابق) ، ص ١٠٧—١٢٣ •

(٢٨) المرجع السابق ، ص ١٥٥ — ١٦٠ •

يحطم فيها العالم الغربى ، ومن ورائه الاسلام ذاته » (٢٩) .

ولست أدرى : الى أى مدى تعتبر عربدة اسرائيل الدولة — فى داخل حدودها (٣٠) ، ومن حول هذه الحدود (٣١) — جزءا من هذا المخطط ؟

ولكن الذى أعلمه جيدا ، هو أن هذه العربدة ، هى التى أيقظت الاسلام فى المنطقة كلها ، بشكل صار يؤرق حكومات الغرب الصليبية الحاقدة .. ويؤرق اسرائيل أيضا .

ان الاسلام ، هو الذى يحرك المقاومة الفلسطينية اليوم ، فى داخل الأرض المحتلة .. سنة ١٩٤٨ ! !

لقد كانت « المشكلة الروحية » — على حد تعبير الدكتور فاضل الجمالى — من المشكلات الكبرى ، التى تواجه العرب والمسلمين ، حيث « طغت المادية والتشكيك ، الى حد انقطع به الكثيرون عن الاتصال بخالقهم » (٣٢) ، مما أدى الى « اضمحلال القواعد الأساسية ، التى قام عليها المجتمع العربى الاسلامى ، بحيث أصبح فريسة هينة للغزو الأجنبى والاستعمار » (٣٣) .

---

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٣٠) نذكر هنا بعبث المتطرفين اليهود فى الحرم الابراهيمى ، وعبثهم فى المسجد الأقصى وتحته ، وسكوت الحكومة الاسرائيلية على ذلك كله — بل وحمايتها له .

(٣١) نذكر هنا بعبث الدولة العبرية فى لبنان كله ، ومساندتها للرائد المنشق سعد حداد ، فى اخلاء لبنان من الاسلام والمسلمين — كما نذكر بضربها للمفاعل النووى العراقى ، وبمعارضتها الشديدة ، لصفقة طائرات الأواكس الأمريكية للمملكة العربية السعودية ، باعطائها لنفسها الحق فى ضربها ، اذا هى سلمت لها .

(٣٢) الدكتور فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، اهميتها للبلدان العربية » — **فلسفة تربوية متجددة ، لعالم عربى يتجدد** — دائرة التربية فى الجامعة الأميركية فى بيروت — مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ ، ص ٤٢ .

(٣٣) الدكتور محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى ، فى العالم الاسلامى — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٢ ، ص ١٥ ، ١٦ .

ولكن ما أن وجدت دولة اسرائيل ، حتى بدأ الاسلام يستيقظ فى القلوب ، ويزداد استيقاظا وانتشارا ••حتى صارت «المجتمعات الاسلامية الحاضرة » ، « تشهد » « تطورا ثقافيا وحضاريا سريعا ، نتيجة بعث اسـلامى جديد ، ثم نتيجة التقاء المجتمعات الاسلامية الحاضرة ، بمجتمعات أخرى غربية عنهـا ، اثر عمليات الاستعمار والاستقلال ، ونتيجـة الصراع العنيف ، الذى يدور ، بين المثل العليا ، فى كل من الجانبين » ، حيث « تقف وراء تيارات الالحاد » فيها ، « منظمات ومؤسسات وقوى ، تتسم بالضراوة والحنكة ، والتنظيم ، والعمـل الدائب ، والكراهية العميقة للاسلام بخاصة » (٣٤) •

ولم يكن غريبا ، أن يلفت هـذا الأمر ، نظر مؤسسة دولية كهيئة اليونسكو ، التى ترى أن الاسلام ، كان هو « الهيئة الدينية الكبرى ، التى انغمست فى القضايا العالمية » ، وأنه «يلى فى هـذا ، الكنيسة الكاثوليكية » ، رغم أنه « لم يكن للاسلام قيادة مركزية ، مثلما كان للكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، وكانت قوته تعتمـد على قبول أتباعه لحكم القرآن ، واحترام العلمـاء الأعلام ، الذين يفسرونه ، والمبدأ الأساسى لوحدة الاسلام ، والجهاد ، الذى يمكن أن يعلن وقت الخطر ، ليوجه جهود الشعوب الاسلامية وجهة واحدة • ان الاسلام بوضعه الاستراتيجى ، بين أوروبا وآسيا ، وامتداده فى كليهما » ، « ونفوذه المتزايد ، فى قارة أفريقيا الناهضة ، قـد صار فى منتصف هذا القرن ، عاملا فعالا ، يؤثر فى العالم ، تأثيرا أقوى ، مما كان له فى أى وقت ، منذ بدأ التوسع الأوروبى » (٣٥) •

---

(٣٤) الدكتـور يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شـخصية المسـلم (التـكوين الأسـاسى) — المكتبـة العصرية — صـيدا — بيروت ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧ •

(٣٥) تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ١ (تطور المجتمعات) — اعداد اللجنـة الدوليـة ، باشراف منظمـة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران — الهيئة المصرية العـامة للتأليف والنشر — ١٩٧١ ، ص ٢٩٤ •

فللمسلم أن يفخر باسلامه ، الذى قد (يخبو) ضوؤه فى قلبه ، فى فترة من الفترات ، ولكن هذا الضوء ، لا (ينطفىء) فى قلبه •• ابدا •انه يظل حيا فيه ، يفعل فعله فى توجيه سلوكه •• حتى تأتى ساعة الخطر •• فيكون الاسلام ، هو الملهم ، وهو الموجه ، وهو الدرع الواقى ، ضد هذا الخطر ، والسلاح الأساسى ، فى دفعه •

أليست هذه هى قصة الاسلام •• مع الصليبيين والتتار •• فى العصور الوسطى ؟

* * *

وتقوم (الفكرة) الاسلامية أساسا ، على (عالمية) الدعوة الاسلامية •

ويقرر القرآن الكريم ، فى أكثر من موضع ، أن أمة الاسلام ، « خير أمة أخرجت للناس » [٣٦] •

الاأن هذا التفضيل لأمة الاسلام ، على غيرها من الأمم ، لا يعود الى (عرق) معين تنتسب اليه ، لأن الاسلام فى حد ذاته (نسب) جديد ، فوق أنساب الأعراق ، وما الأعراق فيه الا مجرد وسيلة (للتعارف) بين الناس :

— « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » [٣٧] •

كما لا يعود هذا التفضيل ، الى بركة ممنوحة [٣٨] ، أو مسروقة [٣٩] •

---

(٣٦) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١١٠ .
(٣٧) قرآن كريم : الحجرات — ٤٩ : ١٣ .
(٣٨) ارجع الى ص ٢١ وما بعدها من الكتاب .
(٣٩) ارجع الى كيفية حصول سيدنا يعقوب على بركته من ابيه ، كما وردت فى التوراة ، ص ٢٥ وما بعدها من الكتاب .

وانمـــا يعود هــذا التفضيل ، الى (ايجابيات) ، زرعها الاسلام فى قلوب متبعيه ، رفعت من (قيمتهم) الانسانية ، وجعلتهم أهــلا لقيادة الانسانية المضللة ، الى طريق الخير ، وكرامة الانسان :

— « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله • ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون ، وأكثرهم الفاسقون • لن يضروكم الا أذى ، وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ، ثم لا ينصرون • ضربت عليهم الذلة أينمــا ثقفوا ، الا بحبل من الله وحبل من النــاس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حــق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • ليسوا سواء ، من أهــل الكتــاب أمة قائمــة يتلون آيات الله آناء الليل ، وهم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين • وما يفعلوا من خــير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين » (٤٠) •

ومن ثم لم يكن فى التاريخ الاسلامى كله مكان (لاضطهاد) غــير مسلم •• الا اذا كان هناك فساد أو افساد •• بل كان فيه ، ما أمر به الله سبحانه ، من حسن معاشرة ، وحسن جدال :

— « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحــد ، ونحن له مسلمون » (٤١) •

— « قل : يا أهل الكتاب ، لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ما تعملون ؟ قل : يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن ، تبغونها عوجا ، وأنتم شهداء ؟ وما الله بغافل عما تعملون » (٤٢) •

---

(٤٠) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١١٠ — ١١٥ •
(٤١) قرآن كريم : العنكبوت — ٢٩ : ٤٦ •
(٤٢) قرآن كريم : آل عمــران — ٣ : ٩٨ ، ٩٩ •

وإذا كان أهل الكتاب (يتمسحون) بأبى الأنبياء ، ابراهيم عليه السلام ، فانه يدعوهم الى أن يسيروا سيره ، ويتبعوا خطاه ، ويضعوا أيديهم فى أيدى المتمسكين بهديه :

— « قل : يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون . يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ، أفلا تعقلون ؟ ... ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين ... يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق ، وأنتم تعلمون؟» (٤٣) .

ولا ينسى القرآن الكريم ، فى غمرة حرصه على هداية (المتمسحين) بابراهيم ، أن يحذر أتباعه من الضلال ، الذى يسير فيه معظم أهل الكتاب :

— « ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يشعرون » (٤٤) .

— « يأيها الذين آمنوا ، ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون بالله وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟ ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٤٥) .

فأين هذا الفكر الدينى الاسلامى ، من ذلك الفكر الدينى الذى رأيناه عبر فصول الكتاب السابقة — يقوم على التعالى العنصرى ، وعلى الفساد والافساد والتخريب .. وتحطيم الغير ، بغير ذنب جنوه ؟

---

(٤٣) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٦٤ — ٧١ .
(٤٤) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ٦٩ .
(٤٥) قرآن كريم : آل عمران — ٣ : ١٠٠ — ١٠٢ .

وأين التاريخ الاسلامى الطويل ، برغم ما كان فيه من بعض السلبيات أحيانا ، شأن المسلمين فى ذلك شأن كل أمة .. من التاريخ اليهودى الدموى ؟ ان « من يقرأ التراث اليهودى ، يشعر أن جميع المؤامرات على الأديان ، وجميع الانقلابات المخربة ، والثورات على القيم والمبادىء ، خرجت من هذا التراث .. وأن كل معول هدم ، كان وراءه توجيه يهودى » [٤٦] ، وأن « علاقة الفكر المادى والفوضوية والعبثية والفرويدية ، بالتوجيه اليهودى ، واضحة »[٤٧] — بعد أن تحول الانسان — غير اليهودى — الى مجرد (أداة) ، لخدمة أهداف اليهود ، و « ليست مصادفة ، أن فرويد ، القائل ببهيمية الانسان ، وماركس ، القائل ببهيمية التاريخ ، كلاهما من أصل يهودى » [٤٨] .

واذا كان « فى العالم اليوم ، حضارة متفوقة تفوقا لا شك فيه ، هى الحضارة الغربية ، بالمعنى الواسع لهذه الكلمة — وفيه أيضا حضارات ، لم تبلغ هذا القدر من التفوق ، ولكن كلا منها يعتز بماض مجيد ، ويفخر بتراث أسهم بنصيب هام فى بلوغ المدنية مستواها الحالى » [٤٩] — واذا كانت الحضارة الاسلامية ، من هذا النوع الثانى ، والحضارة الغربية الحديثة ، المتفوقة اليوم ، من النوع الأول — واذا كانت هذه الحضارة الغربية المتفوقة ، تبدو عليها (البصمة) اليهودية واضحة ، سواء « فى العلم والفن ، والاكتشاف والاختراع ، وفى السيطرة على هذه الحضارة ، وتملك زمامها ، وتوجيهها فى صالحهم .. » ، « حتى أصبحوا العنصر الفعال الرئيسى ،

---

(٤٦) مصطفى محمود : من أسرار القرآن (مرجع سابق) ، ص ٣٢ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٤٨) مصطفى محمود : الماركسية والاسلام — دار المعارف بمصر — ١٩٧٥ ، ص ٣٠ .

(٤٩) د. فؤاد زكريا : آراء نقدية ، فى مشكلات الفكر الثقافة — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٥ ، ص ٢٧ (من مقال بعنوان : « نحن وثقافة الغرب » ، منشور فى مجلة « الفكر المعاصر » — نوفمبر ١٩٦٥) .

فى قيادة الحضارة الغربية ، التى ظهرت فى بيئة مسيحية » [٥٠] — فان معنى ذلك ، أن اليهود يسيطرون على العالم ، وأنهم (يتغلغلون) بصور مختلفة .. فى قلب العالم الاسلامى ، الذى يحاربونه ، ويعدون العدة ، للقضاء عليه ، وعلى حضارته [٥١] .

وقد استطاع اليهود — بتغلغلهم هذا — أن يصنعوا للعالم الاسلامى ، كثيرا من أفكاره ، وكثيرا من أبطاله أيضا ، « فالمئات والألوف ، كانوا دسيسة فى العالم الاسلامى — وما يزالون ، فى صورة مستشرقين ، وتلاميذ مستشرقين ، يشغلون مناصب الحياة الفكرية اليوم ، فى البلاد التى يقول أهلها : انهم مسلمون ! !

والعشرات من الشخصيات المدسوسة على الأمة المسلمة ، فى صورة (أبطال) ، مصنوعين على عين الصهيونية ، ليؤدوا لأعداء الاسلام من الخدمات ، ما لا يملك هؤلاء الأعداء ، أن يؤدوه ظاهرين » [٥٢] .

ويتعرض الدكتور محمد البهى لكثير من هذه (البطولات المصنوعة) ، منها على سبيل المثال ، أحمد خان ، وميرزا غلام أحمد القاديانى ، وخواجه كمال الدين ، ومولاى محمد على [٥٣] ، وطه حسين [٥٤] ، وشيخ الأزهر ، الشيخ على عبد الرازق [٥٥] ، وغيرهم .

---

(٥٠) أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف (مرجع سابق) ، ص ١٥ .

(٥١) المقصود بالحضارة هنا ، هو الحضارة بمعناها الروحى — وهو الجوهر الحقيقى للحضارة — ارجع الى الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، عن (الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة) — وهو مرجع سبقت الاشارة اليه .

(٥٢) سيد قطب : معركتنا مع اليهود (مرجع سابق) ، ص ٤٧ .

(٥٣) الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى — الطبعة الثامنة — مكتبة وهبة — رمضان ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م ، ص ٣٧ وما بعدها .

(٥٤) المرجع السابق ، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ وما بعدها — وقد طرد الشيخ من مشيخة الأزهر ، وكان موقف الأزهر ورجاله منه عنيفا — الا أن كتابه (الاسلام وأصول الحكم) ، ظل فترة طويلة ، ورقة رابحة تماما ، فى أيدى أعداء الاسلام .

ولأمثال هؤلاء الأبطال المصنوعين ، تفتح الأبواب ، وعليهم تسلط الأضواء ، « على حين لم يجد أصحاب الدعوات ، ومناهج الاصلاح ، مجالا لنشر أفكارهم ، لا فى الزمان ، ولا فى المكان » (٥٦) .

غير أن هــذا (القهــر) ، الذى فرض طويلا على علماء الدين وقادة الفكر المخلصين ، كان هو الذى (فجــر) الطاقة الخلاقة للأمة ، وفجر الطاقة الخلاقة لعلمائها وقادة الفكر فيها .. فبدأ فكر اسلامى صــادق ، (يفرض نفســه) على الساحة ، يلفظ فكر أولئك الداعين « الى مسايرة الأوربيين فى تفكيرهم ، وفى خطواتهم فى الحياة ، وفى فصــل الدين عن السياسة ، وفى ابعــاد الدين واللغة ، عن مجــال الترابط » (٥٧) .

ويلفت نظر اللجنــة الدولية ، التى كتبت (تاريخ البشرية) ، بهذا الخصوص ، أن تنفجر « حركة القومية الاسلامية ، كحركة دينية سياسية » ، « فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر » ، وأن يظل « القرآن ، وهو كلام الله ، غير مدافع ولا منازع ، كما كان العهد به طوال التاريخ الاســلامى ، واحتفظ علماء الدين ، بالمكانة التى تمكنهم من الاســتمرار فى أداء دورهم ، كمفسرين لمصــادر العقيــدة الاســلامية » (٥٨) .

« وظلت فكرة العودة الى القرآن والسنة ، هى الاتجاه الفكرى الرئيسى للمصلحين ، على اختلافهم » ، و « أدى تأثير الاتصال بالغرب ،

---

(٥٦) دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القــرآن — تعريب وتحقيق وتعليق : دكتــور عبد الصبور شاهين — مراجعة دكتور السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية — ١٩٧٤ ، ص ل هـ (من مقدمة المعرب) .

(٥٧) الدكتور محمد البهى : الفكر الاســلامى الحــديث ، وصلته بالاستعمار الغربى (مرجع سابق) ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٥٨) تاريخ البشرية — المجلد السادس (القــرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ١ (تطور المجتمعات) (مرجع سابق) ، ص ٣٢٨ .

والتعليم الغربى ، الى بذل الجهـود، فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، للتوفيق بين الفكر العربى والاسلامى ، وأدى هـذا الى ما يمكن أن يسمى بالتجديد العصرى الاسلامى ، فى مصر والهند وتركيا » . « وفى الربع الأول من القرن العشرين ، بدا أن القومية الاسلامية ، والروح العصرية ، يسيران جنبا الى جنب » (٥٩) .

ولا تنسى اللجنة أن تشير الى (السلفيين) الاسلاميين ، التى تصفهم (بالتطرف) ، فترى أن « الحركات الاسلامية ، مثل حركة الاخوان المسلمين ، فى مصر وسوريا وايران ، والأحرار فى باكستان » ، « كانت مستعدة لأن تذهب فى هـذا الطريق الى آخر مداه ، فى رفض الأفكار الأجنبية ، والعودة الى التطبيق الحرفى المتزمت ، لقواعد الاسلام » .

و « مع أن المسلمين المتطرفين ، لقوا مقاومة العناصر المعتدلة ، التى تتكون منهـا عادة ، الزعامة السياسية المسيطرة ، ومع أن منظماتهم تعرضت للحل عـدة مرات ، كما تعرض قادتهم للسجن ، فقـد بقى تأثيرهم قويا » ، حتى لقـد « استطاع السلفيون ، أن يضعوا كل من عداهم ، موضع الاتهـام » (٦٠) .

فللمسلم أن يفخر باسـلامه ، الذى يجعله دوما (متميزا) على غيره ، لا بعرق يتشبث به ، ولا ببركة مدعاة ، ولكن بايمـانه العميق بربه ، الذى يعمر قلبه ، فيبدد ظلمات حياته ، ويجعله قادرا دوما على أن يكون قائد المسيرة الانسانية الى بر الأمان .. اذا هى ضلت الطريق الى هـذا البر .. أو ضللت عنه .

* * *

(٥٩) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
(٦٠) المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

وقـد دأبت وسائل اعلامنا المختلفة ، فترة طويلة ، على أن تصور اليهود ، وحوشا كواسر ، مصاصى دماء ، سفاحين ، لصوصا •• الى آخر هـذه الصفات ، ومن هناكان (سقوط) فكرة (التفـاهم) مع اسرائيل ، أو اليهود ، فى ضمير أى عربى • ولعل هـذا سر (معارضة) العرب للمبادرة المصرية للسلام مع اسرائيل ، ثم للصلح وفتح الحدود معها •• أنها كانت مفاجئة ، لم يسبقها تمهيد اعلامى ، حتى فى مصر •

وقـد شدت المبادرة انتباه العالم كله ، وتابع العالم كله سفر رئيس مصر الى القـدس ، لا حبا فى السلام المنتظر •• بل اعجابا بالحدث فى حـد ذاته •• وفجائية هـذا الحدث •

والغريب أن الاتصالات بين العـرب واليهود لم تنقطع يوما • فاليهود يدخلون كل أرض عربية ، بجوازات سفر مزيفـة ، وبأسماء غير حقيقية • والبضائع الاسرائيلية الصنع ، تغمر الأسواق العربية ، رغم المقاطعة العربية •• وان كانت اسرائيل (تزيف) الصك الموجود عليها ، وتضع على مصنوعاتها ، أسماء شركات غربية ، مسموح لهـا بالتعامل مع العالم العربى • وسفن اسرائيل كانت تعبر قناة السويس ، فى أشد فترات العلاقات العربية / الاسرائيلية توترا •• وان رفعت علما آخر ، غير علم اسرائيل •

كمـا لم تنقطع الاتصالات بين القيادات الاسرائيلية والقيادات العربية أبدا •• خاصة فى فنادق أوربا والولايات المتحدة •• سـواء كانت اتصالات مباشرة ، أو تمت هـذه الاتصالات ، عن طريق طرف ثالث • وقصص هـذه الاتصالات لم تعد سرا خافيا •

والولايات المتحدة الأمريكية ، الوصى الشرعى على اسرائيل •• هى الوصى الشرعى اليوم ، على بلاد عربية كثيرة ، تعلن الحرب على اسرائيل ، وتقف ضـد مصر ، فيما يسمى (بعملية السلام) !!

والاتحاد السوفيتى ، الوصى الشرعى على نظم عربية كثيرة .. هو وصى شرعى على اسرائيل ، برغم قطع العـلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى واسرائيل ! !

فالولايات المتحـدة تمد اسرائيل بالمـال والمعدات العسكرية ، والاتحاد السوفيتى يمدها بالبشر .. واسرائيل أكثر حاجة الى البشر ، منها الى المـال والمعدات العسكرية ، ليتحقق لها فى (أرض المعاد) تفوق بشرى .. على الشعب الفلسطينى .

وما سمى بالحروب العربية الاسرائيلية ، لم تكن حروبا أبدا ، وانما كانت مسرحيات هزيلة ، تجد بها القيادات السياسية العربيـة فرصـة للقبض على الخصـوم السياسيين ، والقائهم فى السـجون والمعتقلات ..وفرصة لملء ودائعها السرية فى بنوك أوربا .. بأموال الشعب العربى المطحون المسكين .

بل ان هـذه الحروب كانت فرصة للزعامات السياسية العربية ، ليتهم بعضها بعضا بالعمالة .. وبالانهزامية .. وبالتخاذل .. وبغيرها من الشتائم ، التى فاض بها قاموس السياسة العربية المعـاصرة ، حتى ... طفح .

وقصص اللقـاءات السرية المتكررة ، بين (الحـكام) العرب ، وبين (حكام) اسرائيـل ، قصص تتم سرا أول الأمر .. ثم سرعان ما يعمل اليهود على نشرها ، أو على (تسريب) أخبارها ، الى الصحف ووكالات الأنباء ، لتحقيق أهداف (الدولة العبرية) .

ولعل أشهر هذه اللقـاءات السرية على الاطلاق ، اللقـاء بين حافظ أسد ، حاكم سوريا الأوحد ، وأحد أكبر كبار زعماء (جبهـة الصمود والتصدى) اليوم .. وبين حكام اسرائيـل . وفى لقـاء من هـذه اللقـاءات ، تم بيـع هضـبة جولان الاستراتيجيـة ، وتـم (سحب) الجيش السورى منها ، دون حرب . وفى لقـاء آخر منها ، تم ضرب المقاومة الفلسطينية ، فى داخل سوريا . وفى لقـاء ثالث ،

تمت (ملاحقة) هـذه المقاومة ، فى داخل لبنان . وفى لقـاء رابع ، تم الاتفـاق على اقامة دولة مسيحية فى جنوب لبنان ، تكون (حاجزا) بين اسرائيل ، وبين الفلسطينيين فى لبنان ، بعد أن فشلت المخططات فى اخراجهم منه .

وفى اللقاء الخامس والأخير ، حتى كتابة هذه السطور ، تم الاتفاق على اقتحام الجيش الاسرائيلى للبنـان ، ودخوله بيروت الغربية ، ليضرب بهـا الفلسطينيين ، وحـركة المقـاومة الاسـلامية لليهـود والاستعمار .. والعمالة .

ولم تتوقف اللقاءات السرية ، ولم تتوقف ــ معها ــ التصريحات العنترية .. وتنمو الدولة العبرية وتتخم ، بالعمل الجاد المخلص من قياداتها السياسية ، سواء من يتولى منهم السلطة ، ومن يقف فى صفوف المعارضـة .. ويتضاءل العرب وجودا وفعاليـة وتأثيرا .. بانفصال القيادات السياسية العربية ، عن عمقهـا الاستراتيجى الحقيقى .. فى قلب جماهيرها .

ولقد كان اليهود يتباكون على السلام قبل سـنة ١٩٦٧ ، فتسيل دموع العالم ، حزنا على اليهود (المضطهدين) ــ ومع الدموع ، كانت الخزائن تسيل ، لتصب فى اسرائيل ، سـواء خزائن المـال ، وخزائن السلاح ..

وكان العـرب ــ على السـاحة المقـابلة ــ يهددون ويتوعدون ويزايدون .. فيخسرون الرأى العـام العالمى ، ويتهمون بأشـياء ، أقلهـا الحمق ، وسوء التقدير والتدبير .

ثم كانت المعارك تنشب بين الطرفين .. لأسباب لا يمكن تفسيرها ، الا بمـا كان يتم بين القيادات العربية والقيادات الاسرائيلية .. فى الظـلام .. من اجتماعات .

وكانت المعـارك تنتهى (بانكماش) عربى ، فى مقابل (توسع) اسرائيلى .. مما يدل على أن الثمن كان يدفع قبل الحرب .. فى هـذه

الاجتماعات ••• وقصة ميناء ايلات الاسرائيلى على البحر الأحمـر ، وهضبة الجولان الاستراتيجية السورية هنـا •• من القصص التى صارت معروفة للجميع •

ولولا الانتصـار فى رمضـان / أكتوبر ١٩٧٣ •• لكان عائـد اسرائيل ، من الحرب فى عمـومها ، أكبر من عائدها من اقامة (الدولة العبرية) ، ومن ميناء ايلات ، ومن هضبة الجـولان •• مجتمعة •• وهـو العـائد المعنوى ، الذى يزرع فى قلب كل عربى ،أن الجيش الاسرائيلى ، جيش لا يقهر •

وعلى طريق هذا (التهريج) •• عقـدت مؤتمرات عربية عدة •• بعضـها على مستوى القمة ، وبعضها دون هـذه القمة •• بقليـل أو كثـير •

وكان هـدف هـذه المؤتمرات ، هو (المعركة) •

الا أن هـذا الهدف ، كان مزدوجا ، فقد كان هنـاك هدف معلن ، هو بحث مستلزمات المعركة مع اسرائيل ، واستراتيجية هـذه المعركة ، والعقبات التى تقف فى طريقها •• الخ •

وما أن يجتمع القـوم ، حتى يظهر فى الأفق ، الهدف الحقيقى •• غير المعلن •

كان (استقطاب) البعض للبعض ، (لتعـرية) البعض •• هو الهدف الحقيقى لمعظم المؤتمرات •

وعلى طريق (التعرية) هـذا •• ظهرت (مزايدات) كثيرة •••

وفى السنوات الأخيرة •• ظهـر هدف آخر •• هو (الابتزاز) •

وبدأت خزائن الدول البترولية ، تفتـح أبوابها للمزايدين •• اتقـاء لشرهم •• أو تعـرية لهم ••

وفى أحد هـذه الاجتماعات •• رفضت احدى الدول البترولية ، تقديم المـال لدولة من دول المواجهـة •• وقدمت لها بدله •• كشفا بالودائع السرية لزعمائها •• فى البنوك الأوربيـة •

وفى أحدها •• رفضت احـدى هـذه الدول البترولية ، تقـديم المـال •• وتعهدت بتقـديم المساعدات المطلوبة للمعركة •• عينية •

وهكذا ، كان اليهـود يجتمعـون ليذبحـوا العـرب ، وينهبوا ثرواتهم •• وكان العرب يجتمعون ، ليذبح بعضـهم بعضا ، وليسرق بعضهم بعضا •

انهـا هى هى قصـة ملوك الطوائف فى الأندلس •• التى كانت آخر فصول قصة المسلمين فيها • ولكن القصـة بالنسـبة لليهـود فى فلسطين ، لمـا تنته فصولها بعد •

ولعـل فصول هـذه القصة ، أشبه بفصول قصة الصليبيين ، فى نفس فلسطين ، لا بقصة الاسلام والمسلمين فى الأندلس •

لقد عاش المسلمون فترة من الزمن ، أوصلتهم الى ما هم عليـه اليـوم •• يدافعون عن دينهم ، أن يكون دين حرب ، ويسيئون فهم قوله تعـالى :

— « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عـدو الله وعدوكم ، وآخـرين من دونهم ، لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله ، يوف اليـكم وأنتم لا تظلمون • وان جنحوا للسلم فاجنح لهـا وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم • وان يريـدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » (٦١) •

(٦١) قرآن كـريم : الأنفـال — ٨ : ٦٠ — ٦٢ •

ولكن المسلمين اليوم ، بعد أن صاروا (مستضعفين فى الأرض) ، (يخافون أن يتخطفهم النـــاس) ، فى داخل أوطانهم ، وفى خارج هذه الأوطان .. وبعد أن (بلغ السيل الزبى) كما يقولون ، بالسيطرة على (المسجد الأقصى) ، والتخريب فيه وتحته ومن حوله .. تحولوا من موقع (الدفاع) الى موقع (الهجوم) ، فصاروا يعدون العدة لاستعادة كرامتهم ، واستعادة مقدساتهم ، محتسبين عند الله ما يتحملونه فى سبيل هـــذا الاعداد ، متذكرين — ولا شك — قول الله سبحانه لهم ، مذكرا بمـــا حدث لأسلافهم فى غزوة بـــدر :

— « واذكروا اذ أنتم قليـــل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات ، لعلكم تشكرون »(٦٢) .

ومتذكرين — ولا شك حالهم الراهن ، وما حدث لأســـلافهم فى غزوة حنين ، كما يذكر به رب العزة سبحانه :

— « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين ، اذ أعجبتكم كثرتكم ، فلن تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بمـــا رحبت ، ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين » (٦٣) .

واذا كانت اسرائيل تعتمد على الحضـــارة الغربية ، بالدرجـــة الأولى ، فى فسادها وافسادها ، فان الحضارة الغربيـــة اليوم ، على وشك الأفول ، كمـــا تجمع دراسات كثيرة ، فى الشرق والغـــرب على

---

(٦٢) قرآن كريم : الأنفال — ٨ : ٢٦ .

(٦٣) قرآن كريم : التوبة — ٩ : ٢٥ ، ٢٦ .

السـواء (٦٤) ، على أسـاس أن « النزعة الاسـتعمارية ، فى الدول الغربيـة » ، التى كانت « فيما مضى ، سـببا لسيطرتها السياسـية والاقتصادية على العالم » ، « ستكون مصدر ضعفها واضمحلالها » ، بعد أن « تنبـه العـالم الى التحرر من هـذه السـيطرة » ، وبذلك « فان روح الاستعمار ، ستكون وبالا على الغرب ، لأن تمسكه بهـا ، يكبـده الخسائر الهائلة فى الأرواح ، وفى اقتصادياته وميزانياته » • « وفى الغـرب مصـدر آخـر ، للضعف والتراجع ، وهو أن ما ابتزه الاستعمار ، من خيرات الشعوب الشرقيـة وأموالهـا ، قـد زاد من ترف الغرب ، وتخطى الترف حدوده المعقولة والمقبـولة ، فانتشرت الاباحية » ، « وكثيرا ما تكون هـذه الآفات ، نتيجة للتوسع فى الفتح والسلطان ، وازدياد الثروة والرخاء •

فالدور الذى تسير فيه الدول الاستعمارية ، يشبه أن يكون كدور التراجع والانحلال الذى أصاب الامبراطورية الرومانية ، فى أواخـر عهـدها » (٦٥) •

وبانهيـار الحضارة الغربيـة •• ينهـار الأساس الذى تقـوم عليـه اسرائيل •

يضاف الى ما يحدث على الساحة الغربية •• ذلك البعث الاسلامى المتزايد فى ثقـة •• فى المنطقة المحيطة باسرائيل •• بالرغم من محاولة ازهاقه •• أينما وجد ، لأنه لابد أن يجتاح النظم العميلة فى المنطقة •• ليتمكن من اجتياح اسرائيل •

---

(٦٤) ارجع — هنا — الى الكتاب الحادى عشر من كتب السلسلة ، عن (الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة) ، خاصة الفصل الرابع منه ، عن (الحضارة الغربية المعاصرة) ، ص ٩٠ — ١١٥ •

(٦٥) عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يوليـة ١٩٥٢ ، تاريخنـا القـومى فى سبع سنوات (١٩٥٢ — ١٩٥٧) — الطبعة الأولى — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٩ ، ص ٣٨٨ ، ٣٨٩ •

وقـد وصـل هـذا المـد الاسـلامى •• الى داخـل الأرض المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ •• مما صار يؤرق اسرائيل بحق ، لأن التحدى الأكبر أمام اسرائيل اليـوم ، لم يعد تحـدى (الجـيران) ، الذين لا يجيدون الا الكلام ، وخطب المنابر •• بل تحدى الجبهة الصامدة •• فى داخل الحدود ، بعد أن تمـادى المتطرفون اليهـود ، فى تحـديهم لمشاعرهم ، باقامة المستوطنات ، والاعتداء على المقدسات ، والتحرش بالمواطنين •• فلم يعد أمام المسالمين من الفلسطينيين ، الا أن يكونوا غير مسالمين •

ان الامعان فى التحدى اليهودى ، هو الذى سـيطرد اليهود من فلسطين ، تماما كما كان امعان نابليون فى تحـديه للألمـان ، هو الذى خلق ألمـانيا الحديثة ، وحطم فرنسا ، على نحو ما رأينا فى الفصـل الرابع (٦٦) •

ولا تحتاج المسألة — فى رأى الدكتـور زكى نجيب محمـود — الا « لحظة واحدة من لحظات العزيمة العربية » ، « ان لم يكن اليوم ، ففى الغـد القـريب » (٦٧) — تكون هـذه الصـحوة الاسـلامية العارمة ، قـد ولدت (صلاح الدين) جديدا •• كما ولدت من قبـل صـلاح الدين الأيوبى •• بعد احتلال دام مائة سنة تقريبـا لنفس فلسـطين •• ولكن على يد الصليبيين (٦٨) •• « •• ويومئذ يفـرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم • وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٦٩) •

---

(٦٦) ارجع الى ص ١٢٩ — ١٣١ من الكتاب .

(٦٧) دكتـور زكى نجيب محمود : ثقافتنا فى مواجهـة العصر — الطبعة الأولى — دار الشروق — ينـاير ١٩٧٦ ، ص ٣٠٦ .

(٦٨) استمرت الحروب الصليبية كما هو معروف ، من سنة١٠٩٥م، حيث الحرب الصليبية الأولى ، الى سنة ١١٨٧ م ، حيث هزم صلاح الدين الصليبيين فى حطـين — وما تلا ذلك من حروب صليبية ، كانت حـروبا محدودة .

(٦٩) قرآن كريم : الروم — ٣٠ : ٤ — ٦ .

مراجع الكتـــاب

اولا : المراجع العربيـــة :

١ ــ ابراهيم خليل أحمـــد : محمد ، فى التوراة والانجيل والقـــرآن ــ الطبعة الثالثة ــ مكتبـــة الوعى العربى (بدون تاريخ) .

٢ ــ ابن عمـــار الصغير : التفكير العلمى ، عند ابن خلدون ــ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ــ الجزائر (بدون تاريخ) .

٣ ــ أبو الحسن الندوى : تأملات فى سورة الكهف ــ الطبعة الثالثة ــ المختـــار الاسلامى ، للطبـــاعة والنشر والتوزيع ــ ١٣٩٧هـ ــ ١٩٧٧ م .

٤ ــ أبو الحسن النـــدوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ــ الطبعة الرابعة ــ دار القلم بالكويت ــ ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م .

٥ ــ أبو الحسن الندوى : ماذا خسر العـــالم بانحطـــاط المسلمين ــ الطبعة العاشرة ــ مطابع على بن على ــ الدوحة ــ قطـــر ــ ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤ م .

٦ ــ الدكتـــور أحمـــد زكى صالح : علم النفس التربوى ــ الطبعـــة الثامنة ــ مكتبة النهضة المصرية ــ ١٩٦٥ .

٧ ــ الدكتور أحمـــد سويلم العمـــرى : بحـــوث فى المجتمع العـــربى (دراسات سياسية) ــ مكتبة الأنجلو المصرية ــ ١٩٦٠ .

٨ ــ احمـــد عبد الوهاب : اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة ــ الطبعة الأولى ــ مكتبـــة وهبة ــ أكتوبر ١٩٧٢ .

٩ ــ الدكتـــور أحمـــد عروة : الاســـلام فى مفترق الطـــرق ــ نقـــله عن الفرنسية : الدكتور عثمان امين ــ دار الشروق ــ ١٩٧٥ .

١٠ ــ دكتـــور أحمـــد عزت راجح : أصول علم النفس ــ الطبعـــة الخامسة ــ الدار القومية ، للطباعة والنشر ــ ١٩٦٣ .

١١ ــ الدكتـــور أحمد محمد ابراهيم : الاقتصاد الســـياسى ــ الجـــزء الأول ــ الطبعة الثالثة ــ المطبعة الأميرية ببولاق ــ ١٩٣٥ .

١٢ ــ أرنولد توينبى : الحرب والمدنية ــ ترجمة أحمد محمود سليمان ــ مراجعة الدكتور محمد انيس ــ رقم (٥٠٧) من (الألف كتاب) ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٦٤ .

١٣ — أسوالد اشبنغلر : تدهور الحضارة الغربية — الجزء الثالث — ترجمة أحمد الشيبانى — منشورات دار مكتبة الحياة — بيروت — ١٩٦٤ .

١٤ — الأعمال الكاملة ، لجمال الدين الأفغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره ، بقلم محمد عمارة — دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة — ١٩٦٨ .

١٥ — الأعمال الكاملة ، للامام محمد عبده — جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة — الجزء الثالث (الاصلاح الفكرى والتربوى والالهيات) — الطبعة الأولى — المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت — أيلول (سبتمبر) ١٩٧٢ .

١٦ — التلمود ، شريعة بنى اسرائيل (حقائق ووقائع) — ترجمة واعداد محمد صبرى — مكتبة مدبولى بالقاهرة (بدون تاريخ) .

١٧ — الدومييلى : العلم عند العرب ، وأثره فى تطور العلم العالمى — نقله الى العربية : الدكتور عبد الحليم النجار ، والدكتور محمد يوسف موسى — قام بمراجعته على الأصل الفرنسى : الدكتور حسين فوزى — جامعة الدول العربية — الادارة الثقافية — الطبعة الأولى — دار القلم — ١٩٦٢ .

١٨ — العنصرية الصهيونية ، فى الفكر والتطبيق — جامعة الدول العربية — الأمانة العامة — الادارة العامة لشئون فلسطين — يوليو (تموز) ١٩٧٦ .

١٩ — العهد الجديد .

٢٠ — العهد القديم .

٢١ — الكسيس كاريل : الانسان ، ذلك المجهول — تعريب شفيق أسعد فريد — مكتبة المعارف — بيروت — ١٩٧٤ .

٢٢ — أنا فرويد : الأنا وميكانيزمات الدفاع — ترجمة صلاح مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق — تقديم مصطفى زيور — من (المؤلفات الأساسية ، فى التحليل النفسى) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٢ .

٢٣ — أنور الجندى : الاسلام فى وجه التغريب (مخططات الاستشراق والتبشير) — دار الاعتصام — القاهرة — ١٩٧٧ .

٢٤ — أنور الجندى : العروبة والاسلام (الرد على ساطع الحصرى ، وميشيل عفلق ، وانطون سعادة) — رقم (١) من (معالم التاريخ الاسلامى المعاصر) — دار الاعتصام — القاهرة — ١٩٧٦ .

٢٥ — أنور الجندى : المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، فى غزو الفكر الاسلامى — الطبعة الثانية — دار الاعتصام — القاهرة — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٢٦ — أنور الجندى : تاريخ الاسلام ، فى مواجهة التحديات — دار الاعتصام — القاهرة — ١٩٧٧ .

٢٧ — أنيس منصور : الحائط والدموع — الطبعة الأولى — دارالشروق — يناير / كانون الثانى ١٩٧٢ .

٢٨ — برتراند رسل : نحو عالم أفضل — ترجمة ومراجعة درينى خشبة ، وعبد الكريم أحمد — رقم (٦٨) من (الألف كتاب) — العالمية للطبع والنشر (بدون تاريخ) .

٢٩ — تاريخ البشرية — المجلد السادس (القرن العشرون) — التطور العلمى والثقافى — الجزء الثانى — ١ (تطور المجتمعات) — اعداد اللجنة الدولية ، باشراف منظمة اليونسكو — الترجمة والمراجعة : عثمان نويه وآخران — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — ١٩٧١ .

٣٠ — تفسير القرآن العظيم ، للامام الجليل ، الحافظ عماد الدين أبى الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ — الجزء الثانى — ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م (بدون ناشر) .

٣١ — جروف ساموبل داو : كتاب المجتمع ومشاكله ، مقدمة لمبادىء علم الاجتماع — ترجمة ابراهيم رمزى — المطبعة الأميرية ببولاق — ١٩٣٨ .

٣٢ — دكتور جمال حمدان : شخصية مصر ، دراسة فى عبقرية المكان — عالم الكتب — ١٩٨٠ .

٣٣ — دكتور حسن حسنى أبو السعود : « النظائر المشعة فى خدمة الصناعة » — **الذرة فى خدمة السلام** — مجموعة المحاضرات ، التى القيت بالمؤتمر السنوى السادس والعشرين ، للمجمع المصرى للثقافة العلمية ، الذى عقد فى المدة من ٣١ مارس ، الى ٥ أبريل سنة ١٩٥٦ — رقم (٢٧) من (الألف كتاب) — مكتبة مصر (بدون تاريخ) .

٣٤ — الدكتور حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، اطواره ومذاهبه — معهد البحوث والدراسات العربية — ١٩٧١ .

٣٥ — الشيخ حسنين محمد مخلوف : القرآن الكريم ، ومعه صفوة البيان ، لمعانى القرآن — الجزء الأول — الطبعة الأولى — مطابع دار الكتاب العربى — ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م .

٣٦ — خليل طاهر : الأديان والانسان ، منذ مهبط آدم ، حتى : اليهودية المسيحية — الاسلام — قدم له وراجعه : فضيلة الامام الأكبر ، الشيخ عبد الحليم محمود — دار الفكر والفن — ١٩٧٦ .

٣٧ — الشيخ رحمت الله الهندى (١٢٣٣ — ١٣٠٨هـ) : اظهار الحق — تقديم وتحقيق وتعليق : الدكتور احمد حجازى السقا — الجزء الأول — دار التراث العربى ، للطباعة والنشر — ١٩٧٨ .

٣٨ — زاهر عزب الزغبى : الاسلام ، ضرورة عالمية — الهيئة المصرية العامة ، للتأليف والنشر — القاهرة — ١٩٧١ .

٣٩ — دكتور زكى نجيب محمود : ثقافتنا ، فى مواجهة العصر — الطبعة الأولى — دار الشروق — يناير ١٩٧٦ .

٤٠ — س. ر. ب. جويس : « العقاقير والشخصية » — الفصل الرابع من : آفاق جديدة ، فى علم النفس — أشرف على تأليفه : ب.م.فوس — ترجمة دكتور فؤاد أبو حطب — عالم الكتب — ١٩٧٢ .

٤١ — سعد جمعة : الله ، أو الدمار — الطبعة الثالثة — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

٤٢ — سعيد حوى : جند الله ، ثقافة وأخلاقا — من (دراسات منهجية هادفة فى البناء) — الطبعة الثانية (بدون ناشر ولا تاريخ) .

٤٣ — سيجموند فرويد : خمس حالات من التحليل النفسى — الجزء الأول — ترجمة صلاح مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق — تقديم ومراجعة مصطفى زيور — من (المؤلفات الأساسية ، فى التحليل النفسى) — مكتبة الأنجلو المصرية — ١٩٧٢ .

٤٤ — سيجموند فرويد : موسى والتوحيد (اليهودية ، فى ضوء التحليل النفسى) — ترجمة دكتور عبد المنعم الحفنى — الطبعة الثانية — مطبعة الدار المصرية ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٨ .

٤٥ — سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام — الطبعة الثالثة — مطبعة دار الكتاب العربى — ١٩٥٢ .

٤٦ — سيد قطب : فى ظلال القرآن — المجلد الثالث (الأجزاء : ٨ — ١١) — الطبعة الشرعية الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٤٧ — سيد قطب : فى ظلال القـرآن — المجلد الرابع (الأجـزاء ١٢ — ١٨) — الطبعة الشرعيـة الرابعة — دار الشروق — ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .

٤٨ — سيد قطب : مشاهد القيامة فى القـــرآن — دار الشروق (بدون تاريخ) .

٤٩ — سيد قطب : معالم فى الطـــريق — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م (بدون ناشر) .

٥٠ — سيد قطب : معـركتنا مع اليهـــود — الطبعـة الأولى — الدار السـعودية ، للنشر والتـوزيع ، ودار الشروق — ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م .

٥١ — دكتور سيد محمد غنيم : سـيكولوجية الشـخصية : محدداتها ، قياسها ، نظرياتها — الطبعـة الأولى — دار النهضة العربيــة — ١٩٧٣ .

٥٢ — دكتور صبرى جرجس : التراث اليهـودى الصـهيونى ، والفكر الفرويدى (أضواء على الأصول الصهيونية ، لفكر سجمند فرويد)— الطبعة الأولى — عالم الكتب — ١٩٧٠ .

٥٣ — عباس محمود العقاد : أفيون الشـعوب ، المذاهب الهـدامة — الطبعة الخامسة — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٩٧٥ .

٥٤ — عباس محمود العقاد : الثقافة العربية ، أسبق من ثقافة اليـونان والعبريين — رقم (٣٠٩) من (المكتبة الثقافية) — الهيئـة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٤ .

٥٥ — عباس محمـود العقاد : حقائق الاسـلام ، وأباطيل خصـومه — دار الاسلام — القاهرة — ١٩٥٧ .

٥٦ — عباس محمود العقاد : حيـاة المسـيح ، فى التـاريخ ، وكشوف العصر الحـديث — رقم (٢٠٢) من (كتاب الهلال) — ينـاير ١٩٦٨ .

٥٧ — عباس محمود العقـاد : عبقرية عمـر — الجمهـورية العربيـة المتحدة — وزارة التربية والتعليم — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .

٥٨ — عباس محمود العقاد : عبقرية محمـد — دار الكتب الحديثـة — القاهرة — ١٩٦٦ .

٥٩ — عباس محمـود العقاد : ما يقال عن الاسـلام — دار الهـلال — ١٩٧٠ .

٦٠ — دكتور عبد الصبور شاهين : فى علم اللغة العام — الطبعة الثالثة — ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م (بدون ناشر) .

٦١ — الامام الأكبر ، دكتور عبد الحليم محمود : فى رحاب الكون ، مع الأنبياء والرسل — العدد (١٢٨) من (كتاب اليوم) — رمضان ١٣٩٧ — أغسطس ١٩٧٧ .

٦٢ — عبد الرحمن الرافعى : ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، تاريخنا القومى ، فى سبع سنوات (١٩٥٢ — ١٩٥٧) — الطبعة الأولى — مكتبة النهضة المصرية — ١٩٥٩ .

٦٣ — العلامة عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة من كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر — المطبعة الشرفية — ١٣٢٧هـ .

٦٤ — عبد الرحمن حبنكة الميدانى : أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها— الطبعة الأولى — دار العربية ، للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

٦٥ — الدكتور عبد العزيز كامل : دروس من غزوة أحد — الجزء الثانى من (الدين والحياة) — الطبعة الأولى — أمانة الدعوة والفكر ، بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى — ١٩٦٨ .

٦٦ — دكتور عبد الغنى النورى ، ودكتور عبد الغنى عبود : نحو فلسفة عربية للتربية — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧٩ .

٦٧ — دكتور عبد الغنى عبود : الأيديولوجيا والتربية ، مدخل لدراسة التربية المقارنة — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

٦٨ — دكتور عبد الغنى عبود : الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة — الكتاب الحادى عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٨١ .

٦٩ — دكتور عبد الغنى عبود : الدولة الاسلامية ، والدولة المعاصرة — الكتاب الثانى عشر من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يونيو ١٩٨١ .

٧٠ — دكتور عبد الغنى عبود : العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة — الكتاب الأول من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر)— الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

٧١ — دكتور عبد الغنى عبود : الله والانسان المعاصر — الكتاب الثانى من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — فبراير ١٩٧٧ .

٧٢ — دكتور عبد الغنى عبود : انبياء الله ، والحياة المعاصرة — الكتاب السادس من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — سبتمبر ١٩٧٨ .

٧٣ — دكتور عبد الغنى عبود : دراسة مقارنة ، لتاريخ التربية — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٧٤ — دكتور عبد الغنى عبود : قضية الحرية ، وقضايا أخرى — الكتاب السابع من سلسلة (الاسلام وتحديات العصر) — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — يناير ١٩٧٩ .

٧٥ — عبد الكريم الخطيب : الله ذاتا وموضوعا (قضية الألوهية .. بين الفلسفة والدين) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ .

٧٦ — عبد الكريم الخطيب : الله والانسان (قضية الألوهية .. بين الفلسفة والدين) — الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٧١ .

٧٧ — عبد الكريم الخطيب : اليهود فى القرآن — الطبعة الأولى — دار الشروق — ١٩٧٤ .

٧٨ — عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية ، على الاسلام والمسيحية — الطبعة الثانية — دار القلم — ١٩٦٥ .

٧٩ — الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتوفى بمصر سنة ١٢٤٢هـ) : مختصر سيرة الرسول ، صلى الله عليه وسلم — نشره : قصى محب الدين الخطيب — الطبعة الثانية — المطبعة السلفية ومكتبتها — ١٣٩٧ هـ .

٨٠ — على أدهم : حقيقة الشيوعية — تقديم جمال عبد الناصر — المكتب المصرى الحديث (بدون تاريخ) .

٨١ — على المحافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب ، فى عصر النهضة (١٧٩٨ — ١٩١٤) (الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية) — الطبعة الثانية — الأهلية ، للنشر والتوزيع — بيروت — ١٩٧٨ .

٨٢ — الدكتور على عبد الحليم محمود : الغزو الفكرى ، واثره فى المجتمع الاسلامى المعاصر — الطبعة الأولى — دار البحوث العلمية — الكويت — ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م .

٨٣ — الدكتور على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود ، بحث فى ديانة اليهود وتاريخهم ، ونظامهم الاجتماعى والاقتصادى — مكتبة غريب (بدون تاريخ) .

٨٤ — عمر فروخ : تجديد التاريخ ، فى تعليله وتدوينه (اعادة النظر فى التاريخ) — الطبعة الأولى — دار الباحث ، للطباعة ، والنشر والتوزيع — بيروت — ١٤٠١هـ — ١٩٨٠م .

٨٥ — د. على محمد جريشة ، ومحمد شريف الزيبق : اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى — الطبعة الأولى — دار الاعتصام بالقاهرة — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

٨٦ — عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية — الطبعة الأولى — الشركة العامة ، للنشر والتوزيع والاعلان — طرابلس — ليبيا — ١٩٧٥ .

٨٧ — الدكتور فاضل الجمالى : « فلسفة تربوية متجددة ، اهميتها للبلدان العربية » — **فلسفة تربوية متجددة ، لعالم عربى يتجدد** — دائرة التربية ، فى الجامعة الأميركية فى بيروت — مطابع دار الكشاف — بيروت — ١٩٥٦ .

٨٨ — د. فؤاد زكريا : آراء نقدية ، فى مشكلات الفكر والثقافة — الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٥ .

٨٩ — قرآن كريم .

٩٠ — قسطنطين زريق : نحن والمستقبل — الطبعة الأولى — دار العلم للملايين — بيروت — شباط (فبراير) ١٩٧٧ .

٩١ — ك. م. بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية — ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد — مراجعة أحمد خاكى — من الفكر السياسى والاشتراكى — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

٩٢ — كتاب البراهين العقلية والعلمية ، فى صحة الديانة المسيحية — تأليف وجمع القائمقام ترتن ، من فرقة المهندسين — ترجمة حبيب أفندى سعيد — الطبعة الثانية — مطبعة النيل المسيحية ، بالمناخ بمصر — ١٩٢٥ .

٩٣ — كتاب المصاحف ، للحافظ أبى بكر ، عبد الله بن أبى داود سليمان ابن الأشعث السجستانى ، المتوفى سنة ٣١٦ هـ — صححه ووقف على طبعه : الدكتور آثر جفرى — الطبعة الأولى — مكتبة المثنى ببغداد — ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .

٩٤ — لانسلوت هوجبن : العلم للمواطن — ترجمة دكتور عطية عبد السلام عاشور ، ودكتور سيد رمضان هدارة — مراجعة دكتور محمد مرسى احمد — رقم (١٠١) من (الألف كتاب) — الجزء الثالث — دار الفكر العربى — ١٩٦٣ .

٩٥ — لينين : نصوص حول المسألة اليهودية (مختارات جديدة) — ترجمة وتقديم جورج طرابيشى — الطبعة الأولى — دار الطليعة ، للطباعة والنشر — بيروت — تموز (يوليو) ١٩٧٢ .

٩٦ — ماركس وانجلس : بيان الحزب الشيوعى — دار التقدم — موسكو — ١٩٦٨ .

٩٧ — محمد اسماعيل ابراهيم : قصص الأنبياء والرسل ، كما جاءت فى القرآن الكريم ، ووردت فى كلام المفسرين ، وأخبار المؤرخين — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م .

٩٨ — الدكتور محمد البهى : الفكر الاسلامى الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربى — الطبعة الثانية — مكتبة وهبة — رمضان ١٣٩٥هـ — سبتمبر ١٩٧٥ م .

٩٩ — محمد الصادق عرجون : الموسوعة ، فى سماحة الاسلام — المجلد الأول — مؤسسة سجل العرب — ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢ م .

١٠٠ — محمد الغزالى : فقه السيرة — الطبعة الأولى — مطابع دار الكتاب العربى بمصر — ١٣٧٢هـ — ١٩٥٢م .

١٠١ — محمد بحر عبد المجيد : اليهودية — مكتبة سعيد رافت بالقاهرة — ١٩٧٨ .

١٠٢ — محمد صبيح : المعتدون اليهود ، من أيام (موسى) الى أيام (ديان) — مطبعة دار العالم العربى — ١٩٦٨ .

١٠٣ — محمد عبد الرحمن عنبر : دولة الاسلام — من سلسلة (كتب خفيفة) — تصدرها : دار الجامعيين ، للطبع والنشر — مارس ١٩٦٦ .

١٠٤ — محمد عبد الله السمان : مفتريات اليونسكو على الاسلام — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٦ .

١٠٥ — دكتور محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق فى القرآن ، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن — تعريب وتعليق : دكتور عبد الصبور شاهين — مراجعة دكتور السيد محمد بدوى — مؤسسة الرسالة ، ودار البحوث العلمية — ١٩٧٢ .

١٠٦ — الدكتــور محمد عزيز الحبــابى : الشخصانية الاسلامية — من (مكتبــة الدراسات الفلسفية) — دار المعارف بمصر — ١٩٦٩ .

١٠٧ — محمــد عطــا : صراع على أرض الميعاد — رقم (٤٥) من (المكتبة الثقافية) — وزارة الثقافة والارشاد القومى — الادارة العــامة للثقافة — دار القلم بالقاهرة — ١٥ سبتمبر ١٩٦١ .

١٠٨ — الدكتــور محمد فاضــل الجمالى : نحو توحيــد الفكر التربوى في العــالم الاسلامى — الدار التونسية للنشر — ١٩٧٢ .

١٠٩ — محمد قطب : قبسات من الرسول — الطبعة الثانية — دار الشروق (بدون تاريخ) .

١١٠ — الدكتــور مصطفى خالدى ، والدكتــور عمــر فروخ : التبشــير والاستعمار فى البلاد العربية ، عرض لجهود المبشرين ، التى ترمى الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى — الطبعــة الخامسة — ١٩٧٣ (بدون ناشر) .

١١١ — الدكتور مصطفى كمال وصفى : محمد ، صلى الله عليــه وسلم ، وبنــو اسرائيل — من مطبوعات (لجنة الخبراء) — يصــدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة — ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م .

١١٢ — مصطفى محمود : المــاركسية والاسلام — دار المعارف بمصر — ١٩٧٥ .

١١٣ — مصطفى محمود : من أسرار القــرآن — العدد (١١٥) من (كتاب اليــوم) — مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة — سبتمبر ١٩٧٦ .

١١٤ — دكتور منير بشــور ، وخالد مصــطفى الشيخ يوسف : التعليم فى اسرائيل — رقم (٢) من (سلسلة كتب فلسطينية) — منظمــة التحرير الفلسطينية — مركز الأبحاث — أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ .

١١٥ — د. نعمات أحمــد فؤاد : شخصية مصر — الهيئة المصرية العامة للكتــاب — ١٩٧٨ .

١١٦ — هـ. أ. ر. جب، وآخرون : وجهة الاسلام ، نظــرة فى الحركات الحديثة ، فى العالم الاسلامى — أشرف على تحريره : الأســتاذ (جب) — ونقله عن الانجليزية : محمد عبد الهادى أبو ريــدة — المطبعة الاسلامية — ١٩٣٤ .

١١٧ — وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ، مدخل علمى الى الايمــان — ترجمــة ظفر الاسلام خان — مراجعة وتقديم دكتور عبد الصبور شاهين — الطبعة الخامسة — المختار الاسلامى — ١٩٧٤ .

١١٨ — وحيد الدين خان : حكمة الدين ، تفسير عناصر لاسلام ومقتضياته — ترجمة ظفر الاسلام خان — الطبعة الأولى — المختار الاسلامى ، للطباعة والنشر والتوزيع — ١٩٧٣ .

١١٩ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الأول (نشأة الحضارة) — ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٩ .

١٢٠ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثانى ، من المجلد الأول (الشرق الأدنى) — ترجمة محمد بدران — الطبعة الثانية — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ .

١٢١ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الثالث (١١) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٥ .

١٢٢ — ول ديورانت : قصة الحضارة — الجزء الثالث ، من المجلد الرابع (١٤) (قيصر والمسيح ، أو الحضارة الرومانية) — ترجمة محمد بدران — الادارة الثقافية ، فى جامعة الدول العربية — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٥٦ .

١٢٣ — الأميرال وليام غاى كار : أحجار على رقعة الشطرنج — ترجمة سعيد جزائرلى — الطبعة الأولى — دار النفائس ، للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — ١٩٧٠ .

١٢٤ — الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل : معالم شخصية المسلم (التكوين الأساسى) — المكتبة العصرية — صيدا — بيروت (بدون تاريخ) .

١٢٥ — الدكتور يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام — من (منشورات جماعة علم النفس التكاملى) — الطبعة الرابعة — دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1. ALI, ABDULLAH YUSUF : The Holy Qur-an, Text. Translation and Commentary, Volume One ; Third Edition, The Murray Priniting Company, Cambridge, Massachusetts, New-York, U.S.A., 1948.

2. COUPLAND, R. (Selectedby) : The War Speeches of WILLIAM PITT, The Younger ; Third Edition, Oxford, at the Clarendon Press, 1940.

3. GOODSELL, WILLYSTINE : A History of the Familly, as a Social and Educational Institution, The Macmillan Company, New-York, 1923.

4. HANS, NICHOLAS : Comparative Education, A Study of Educational Factors and Traditions ; Routledge and Kegan Paul Limited, London, 1958.

5. HITLER, ADOLF : My Struggle, Number II ; The Paternester Library, 1937.

6. JAMES, ALOUZA : Commerce, Stage I, An Introductory Text-book on Business Economics ; Ninth Edition, Sir Isaac Pitman and Sons Ltd., London (Without date).

7. KHALIFA, RASHAD : Miracle of the Quran, Significance of the Mysterious Alphabets ; Islamic Production Internatioal, Inc., St. Louis, Missouri, U.S.A., 1973.

8. RADWAN, ABU AL-FUTOUH AHMAD : Old and New Forces in Egyptian Education, Proposals for the Re-construction of the Program of Egyptian Education, in the Light of Recent Cultural Trends ; Bureau of Publications, Teachers College, Columbia University, New-York, 1951.

للمــؤلف

اولا : من كتب التربيــة :

١ — **فى التربيــة المقــارنة** — عالم الكتب — ١٩٧٤ (مع الدكتورة نازلى صالح) .

٢ — **الأيديولوجيــا والتربيــة ، مدخل لدراسة التربيــة المقارنة** — دار الفكر العــربى — الطبعــة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٨ ، والطبعة الثالثة ١٩٨٠ .

٣ — **نحــو فلسفة عربية للتربية** — دار الفكر العربى (مع الدكتور عبد الغنى النــورى) — الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانية ١٩٧٩ .

٤ — **فى التربيــة الاسلامية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٧ .

٥ — **فى التربيــة المعاصرة** — دار الفكر العــربى — ١٩٧٧ (مع الدكتــور ابراهيم عصمت مطاوع) .

٦ — **دراسة مقارنة لتاريخ التربية** — دار الفكر العربى — ١٩٧٨ .

٧ — **ادارة التربية وتطبيقاتها المعاصرة** — دار الفكر العــربى — ١٩٧٨ .

٨ — **البحث فى التربيــة** — دار الفكر العــربى — ١٩٧٩ .

٩ — **التربية ومشكلات المجتمع** — دار الفكر العربى — ١٩٨٠ .

١٠ — **فلســفة التعليم الابتــدائى وتطبيقاته** (مع الدكاترة حسن عبد العال ، وعلى خليل ، وشوقى ضيف) — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١١ — **الفكر التربوى عند الامام الغــزالى ، كما يبدو من رســالته (أيها الولد)** — دار الفكر العربى — ١٩٨٢ .

١٢ — **التربية الاســلامية ، والقــرن الخامس عشر الهجــرى** — دار الفكر العــربى — ١٩٨٢ .

ثانيـــا : من كتب سلسلة (الاســـلام وتحديات العصر)

(وتصـــــدرها كلهـــا : دار الفكر العـــربى)

١ ــ **العقيدة الاسلامية ، والأيديولوجيات المعاصرة** ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، والطبعة الثانيـــة ١٩٨٠ .

٢ ــ **الله والانسان المعـــاصر** ــ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعـــة الثانيـــة ١٩٨١ .

٣ ــ **الاســـلام والكون** ــ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ، والطبعة الثانية ١٩٨١ .

٤ ــ **الانسان فى الاسلام ، والانسان المعـــاصر** ــ يناير ١٩٧٨ .

٥ ــ **اليـــوم الآخر ، والحيـــاة المعاصرة** ــ يونية ١٩٧٨ .

٦ ــ **انبيـــاء الله ، والحيـــاة المعاصرة** ــ سبتمبر ١٩٧٨ .

٧ ــ **قضية الحرية ، وقضايا اخرى** ــ يناير ١٩٧٩ .

٨ ــ **الأسرة المسلمـــة ، والأسرة المعاصرة** ــ يونية ١٩٧٩ .

٩ ــ **الملامح العـــامة ، للمجتمع الاســـلامى** ــ فبراير ١٩٨٠ .

١٠ ــ **ديناميات المجتمع الاســـلامى** ــ يونية ١٩٨٠ .

١١ ــ **الحضارة الاسلامية ، والحضارة المعاصرة** ــ فبراير ١٩٨١ .

١٢ ــ **الدولة الاسلامية ، والدولة المعـــاصرة** ــ يونية ١٩٨١ .

١٣ ــ **اليهـــود ، واليهودية ، والاسلام** ــ أكتوبر ١٩٨٢ .

١٤ ــ **المسيح ، والمسيحية ، والاسلام** (تحت الطبع) .

ثالثا : كتب يقـــدم لهـا المؤلف

(سلسلة مكتبـة التربية الاســلامية)

(وتصـدرها : دار الفكر العـــربى)

١ ـ **التربيـة الاسلامية ، فى القــرن الرابع الهجرى** ، تأليف حسن عبد العـــال ـ ١٩٧٨ .

٢ ـ **فلسفة التربية الاسلامية ، فى القــرآن الكريم** ، تأليف : على خليـــل ـ ١٩٨٠ .

٣ ـ **نظــام التربية الاسلامية ، فى عصر دولة المماليـك فى مصر** ، تأليف : على سالم النباهين ـ ١٩٨١ .

٤ ـ **تاريخ التعليم فى الأندلس** ، تأليف : الدكتــور محمد عيسى ـ ١٩٨٢ .

٥ ـ **فلسفة التربيــة الآســلامية ، فى الحـديث الشريف** ، تأليف : عبد الجواد السيد بكر (تحت الطبع) .

رقم الايداع ١٩٨٢/٤٧٨٠

الترقيم الدولى ٢ — ٠٠٣٢ — ١٠ — ٩٧٧

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحانى ـ القاهرة
تليفون : ٧٤٤٠٧٦ ـ ٧٤١٦٩٨